"الحسين ثائرا"

عبد الرحمن الشرقاوي

شخصيات المسرحية

* حسب ترتيب الظهور على المسرح

سعيد بن سعيد , من أصحاب الحسين
بشر , من فتيان الحسين
أسد , شيخ حجازي يعيش في الكوفة
وحشي , قاتل عم النبي حمزة بن عبد المطلب
الأعرابى
عاشق 1
عاشق 2
الوليد , أمير المدينة
مروان بن الحكم , صاحب بيت المال بالمدينة
الحسين بن على (عليه السلام)
محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) , أخو الحسين من أبيه
زينب بنت على (عليهما السلام) , شقيقة الحسين
ريحانة , جارية سكينة
سكينة بنت الحسين (عليها السلام)
ابن جعفر (رضوان الله عليه) , ابن عم الحسين وزوج شقيقته زينب
المختار الثقفي , ثائر من الكوفة
مسلم بن عقيل , ابن عم الحسين
زيد بن أرقم , شيخ يعيش في الكوفة
أبى وقاص
هانئ بن عروة , شيخ عراقي
شريك , شاب عراقي
شاب 1 , من شباب الكوفة
عريف 1 , تاجر ورئيس حي بالكوفة
شيخ مراد , رئيس قبيلة
شيخ مدحج , رئيس قبيلة
ابن زياد أمير , الكوفة والبصرة
شمر بن ذي الجوشن , من أتباع ابن زياد
الحر الرياحى , قائد عراقي
برير , شيخ عراقي
فتيان ـ رجال ونساء ـ
تجار ـ عرفاء ـ أعراب

زمان المسرحية سنة 60 هجرية

* مكان المسرحية الحجاز ـ الكوفة ـ بادية بجنوب العراق

المنظر الأول

(طريق في المدينة عنده عدة طرق وتشرف عليه الدور..من بعيد يبدو الحرم النبوي ..الليل يفيض بالسكينة ..وفجأة ترتفع النداءات ويدخل رجال بالمشاعل)

سعيد : زوال الطاغية المتكبر
بشر سقط الدجال الأكبر
سعيد : هلك الفرعون المتجبر
مات معاوية يا قوم
فالحرية منذ اليوم
أبشر يا بشر إذن أبشر
أسد : أتشتم رجلا هو من صحب رسول الله
وقد بشره بالجنة ؟
فأبشر أنت بنار سقر
سعيد : لا بل رجل لما آل الأمر إليه انفرد به حتى استأثر
فعطل أصلا في الإسلام
وزيف قاعدة الشورى
وخالف نصا في القرآن
وأهدر أحكام السنة
قاتل جدي وهو يصلى
لما اعترض على رأيه
أسد : قد كان يشاورنا في الأمر

بشر : ليستكمل أبهة الحكم
انتم آفتنا الكبرى !
كنتم شكلا للشورى، وكان رضاكم يسبقكم
لم تفتح أفواهكم ابد إلا لتقول: نعم

سعيد : أخالف أحد منكم رأيا لمعاوية ثم نجا ؟
أنتم أنتم من ملّكه
بشر : فتعود ألا يسمع : لا
سعيد : أين حسين فنبايعه الآن ونخلع عهد يزيد؟
بشر : الحسين بن على قائم يشرح للناس الأحاديث على منبر جده .
فتقدم نلتمسه يا سعيد
سعيد : قد توجهت إليه لأراه

فور إن أقبلت من أرض العراق
غير أنى لو أجده رضي الله تعالى عنه
لا في بيته أو مسجده
(يقبل رجال)

رجل 1 : (مقبلا) أو مات ابن أبى سفيان حقا ؟
أو حقا أدبر الليل الثقيل
رجل 2 : (مقبلا) أو زالت دولة الظلم الوبيل ؟
أسد : لا تقل هذا
رجل 3 : روما لي لا أقول ؟
بشر : نحن خفنا بما فيه الكفاية
أسد : انه قد مات يا قوم وللموتى حرم
بشر : حرمة الأحياء أولى بالرعاية
رجل 4 : أنت لا تعرف من يقبل بعده
أسد : ولقد نبكى الذي نحمد فقده
سعيد : أنه قد أخذ البيعة قهرا ليزيد
ملك الفسق أمير الماجنين
أسد : فيزيد أيها الناس أمير المؤمنين
بشر : إن هذا لن يكون
سعيد : أيزيد ذلك السكير من يعبث بالقرد نهارا؟
بشر : فإذا ما أقبل الليل وفاض الخمر , صلى تحت ردف الجارية ؟!
أسد : لا تقل هذا أمامى احتشم
إيه يا بشر احتشم
سعيد : (ضاحكا) إذا أتى ذكر الجواري فقد الشيخ وقاره!
أسد : اسمعوا يا ويحكم لا تجحدوا فضل أمية
فقلد والله حياهم رسول الله إذ قال لنا..
سعيد : (مقاطعا) لا تقل عنه حديثا لم يقله يا أسد
أسد : لا تهنّى يا سعيد بن سعيد
سعيد : لا تزيف في الأحاديث فقد زيفتموا وجه الحياة

(يمر الرجل في أسمال)

الرجل : جائع يا مسلمين , جائع يا ناس , أولادي جياع
أسد : (يعطيه باستعراض)
أيها السائل خذ من نعم الله علينا
بشر : حسبنا ما يملأ الأعين من زور وبهتان وزيف
أسد : (لبشير) أنت أيضا ؟
أيها السافل.. ما أنت وهذا ؟!
خل عنك الجد ولتفرغ لسلمى أو لنعد !
سعيد : ما على العاشق إثم حين يهوى ويعف
بشر : إنما الاسم على من ملك الظالم فينا .. فاستبدّ
فإنما الفاسق من يحيا بألاء ابن هند
أسد : إنما تفتخرون اليوم بالفحش على مقربة من قبر مولانا الرسول

سعيد : أي فحش قال الفتية يا شيخ ولم ترب عليهم ؟
أنت والله الذي لم يرع للقبر ولا للدين حرمة
أنت من راح هنا الساعة يهذى ويقول :

(يقلده)

فيزيد أيها الناس أمير المؤمنين
كلمات تنشر الظلمة حتى في مدار الشمس
والنقمة حتى في النفوس الطيبة
كلمات مذنبة
أيزيد .. ذا أمير المؤمنين ؟
أو لا يوجع أذنيك الرنين ؟!

أسد : نحن بايعنا .. فمن ينكص عن البيعة أثم
رجل 3 : لم تكن تلك بيعة
بشر : إنها بيعه إكراه وخوف .. وطمع
سعيد : إنها قد أخذت بالسيف من مستضعفين
أو بفيض المال من أهل الورع ..!
إن بعض الناس قد نال على البيعة ضيعة !!
أسد : لا تعرض بي
فما أعطيتها إلا لكي أحقن فيها الدم فافهم
كن حكيما يا بنى
سعيد : ليست الحكمة إهدار تعاليم النبي
أسد : أنا أولى بنبي الله منكم أجمعين
إنني جاهدت في جيش الرسول المصطفى
قبل أن يأتي للدنيا أبوك
سعيد : ولماذا عمرك الله تنكرت لما قال إذن ..؟
انه قد ترك الأمر لنا شورى .. وأنتم
تجعلون الأمر فينا قيصرية !
بشر : (مكلما) تجعلون الناس والدولة إرثا لأمية !
أسد : رجل مثل يزيد ولى العهد طويلا فتدرب
فغدا صاحب قدر وحقوق لا تغالب
سعيد : صرت ممن يعرف الحق بأقدار الرجال !!
بشر : إننا نعرف قدر المرء
مما هو من حق عليه أو ضلال !
أسد : أنت والله لجوج يا سعيد
أنت لا تعرف ما وجه صلاح الأمر عندي
حين أدعو ليزيد إنني أدعو إلى حقن دماء المسلمين (للناس) احفظوا العهد
فان العهد مسؤول أمام الله رب العالمين

رجل 1 : تب إلى الله وبايع الحسين
رجل 2 : أم ترى تخذله مثل الحسن ؟

أسد : ما خذلناه عليه رحمة الله
ولكن ترك الامر لأهله
بشر : لو كان الامر حقا لابن هند
أم تساوقتم إليه طمعا فيما لديه ؟!
سعيد : آه منكم يا سراة الناس في هذا الزمن !
أنتم يا من تألبتم على حكم علي
عندما حاسبكم عما اقتنيتم
عندما رد لبيت الآمال ما كنتم كنزتم
عندما نازعكم إقطاعكم
ثم سوى بين كل المسلمين !!
بشر : والحسين بن علي عندما يغدو إماما
فسيغدو كأبيه.. كأمير المؤمنين
فيقيم العدل في الناس ويبغيه سلاما
وسيغلو في حساب الأثرياء الكانزين
سعيد : إذ يراهم كفره
بشر : ولهذا سوف لا يتبعه إلا قليل
سعيد : من رجال فرغوا من هذه الدنيا
وولوا وجههم للآخرة
أسد : (ساخرا) أو .. سعوا في موسم الحج ووراء الساعيات !
بشر : خلى عنك الغمز واللمز ولا تسخر بنا
نحن قوم إن لهونا
لن نحد عن ديننا أو حقنا
إننا نرفض إعطاء الذليل
طمعا في الأُعطيات ما علينا إن رأينا الحسن يسعى بيننا فاغتنينا إعفاء بما فاض بنا
سعيد : قل لنا بالله كم أعطيت في البيعة
صرح ولا تخف
بشر : كل ما يكفل للشيخ أفانين الترف !
رجل 1 : ألف دينار وضيعة .. !
رجل 2 : ثم دارا مستقلة !
سعيد : بعد هذا يشترى
من هو خير منك والله لشر من يزيد
(ضاحكا)
لما لا تدعو إلى قرد يزيد
بعد ما أعطيت هذا القدر كله ؟
بشر : والجواري من البنات الروم أيضا
سعيد : وبنات الروم لو تدرون متعة !
(لأسد) فلتبايع بعد هذا ألف بيعة

(يضحكون)

أسد : خيب الله شبابا

لم يراعوا فيهمو حق الكبار

سعيد : لعن الله كبارا
شغلوا الأمة بالزيف
وعاشوا في الصغار

(يمر وحشي وهو رجل عجوز متهالك أنهكه السكر
والضنى الطويل يتخبط في الطريق وبين البيوت
ويحاول إن يخاطب الموجودين ولكنهم يتباعدون
عنه في تقزز وبعضهم يدير إليه ظهره)

وحشي : وقتلت حمزة في أحد

رجل : هذا وحشي سكران

رجل 2 : مازال يسير بقصته في كل مكان

رجل 3 : سيملأ ليلتنا نجسا هذا الحيوان .. !

وحشي : (مستمرا) وظللت انبش بطنه حتى عثرت على الكبد
فنزعتها وعسرتها لتلوكها أسنان هند قد كنت عبدا حين ذلك , وكان لي آمال عبد !

حتى ما كان يوم الفتح جئت إلى الرسول
ووقفت أبكى لا أقول ولا يقول
ودخلت في الإسلام لكن لم يصافحني الرسول
لم يعطيني يده الكريمة بل نأى عني بجنبه
وركعت في عاري على قدم الرسول فلم يجبني
أنا لم يصافحني الرسول.. ازور عنى
وحملت عاري وانطلقت
وشربت خمر الأرض لكن ما انتفعت..
ايما مضيت فما يفارقني الشبح
هو ذلك حمز يسرع الأبطال منطلقا كاعصار مخيف
هو ذا يصول كما يشاء وقد تحامته السيوف
والمسلمون يكبرون.. الله أكبر !
وجيوش مكة تنحسر
وملئت رعبا فاختفيت وراء صخرة
وإذا بهند والنساء الراقصات أتين يقرعن الدفوف
ورأيت حمزة ما زال يصول كالرئبال يفتك بالحشود
فعل الأفعال العجاب بهم ففروا خائفين
وحديث هند ما زال يسيل في اذني: فلتقذف برمحك ظهره.. فتصير حرا إن قتلته
ستنال منى ما اشتهيته
قد كنت عبدا حين ذاك
عبد له أحلام عبد !!
هو ذاك حمزة يستدير مطاردا من فر منه
هو ذاك مشغول بضرب الهاربين وكلهم ينحان عنه
فأتيته من خلفه بالرمح, ما شاء ليقهره سوى غدرات رمح
ورشقت ظهره..
فإذا بحمزة ينطرح
ورأيت هندا وسط الرجال تصيح

عودوا مات حمزة
وتقول : حمزة صار جيفة
ورأيتها والله تخضب راحتيها في دمائه
وتقول لي: أين الكبد
ومضت تغنى وهى ترقص فوق جثته الزكية
يا قاهر الأبطال انك رائع كالمعجزة
يا سيد الشهداء حمزة
أنا من طعنتك غدرا طعن الجبان
ورميت عزتك الشموخ إلى الهوان
اهديت اشرف ما يجود به الزمان
إلى نساء بنى أمية
يا سيد الشهداء ماذا أستطيع إلا بعد ؟
قل اى تكفير أقدمه فتقبل توبة من معتذر ؟
أفلا مقيل لمن عثر ؟
أفلا نجاة لمن غدر ؟
قد كنت عبدا وقتها..
عبدا له خطرات عبد
عبد ذليل طامع عبثت به نزوات هند !
يا سيد الشهداء حمزة قد غدوت ضحيتك
أنا من جنيت على حياتك ما جناه على موتك
أنا ذاك مثل اللعنة السوداء منذ غدرت بك
عدم تطارده الحياة
ذنب تحامته العصاة
قبر تحرك
عرض مهين منتهك
ندم تحاصره الذنوب
عار يفر منه الكل ويرجمونه
رجس تنوء به القلوب
قلق تجافته السكينة
قرح على وجه الأبد
(يمسك بأسد)
لم يعذب مثلما عذبت من والى ابن هند

أسد : يا قاتل حمزة يا ملعون
وحشي : لم لا يعذب مثل ما عذبت من والى ابن هند
أسد : أغرب.. أغرب يا مجنون

(يدفعه عنه فينصرف وحشي)

وحشي : وقتلت حمزة في أحد
لم لا يعذب مثلما عذبت من والى ابن هند؟

(يخرج ويدخل صراف)

الصراف : أسمعتم ما سمعنا ؟ .. أتولاها يزيد ؟!
بشر : بل تولاها الحسين بن على
الصراف : لم يعد يصلح أبناء على للخلافة
سعيد : ولماذا يا أمير الغش في سوق الصرافة ؟
الصراف : أنهم أصحاب تقوى وورع
وأرى الدولة تحتاج إلى كيد سياسي حصيف
سعيد : ما الذي تفهم يا صراف من معنى الحصافة ؟
أنت غشاش بلا ريب ولكنك ذو عقل نظيف
فلتقل لي ما عسى تطلب في الحاكم
كي يصلح عندك ؟
الصراف : لست غشاشا كما قلت ولكني صراف شريف
أنت من أيام أن رحلت إلى الكوفة
قد أصبحت شتاما لجوجا لا تطاق !
أنت قد أفسدك العيش طويلا في العراق
رجل 4 : لم يعد يصلح للدولة حكم الخلفاء الراشدين !
رجل 5 : نحن في عصر الملوك القادرين
بشر : (ساخرا) والرعايا الطامعين الخائفين
سعيد : انه عصر مشوب بالحنين
بشر : بحنين لنبالات الرجال الصادقين الصالحين
الصراف : قد صرنا في زمن آخر
أسد : ولكل زمان دولته ورجال أعرف بأموره
وحسين قرة عين رسول الله يعيش زمانا قد ولى
ما عاد رجال كعلي لحكومة دولتنا أهلا
وحسين يسلك مثل أبيه
وله مثل صلابته
فإذا صار ولى الأمر فسوف يسير كسيرته
والدولة تطلب رجلا آخر لا كعلي وحسين
فليس نجاح ولى الأمر أن يحكم بضميره
أو أن يقضى عن نزعته أو تقديره
نجاح الحاكم أن يستفتى في الأحكام ضمير الأمة
بشر : ما الأمة عندك ؟ الأمة ليست أصحاب الثروات
الأمة هم نحن الفقراء
أسد : أيحكمنا مثل أبيه بمرقعته ؟
سعيد : عساك تفضل من يحكمنا بمواليه أو جاريته !
بشر : بل لن يصلح أمر الدولة إلا رجل مثل حسين
سعيد : رجل يعرف حق الله وحق الناس على الحاكم
عميق الرحمة بالمظلوم شديد الصولة بالظالم
لا يبغض شيئا مثل الكيد
وهو وفى بالعهد
وهو أمين في المال
أسد : أنا أعرف بشئون الدولة
سعيد : دولة من نصبوا الهيكل أسواقا !!

الدولة ليست دولتكم.. بل دولتنا
نحن الفقراء المطحونين

أسد : أنا افقه منكم بالدين
سعيد : حارب قوم عن دينهم في صفين
بشر : وحارب قوم عن دنياهم
فإذا انهزموا رفعوا المصحف فوق السيف
سعيد : فانخدع ذوو بصر بالزيف
ودعوا للهدنة والتحكيم
فضل حكيم
وقهر الحق القدسي
وضاع إمام البر على
وتخلى عنه الأنصار
فاعتزلوا الأمر جميعا وانتشروا بين الأمصار
أسد : ما كنت لأرضى بالتحكيم
فتركت الفتنة وأتيت... هربت بديني لله
ولذت بحرم رسول الله
سعيد : ولأنك كنت هناك معه
كسبت هنا حسن السمعة
بشر : ولهذا حين أتاك معاوية غالى في ثمن البيعة
أسد : إنها معذرة لله منكم.. فاسمعوني
وسأمضى بعد هذا عنكم أقضى حياتي في العراق
سعيد : أيها الناس دعونا وحديثا لا يفيد
رجل1 : لن يكون الظالم العربيد
- لا كان - أمير المؤمنين
فاخلعوه قبل أن يأخذ منا بيعة أخرى
بوعد أو وعيد
أسد : لا تقضوا العهد الذي عاهدتم
فالعهد مسئول.. كفى لا تقدموا
بشر : فلنبايع للحسين بن على.. فلنبايع للحسين

الأصوات فلنبايع للحسين بن على .. فلنبايع للحسين

أسد : يا قوم لا فلتخرسوا صوت الفساد
فلسوف يرميكم يزيد بعسكر الشام الشداد
انى لادعوكم إلى حقن الدماء
بشر : وإذن لمن شرع القتال من البداية للنهاية ؟
سعيد : كتب القتال على الذين تحملوا عبء الهداية
رجل : أو لم تقاتل أنت في جيش الرسول ؟
سعيد : لولا القتال إذن لضاع الدين أدراج الضلال
أسد : فانا بريء منكم ..انى لماضٍ للعراق
سعيد : رح أنت ولتملأ حريمك خردا
واحرس كنوزك جيدا

واحرس قطائعك العديدة في العراق

بشر : فلتأخذوا ثأر على

وبايعوا سبط النبي

الجميع على ثأر الله

الله..الله..

سعيد : لصاريزيد بن معاوية ولى الأمر

لا بيعة في ظل القهر

لا بيعة إلا للحسين

النساء : لا تولوا الجبار الأمر

لا بيعة في ظل القهر

الجميع : لن يحكمنا جبار

ضربا بالسيف البتار

حيّ على ثأر الله

الله..الله..الله..الله

لا بيعة إلا لحسين

الأصوات أين حسين؟أين حسين؟

بشر : سيعود الآن إلى المسجد

كي يلقى بعض دروس الدين

الأصوات سيروا للمسجد ..للمسجد .... لا بيعة إلا لحسين .

المنظر الثاني

(قاعة فسيحة في قصر الوليد بن عتبة والى المدينة.. الأمير يجلس على مقعد وثير وغير بعيد منه يجلس مروان ابن الحكم.. في صدر القاعة شرفة يظهر منها على البعد مسجد الرسول (ص) وقبره...الهتافات التي سمعناها في آخر المنظر السابق نسمعها الآن من بعيد..)

الوليد : كيف..؟لا..يا ابن الحكم !
أنا اقتله إن لم يبايع
ابن الحكم : أنا أخشى أن يقول الناس قد خاف الوليد
الوليد : أن يقول الناس عنى خاف
خيرا لي من قتل الحسين بن على
ربما شاورت في الأمر سواك
ابن الحكم : كثرة الآراء تغرى بالتردد
إنما الشورى وبال فاستبد
إن ضربا في رقاب الضعفاء
سوف يعطينا ولاء الأقوياء
فابعث الشرطة فلتضرب رءوس الفقراء

(ضجة من الخارج)

الأصوات أفلا تسمع هذا كله ؟ اسمع يا أمير

ابن الحكم : أفلا تسمع هذا كله ؟ اسمع يا أمير
صرخات تملأ الليل علينا بالنذير..
انه ويل وهول وثبور
عبد (يدخل فرحا)
الحسين بن على جاء في فتيانه
زارنا نور النبي
ابن الحكم : خيبة الله على عبدك ذي ريح النتن!
الوليد : (يتهيأ لاستقبال الحسين)ادخلوا سبط النبي
العبد : يا أمير اهو يحتاج لإذن؟
إنما يسعد رضوان على الباب الفراديس إذا ما استقبله
هو تشريف لهذا الباب إن يفتح له

(تقترب ضجة فتيان الحسين)

ابن الحكم : أغلظ القول له إن راوغك

وإذا لم يعطيك البيعة فاقتله والا قتلك

(الحسين يظهر م وراء الشرفة في الطريق ومعه فتيانه)

الحسين : كان أبى يبكى ويقول:
يا دنيا غُرّي غيري!

(الخدم والغلمان يتقدمون إلى الشرفة بلا مراعاة لوجود الوليد متسابقين إلى رؤية الحسين)

احد الخدم : هو ذا..في وجهه نور النبوة
خادم2 : وعلامات الإمامة
العبد : ارج النبوة بين أعطاف الحسين
ألق الإمامة في أسارير الحسين
الوليد : كل أعناق رجالي قد تحولن إليه!
وقلوب الناس قد حفت به ترتجى الخير لديه

(الوليد الآن يطل من الشرفة وان كان لم يتحرك كثيرا)

ابن مروان : إن يكن رأيك فيه مثلما قلت
فلا سلطان والله عليه أو سبيل
بشر : (للحسين)لا تشرب شيئا في القصر
لا تشرب ماء أو عسلا
واذكر إن أخاك الحسن عليه الرحمة
مات بسم في عسله
الحسين : ما ريّي في ماء القصر
وما شبعي في عسل أمية
بشر : لا تشرب-مهما تظمأ- في قصر امير أموي
سعيد : لا تشرب قطرة ماء في هذا القصر
الحسين : (ضاحكا)إن مت هنا وأنا عطشان
لمت شهيدا من ظمئي
وستصبح مسئولا عن موتى
في عطشى هذا يا بشر
(لسعيد)وأنت كذلك يا كوفي
سعيد : نخاف عليك أىٍّ الحساد وهم كثر
الحسين : عذب حسادك بالإحسان
تحيَ سعيدا طول العمر
(لسعيد)أتعود الآن إلى الكوفة..؟
سعيد : فلتمهلني حتى الفجر اصلّ وراءك هذا الفجر
فأشرف عند رجال الكوفة انى قد صليت وراءك

الحسين : فلا يحدث احد شيئا
حتى يتبين وجه الأمر

(يختفي الحسين ويختفي فتيانه)

ابن الحكم : استمعت..الكوفة..؟ذكر الكوفة..!
فشيعته في تلك الكوفة لا تقهر

(صوت الحسين) يا فتيان بني هاشم
لا تقتحموا القصر علينا حتى اخرج أو ادعوكم
ما كنت لأبدأهم بعداء

ابن الحكم : ما احكم ما طلب يزيد :إما بيعة أو رأسه
إن راغ الثعلب منك اليوم فما أصعب إن تلتمسه

الوليد : ليس حسين بالثعلب

ابن الحكم : لا تتركه يخرج حيا حتى يعطينا ما نطلب

(الحسين يدخل وهما يخفان لاستقباله)

الوليد : أهلا أهلا بابن علي

الحسين : سلام الله ورحمته عليك يا أمير مدينتنا
وعلى مروان ابن الحكم
مرحى مروان أأنت هنا
في هذا الوقت من الليل ؟

مروان : (بجفاء) أنا في بيت ابن العم
أفي هذا ما يستغرب ؟

الحسين : (مبتسما) مزج المودة بالقرابة يبهج

ابن الحكم : إن المودة للقرابة أحوج

الوليد : جاءنا اليوم كتاب من يزيد

الحسين : من يزيد يا وليد.. ؟
ألهذا عمّرك الله قد استدعيتني ؟
فتركت الدرس في المسجد والناس عطاش للمعارف ؟
آه لو أمهلتني !

الوليد : (مستمرا) انه ينعى أباه

ابن الحكم : مات والله أمير المؤمنين ابن أبى سفيان
فانهدّ بهذا الموت ركن المملكة..

الوليد : طيب الله ثراه

الحسين : عظم الله تعالى أجركم
وإذن أرجع للمسجد
(يتحرك ليخرج) مسّيتم بخير

ابن الحكم : ما تحدثنا.. انتظر

الحسين : إنهم ينتظرون أنهم ينتظرونا
هؤلاء الفقراء الطيبون..

إن تكبرنا على من دوننا لتواضعنا لمن هم فوقنا
الوليد : قد علمتم إن في الأعناق منا ليزيد بيعتين
بيعة نعقدها الآن بإذن الله
والأخرى عقدناها قديما يا حسين
الحسين : أُخذت في ظل إرهاب البوارق
ابن الحكم: يا حسين بن على
الحسين : أنا ماض (يسرع)
طال والله انتظار الفقراء الصالحين
ابن الحكم : لعنة الله عليهم هؤلاء الفقراء الكالحين !
الحسين : كل من في هذه الدنيا فقير
كلنا.. حتى كبار الأغنياء
فكبار القوم قد ينقصهم
شيء.. يذِلّون له يا ابن الحكم
ابن الحكم : لم تجئ من أجل إلقاء الحِكَم
الحسين : (ضاحكا) نحن في منتصف الليل
وقد جاء إلى المسجد مبعوث الأمير
قال لي باسم الأمير انهض إليه الآن فالأمر خطير
(ساخرا) من أمير فيكما ؟!
أنا مدعو لمن فيكما ؟!
الوليد : أنت مدعو إليّ
الحسين : وإذن..
ابن الحكم : (للوليد) ماله يأتيك في فتيانه
أهو يستقوى عليك ؟
الحسين : (هادئا ساخرا للوليد ومشيرا إلى ابن الحكم)
قل لهذا إن مثلى قادر أن يمتنع
قل لهذا أن مثلي عندما يأتي إلى السلطان
لا يأتي لخوف أو طمع !
إنما يأتي إذا استيقن من قدرته أن يمتنع
الوليد : إن تكن أعطيت عقد البيعة الأولى بإكراه فبايع
من جديد
أنت مدعو إلى البيعة بالحسنى.. فبايع ليزيد
الحسين : أنا أعطى بيعتي سرا ؟ أمثلي يعقد البيعة سرا ؟
أنا لا أسدل ما بيني وبين الناس سرا
لا و رب البيت..
لن نضمر فيما بيننا من خلف أسوارك أمرا
لا ورب البيت
بل تخرج للناس فتدعوني إلى البيعة جهرا
فتقولون لماذا تجعلون الأمر إرثا ونقول..
فليكن موعدنا ظهر غد بعد الصلاة..
واقترح أي مكان شئت في قصرك هذا
أو على قبر الرسول
ابن الحكم : (بدهاء للحسين)

أنا لا يدخل جوفي مثل هذا القول منك
الحسين : إن يكن همك ما يدخل في جوفك
لم يكن قدرك إلا مثل ما يخرج منه

(يتحرك إلى الباب قائلا للوليد)

أنا ماض يا أمير..

ابن الحكم : أنت لن تخرج حتى تعطى البيعة قسرا..
لست ضيفا ها هنا
تأتى وتمضى وقتما تبغي.. ولكنك والله أسير
الحسين : فهذا مجلس تهديد لا يتحدث فيه العقل
لأن الخوف سيشغلني بحراسة نفسي عن رأيي
فيضيع بهذا ما أبغى
وأخالف في قولي ربى
وأضيّع مصلحة الأمة
ابن الحكم : لستَ المسئول عن الأمة
الحسين : أنا مسئول عن رأيي وعن النهى عن المنكر
أتريد البيعة منى قسرا !
ضعف الطالب والمطلوب !
إن قام الأمر على الإرهاب أو الطغيان أو البغي
فالغالب فيه هو المغلوب
ابن الحكم : ما أنت سوى رجل في الناس
فان لم يذعن عاقبناه
فستحرم مما تملكه وستحرم مما تعطاه
ولن تلقى درسا في المسجد
أو في دارك يا ابن على
الحسين : أنت لا تملك أن تجعل ما جاد به الله من العلم
حبيسا في عقول الفقهاء
أنت لا تملك أن تحرمني من ملاقاة جموع الفقراء
أنت لا تملك أن تسلبني مالي
ولا أن تغصب الحق الذي لي في العطاء
أم ترى تقهر بالحاجة والحرمان من لا يتبعك ؟
فهو الله الذي يعطى ويمنع !
ابن الحكم : اننى صاحب بيت المال
لي الرأي الذي لا أرى بعده
أفلا تعرف أن المال مال الله وحده
وأنا احكم فيه باسم ربى ..
أبسط الرزق وأقبض ؟
الحسين : لست رب العالمين !
إن هذا لهو الكفر المبين
إن هذا المال مال المسلمين

وللكل فيه حق مستحق
انه دين ثقيل في العنق
وعلى الحاكم أن يعدل في توزيع مال الناس
فيما بينهم..
فإذا لم يعدل الحاكم في التوزيع فالحاكم آثم

ابن الحكم : هكذا تضطرب الدنيا
كما كانت على عهد أبيك
هكذا تغدو وكل الناس في الفقر سواء
هكذا يصبح سادات قريش مثل رعيان الغنم !

الحسين : ليس من فضل لإنسان على آخر إلا بالعمل

ابن الحكم : هكذا قال أبوك !

الحسين : ورسول الله أيضا

ابن الحكم : (ساخرا) ذاك عهد قد مضى

الوليد : لم يكن ذلك من خطة عثمان بن عفان
ما كان فيه من ورع

الحسين : كان من أصلح أهل الأرض لكنكمو ورطتموه
أنتم من حفر الحفرة له
قد ظلمتم باسمة الأمة حتى ضجرت
ونهبتم باسمه الأموال حتى نضبت
وكنزتم باسمه الثروة حتى ثارت الدنيا عليه
فاختبأتم
إنما ثار عليه الناس من كثرة ما عانوه منكم..
آه لو أسلَمكم للثائرين !!
قد حماكم , ويْحكم لكنكم أسلمتموه..
أيكم دافع عنه ؟ أيكم ؟؟
(لابن الحكم) أنت هل دافعت عن عثمان في محنته يا ابن الحكم.. ؟؟
فأنا دافعت عنه... نحن من دافع عنه
آه كم عانى الحسن .. !
وبماذا كوفئ المسكين من بعد ؟ بسم في العسل !
وتضاحكتم وقلتم إن لله جنودا من عسل !
ورفضتم دفنه في بيت جده
آه منكم أنتم من تركتم شيخكم عثمان يُقتل
واتّجرتم في دماء الشيخ
في الموت.. فيا ويحكم بعد مماته
قد كسبتم من وفاة الرجل الصالح
أضعاف الذي كنتم كسبتم في حياته

ابن الحكم : كذبت.. ورب البيت كذبت أكذب يا كذاب
أنا ابن الحكم , من الكذاب.. أنا .. أم.. أنت !
أتكذّبني يا ابن على وأنا مروان ابن الحكم
أنا فضل منك ومن والدك.. أنا ..

الحسين : أنت من دس إلى زوج أخي السم
وأغراها بسمه !

أو لم تحمل لها مال ابن هند والوعود ؟
أو لم تحمل لها وعد ابن هند :
أنها إن هي سمّت زوجها تصبح زوجا ليزيد ؟
غير أن ابن أبى سفيان لم يجرؤ على تزويجها منه
فقد خاف على ابنه
فغدت لا يقرب الخطاب منها
كلهم يخشى مصيرا كالحسن
آه يا مروان لولا اننى لا آخذ الناس بظن !

ابن الحكم : (صارخا) أتهدد في بيت الملك ؟
أتهددني يا ابن على ؟

الحسين : أعرف قدرك يا كذاب..

ابن الحكم : قدري.....؟
ما قدري عندك الا ما يخرج من جوفي

الحسين : صدقت. (باسما) الآن صدقت.. صدقت.صدقت. .. ؟

ابن الحكم : أتهزأ بي.. بل أنا والله الهازئ بك
وستعلم قدري من سيفي.. (يشهر سيفه)

الحسين : أغمد سيفك يا ابن الحكم
فليست دور الحكم مصائد !
ليست دار الوالي شركا
أم قد صارت وكر مكائد

الوليد : مهلا مروان فان الضيف له حرمة
ولقرة عين رسول الله على المسلم أن يحترمه

ابن الحكم : لا حرمة له. (مازال سيفه في يده)

الحسين : (يتجه إلى الشرفة ناظرا إلى قبر جده)
الشرير أهان الله
يفتخر أمامك بالشهوات ولا يدرى !
الشرير أهان جلالك واستشرى
فمه مملوء باللعنات وبالأكذوبة يا ربى
والظلم يعشش في أعماق النفس الخربة

الوليد : (للحسين برقة) إن كنت ترجو يا حسين أن يظل لديك مالك
بل يزداد لك العطاء..
إن كنت تحرص يا حسين على السلامة
واجتناب لظى الفتن
إن كنت تحرص يا حسين على الحياة الآمنة..

الحسين : (مقاطعا) مالي وللحرص اللعين .. ؟
الحرص ينقص قيمة الانسان
لكن لا يزيد عليه حظه
كالخوف يهدر عزة الرجل الأبيّ
ولا يضيف لعمره المقدور لحظه !

سعيد : إن للمؤمن في الدنيا نصيبا ينبغي أن يحفظه

الحسين : أنا لا حاجة لي فيها.. فوا قلة زادي !

آه من بعد السفر !
آه من طول طريقي وعظيم المورد !
إنما عيشك في الدنيا يسير !
كل أخطارك يا دنيا حقير
ايه يا دنيا إليك الآن عنى !

الوليد : أنت والله شعاع
قد تبقى من سنا عصر النبوة
فاعتكف أنت لتدريس علوم الدين, والتقوى
وهمّ الآخرة.. !
ودع الملك لأهل الملك والدنيا
دع الملك لنا

الحسين : ليس ملكا بل إمامة...

الوليد : نحن لا نطلب إلا كلمة
فلتقل : " بايعت " واذهب بسلام لجموع الفقراء
فلتقلها وانصرف يا ابن رسول الله حقنا للدماء
فلتقلها.. آه ما أيسرها.. إن هي إلا كلمة

الحسين : (منتقضا) كبرت كلمة !
وهل البيعة إلا كلمة ؟
ما دين المرء سوى كلمة
ما شرف الرجل سوى كلمة
ما شرف الله سوى كلمة

ابن مروان : (بغلظة) فقل الكلمة واذهب عنا

الحسين : أتعرف ما معنى الكلمة...؟
مفتاح الجنة في كلمة
دخول النار على كلمة
وقضاء الله هو الكلمة
الكلمة لو تعرف حرمة
زاد مذخور
الكلمة نور
وبعض الكلمات قبور
بعض الكلمات قلاع شامخة يعتصم بها النبل البشرى
الكلمة فرقان بين نبي وبغى
بالكلمة تنكشف الغمة
الكلمة نور
ودليل تتبعه الأمة
عيسى ما كان سوى كلمة
أضاء الدنيا بالكلمات وعلمها للصيادين
فساروا يهدون العالم !
الكلمة زلزلت الظالم
الكلمة حصن الحرية
إن الكلمة مسئولية
إن الرجل هو الكلمة

شرف الرجل هو الكلمة
شرف الله هو الكلمة
ابن الحكم : وإذن ؟!
الحسين : لا رد لدى لمن لا يعرف ما معنى شرف الكلمة
الوليد : قد بايع كل الناس يزيدا
إلا أنت.. فبايعه
الحسين : ولو وضعوا بيدي الشمس.. !
ابن مروان : فلتقتله.. اقتله بقول الله تعالى..
ابحث عن آية..
أقتله بقول رسول الله
فيمن خرج عن الإجماع
الحسين : أتقتلني يا ابن الزرقاء بقولة جدي فيمن نافق ؟
أتزيف في كلمات رسول الله أمامي يا أحمق
أتقتلني يا شر الخلق ؟
أتؤول في كلمات الله لتجعلها سوط عذاب
تشرعه فوق امرئ صدق ؟
الوليد : اسمع حسين اسمع ـ عداك الذم ـ
قولة ناصح لك لن يضلك
أنا ما أحب لو إن لي
ملك الاراضي السبع في أن أقتلك
ابن مروان : (مقاطعا ساخرا) نِعم الأمير !
الوليد : اسخر بغيري يا ابن عمى !
ابن الحكم : لكن مثلك ينبغي إلا يكون على الخلائق
يا أيها الشيخ الورع !
بل فلتسِر بين البراري والجبال
تسوح في ثوب مرقع
الوليد : (برقة للحسين)
أنا ناصح لك هل تقول فتنتصح..؟
بايع يزيدا واسترح !
الحسين : والحق والحرمات والعدل الشريد أيسترحن ؟
(منتفضا) لا لن أجامل في مصير المسلمين
ولن أهادن أو أصانع
الوليد : (يمشى في ضيق) ألا تبايع ؟!
فجميع أبناء الصحابة بايعوه
ولم يعد إلا الحسين
الحسين : إلا ثلاثا يا أمير وسل جواسيس الصديق ابن الحكم
ابن الحكم : سيبايعون برغمهم
الحسين : وإذن فما فقر الأمير إلى مبايعة الحسين
وكل من في الأرض بايع؟
الوليد : (منفجرا)لأن الحسين تقي نقى
وسبط النبي
وشهرته انه لا يقول سوى الحق مهما يكن من عواقب!

علام يقوم إذن ملكنا.. ؟
علام نشيد أركاننا.. ؟
أنبنيه ففوق ذيول الكلاب..؟
أنبنيه فوق ذليلي الرقاب..؟
أنبنيه فوق رءوس الثعالب..؟
على بائعي رأيهم بالذي ينالون من ذهب أو مناصب..؟!

الحسين : (ضاحكا) وقد يخسرون لكم كيلهم
كتجار مكة في الجاهلية!
فويل لهم..إنهم بايعوا.. فباعوا الإمامه
بالقيصرية
(ساخرا) وهم منذ إن ظفروا بالمناصب
صاروا الاعزين والاحاكم
وقد يبسط العلم لجاهلين..
ويقبض عنا فلا نعلم

ابن الحكم : تخير لنفسك إحدى اثنتين :
فان لم تبايع بعثنا برأسك

الوليد : (مستنكرا) أأُرضِي يزيدا برأس الحسين !!

الحسين : (صائحا من باب الشرفة) يا فتياني
يا فتيان بني هاشم..

(يتدافع الفتيان شاهري السيوف)

الويل. . الويل
الله ..الله على الظالم ..

الوليد : إنكم تشهرون السيف في دار الإمارة

بشر : قد علت أصواتكم فسمعنا منكم ما راعنا

(ابن الحكم يختفي)

سعيد : قطع الله لسانا ذكر القتل هنا

بشر : نحن فتيانك يا سبط رسول الله فلتقذف بنا

الحسين : أنا لا حاجه لي الآن بكم

(يخرجون والحسين في وسطهم)

الوليد : عجبا فكيف إذن أجيب على يزيد
(خائفا)ماذا بربك سوف تفعل بالوليد؟

الحسين : الله يفعل ما يريد..

(يخرج ووراءه فتيانه)

المنظر الثالث

(شارع ضيق مظلم.. الحسين تحت الظلام يحمل جوالات يضع بعضها على أبواب البيوت ويجلس ليستريح.. بشر وسعيد يدخلان كأنهما يبحثان عنه)

بشر : أهذا أنت تمر كدأبك قبل الفجر ؟!
سعيد : تعطي المسكين وإن لم يسأل
وتبيح طعامك للأرمل
وتغيث العائل والمعتر؟
بشر : وتمنح رزقك للأيتام
وتكثر صلة ذوي الأرحام..
الحسين : وكيف عرفت بهذا الأمر .. ؟
سعيد : العمل الصالح لا يخفيه ستار الليل
الحسين : سري قد ساقكما الله إليه فلا تشيا بالسر
بشر : غيرك يفخر بالصدقات ليكسب منها حمد الغير
الحسين : وبذاك يضيع حسن الأجر
خير الصدقة ما لا يفضح سر المحتاجين إليه

(ينهض الحسين حاملا ما تبقى ويطوف على البيوت منحنيا تحت الحمل)

سعيد : أأحمل عنك .. ؟
الحسين : من يحمل عني يوم الحشر .. ؟!
بشر : حملك قد أنقض ظهرك
الحسين : ولذا أتخفف من حملي ليشرح ربي لي صدري
وليرفع ربي من وزري..
عساه ييسر لي أمري
سعيد : هذا أكثر ما يرجو منك الناس .. اعمل لغدك
الحسين : ما فاض على حاجة يومك
هو حق المحتاجين إليه
بشر : لكنك محتاجٌ أيضا
إذ قد منعوا عنك عطاءك
الحسين : الله المعطي لا الأمراء

(يلقي آخر أحماله على أحد الأبواب)

فلأتخفّف من حملي
تخف ذنوبي في الميزان

سعيد : ذنوبك أنت .. ؟ ذنوبك يا ولد الزهراء.. ؟
ذنوبك يا ابن رسول الله.. ؟!
فويح سواك وويل أمي
الحسين : (ضاحكا) سلمت أمك وسملت
الحكمة أن يعتمد المرء على عمله
فلا يستشفع بذويه فيما قدم أو أخر
أصوات من بعيد : يا للحسين ابن الإمام
يا للإمام ابن الإمام
الحسين : أسمعت ! ما هذا الصريخ
يشق جوف الليل في فزع معذب ؟!
(صائحا) أنا ذا هنا يا من دعوت
الأصوات : يا حسين يا مجيري يا حسين !
أين أنت الآن أين ؟
الحسين : يا من يصيح علي في هذا الدجى الساجي اقترب
اهدأ .يا من يستغيث.. اهدأ ..
فهاأنذا أخفُّ لنجدتك

(بشر وسعيد يداهما على مقبض سيفيهما)
(يدخل رجلٌ أعرابي فيخف إليه الحسين)

ماذا يروع أمن سربك ؟

(ثم يدخل رجلان في حالة رزية شاحبين مأخوذين كل منهما أشعث أغبر)

الحسين : (للرجال الثلاثة) عجبا من أنتم .. ؟ ماذا دهاكم.. ؟
عاشق 1 : نحن عشاق مجانين بحثنا عنك في كل مكان
سعيد : خيبة الله عليكم فلماذا تصرخون .. ؟
الحسين : (ضاحكا) إنكم حقا مجانين عظام ..
ولماذا ترعبون الليل بالصيحة والناس نيام ؟
عاشق 2 : ومتى نامت عيون العاشقين .. ؟!
الحسين : أنتم قد صحتم باسم الحسين
(ضاحكا) لست بالطبع الذي يعشقه الشاعر منكم فيجن
الأعرابي : قد بحثنا عنك في كل مكان دون جدوى
قيل في قصر الإمارة
عاشق 1 : فذهبنا فوجدناك تركته
قيل قد عاد إلى البيت فرحنا ننشدك
سعيد : (مقاطعا) لعنة الله عليكم من مجانين غلاظ
أتدقون عليه الباب في وقت كهذا.. ؟
بشر : كيف بالله إذن يا أيها الأعراب – لا أم لكم –
كيف ما زلتم جفاة الذوق والإسلام قد أدبكم ؟
الأعرابي : ما وجدناه لكي تشتمنا يا حضري !
الحسين : فلنصل الفجر يا قوم ، وبعد الفجر ...

الأعرابي : (مقاطعا) أنا قد صليته في حي سعدي
الحسين : لم تحن بعد الصلاة (يضحك)
عاشق 1 : أنا أعني فجر أمس
سعيد : أنت مجنون عتيق وعريق
الحسين : أنت مجنون بمن .. ؟!
عاشق 1 : أنا مجنون بسعدى بنت قيس
عاشق 2 : أنا مجنون بليلى بنت أوس
سعيد : (للأعرابي) أنت مجنون بمن .. ؟
الأعرابي : إنني أعقل منك
عاشق 2 : قد تلاقينا بأطراف الفلاة
عاشق 1 : فتشاكينا نهارين وليلة
عاشق 2 : كم بكينا .. غير أنا ما انتفعنا !
عاشق 1 : أترى تسفر عني عند سعدى ؟
عاشق 2 : عند لبنى
عاشق 1 : (يغضب وهو يدق الأرض) قلت سعدى !
عاشق 2 : (يغضب أكثر كطفل وهو يدق الأرض أيضا) قلت لبنى !
الحسين : اهدأ حتى أرى الثالث .. مم تشتكي .. ؟
أنت مجنون بمن.. ؟
الأعرابي : أنا مجنون بدين .. ؟
سعيد : اسم من تهواه دين ؟
الحسين : إنني أفهم عشاق الديون
الأعرابي : لا أنام الليل من همي بديني
الحسين : أي هم لا يهون .. ؟
الأعرابي : قد ركبت البيد يا سبط الرسول
قاصدا بابك كي تقضي لي ديني الثقيل
بشر : (همسا للأعرابي) الحسين بن علي لم يعد لديه ..
الحسين : (مقاطعا) بشر لا تعجل علينا أو عليه ..
(للأعرابي) كم ترى دينك ؟ كم ؟
الأعرابي : إنه ستون دينارا ولكن دائني جلف أصم
الحسين : (يخلع بردته)
أفلا يصلح هذا الثوب كي تدفع دينك.. ؟
(يأخذها الأعرابي بلهفة)
الأعرابي : ثوبك الطاهر هذا .. ؟ بل سأبقيه علي !
أأنا أعطي لذاك الدائن الجلف رداء
قد زكا من منكبي سبط الرسول.. ؟!
(يتحسس البردة فرحا) إنه برد الحسين !
أعطني سبعين دينارا
سعيد : يا غبي
الأعرابي : أترى هذا قليلا ؟ أعطني تسعين دينارا إذن !
الحسين : (حائرا) كيف ؟ بالله.. انتظرني
سعيد : يا أخا البدو انتظر فأنا .. (يمشي حائرا محرجا)
آه يا جلف .. لقد أحرجته.. لعن الله غباءك !

الأعرابي : (في غلظة) وإلى من يلجأ المحتاج يا هذا ؟
إليك.. ؟!
الحسين : إيه .. إني عن ثلاث سائلك..
وعلى قدر إجاباتك تعطى
الأعرابي : حسنا .. كل جواب بالثلث.. !
الحسين : ربما جاوبت عنهن جميعا
فقضيت الدين عند اليسر لك
سعيد : أي فخر لك إذ صار إمامي ضامنك
الأعرابي : (لسعيد) يا للفخار ويا للشرف
(للحسين) ولكن.. أمثلك يسأل مثلي
لا .لا. .. وكيف ؟
الحسين : ولم لا قد كان جدي يقول ..
الأعرابي : (مقاطعا) عليه الصلاة وأزكى السلام ..
الحسين : (مكملا) بقدر المعرفة المعروف
الأعرابي : إذن فاسألني كيف تريد .. ؟
عاشق 1 : (للحسين) وديوني عمّرك الله وديني عند سعدى .. ؟
عاشق 2 : وديوني عند لبنى .. ؟
الأعرابي : أمهلاني أقض ديني
لعنة الله على سعدى ولبنى !
الحسين : (للأعرابي) أي أعمالك أفضل .. ؟
الأعرابي : أي أعمالي .. ؟ (وفجأة) إيماني بربي
الحسين : قد أجدت
الأعرابي : قد ضمنا ثلث الدين .. فأكمل
الحسين : كيف ينجو الرجل العاقل مما يهلكه .. ؟
الأعرابي : ثقة بالله تنجي الناس من كل المهالك
الحسين : أحسن الله إليك
الأعرابي : قد ضمنا ثلثي الدين .. تفضل
الحسين : فما زينة المرء يا صاحبي .. ؟
الأعرابي : هما الحلم والعلم إن صالحاه
الحسين : فإن أخطآه .. ؟
الأعرابي : (بضيق) أأخطأت ؟؟ يا للسؤال الأخير !
هذا السؤال سؤال عسير ..
(يعود إلى الإجابة) فإن أخطآه فلا شئ مثل الغنى والمروءة
الحسين : فإن لم يكن حظه منهما غير حظٍ يسير .. ؟
الأعرابي : (متحسسا) ففقر وصبر
الحسين : فإن لم يكونا .. ؟
الأعرابي : (بضيق شديد) فصاعقةٌ ما لها من مثيل
فما هو أهلٌ لغير الصواعق
الحسين : (ضاحكا) فخذ خاتمي وانصرف راشدا
كفتك السموات شر البوائق

(ينصرف الأعرابي وهو يتأمل الخاتم ويلبس العباءة متخايلا)

عاشق 1 : ونحن .. ؟ أغثنا .. الغياث .. الغياث
عاشق 2 : أتسألنا مثله في ثلاث .. ؟
الحسين : أنتما .. ؟ يالكما من قصة مشؤومة في كل يوم تتكرر
وحديث مرهق لا يتغير
شاعر هام فشبب
وأتى من بعد يخطب
عاشق 2 : فأبى أعمى وهدد
عاشق 1 : وأبو سعدى توعد
الحسين : دفع الأسلاف من أرواحهم كي ترفعوا دولتكم
فوق الدول
فإذا أنتم وما يشغلكم غير الغزل !
كل أيامكم شعر وحب وتبطل !
سعيد : (ناحية لبشر) إن هذا القول ينصب عليك
بشر : أنا أقصرت عن التشبيب منذ اليوم
فلتخفر ذمامي يا سعيد
أنا لا يشغلني الآن سوى أمر يزيد
عاشق 1 : أنت قد زوجت قيس بن ذريح لفتاة
كان قد جن بها حينا وشبب
سعيد : هو والله أخوه في الرضاعة
عاشق 1 : فلتجرنا يا مقيل العاثرين
عاشق 2 : يا إمام الصالحين
الحسين : (ضاحكا) لست والله إمام العاشقين !
عاشق 2 : (بلهفةِ أشد) يا ملاذ الطائعين !
الحسين : آه يا فتية نجد والحجاز
جازت الدنيا بكم والله لما أقبلت شر مجاز
عاشق 1 : قد كتمت الحب في القلب طويلا
فإذا ما فاض بي الوجد فنفست قليلا
أخذوني بالذي أعلنته أخذا وبيلا
عاشق 2 : ومضت تعلنني بالبغض هلا كتمت بغضي ساعة
وأنا من لم يبح بالحب حتى كوت النار ضلوعه
الحسين : أمهلاني يا خليليّ فنحن الآن في أيام جد وخطر
نذر جاءت .. أما تغني النذر .. ؟!
عاشق 1 : أنا لا أفهم هذا كله يا ابن أمير المؤمنين
إن سعدى أعرضت عني فلا طلعت من بعد شمس في سماء
عاشق 2 : ما انشغالي بسوى لبنى ، ولبنى هي عقلي والجنون ؟
إن لبنى هي همي ونعيمي وشفائي والعزاء .. ؟
الحسين : شاع في أعطافكم حب الترف
فانصرفتم عن لبانات الشرف
وشغلتم باحتياجات البطون
وتركتم كل شئ لولاة عرفوا أنهمو لا يسألون
فصنعتم بتخليكم عن الأمر صفوفا من رجال فاسدين

عاشق 1 : أنا لا أحسن فهم الأمر كله
الحسين : قيمة الإنسان فيما يحسنه
عاشق 2 : (يقاطعه مندفعا) إن للعشاق دولة
الحسين : (مستمرا) فلتقل لي ما الذي تحسن أعرف من تكون
بشر : أي شئ تحسنان .. ؟
سعيد : عاشقان خائبان
ما أرى أيهما يحسن حتى أن يحب
الحسين : ثم قولا لي بحق الله مما تطعمان .. ؟
عاشق 2 : لأبي مال وفير .. وعطاء
الحسين : إن خير القوت ما يكسبه الإنسان من كسب يديه
أفلا أطعمت نفسك .. ؟
عاشق 2 : أئذا نحن كسبنا عيشنا ساعدتنا .. ؟
سعيد : قسما بالله ما تنشغلا بالعيش حتى تنسيا
عاشق 1 : فإذا نصحك لم ينفع أخا شوقٍ شريدا مستهام ؟
سعيد : (ضاحكا) فهو أهل للصواعق !
الحسين : فارجعا إن أذن الله تعالى بعد عام
عاشق 2 : بعد عام ؟! إنما العام طويل ، هو دهر
عاشق 1 : فلنقل من بعد شهر
الحسين : يبلغ الإنسان ما عز عليه
إن سعى فيما تمنى ، وصبر
ارجعا لي بعد عام حيثما كنت بإذن الله في أي بلد
اذهبا .. لا تستعجلا العام ولا تستأنيا
هكذا الإنسان منا يملأ الدنيا ضجيجا وزحاما
وهو لا يملك حتى أيسر العلم بما تكسب النفس غدا
أو بعد غد
لا .. ولا في أي أرض قد تموت
عاشق 1 : أنت مسؤول أمام الله إذ تتركنا نتلف عشقا .. ؟
الحسين : (ضاحكا) لا تخافا فلتعودا بعد عام لنرى
واطمئنا .. إن بعد العسر يسرا
عاشق 2 : كن كما علمنا الأجداد والآباء عن جدك يا سبط الرسول
الحسين : كان إن مازحهم ينطق صدقا
سعيد : (ضاحكا) كيف بالله تقول .. ؟!
بشر : أنتما والله مجنونان حقا
عاشق 1 : (لسعيد) هو راعينا
عاشق 2 : ومسؤول أمام الله عن حق الرعية

(ينصرفان)

الحسين : إن الرعية تشتكي حيف الرعاة .. وأشتكي حيف الرعية

(أصوات من بعيد كالأنين)

الأصوات : علي يا ثأر الله .. علي يا ثأر الله
سعيد : أسمعتما ذاك الأنين .. ؟!
الحسين : تالله ما انقطع الأنين من البشر
رجل يطوف الطرقات : الفجر يوشك أن يؤذن
قوموا عباد الله صلوا الفجر قوموا
الحسين : (للرجل) يا شيخ .. ما هذا العويل .. ؟
الرجل : الناس مذ علموا بموت معاوية
وأشيع بينهمُ هلاك الطاغية
يتذاكرون أمامهم يا ابن الإمام ويندبون على القتيل

(يسير الرجل حتى يختفي وهو يردد)

الرجل : يا نائمين إلى الصلاة .. إلى الصلاة .. إلى الصلاة

(الأصوات تقترب على إيقاع حزين)

علي يا ثأر الله .. علي يا ثأر الله
علي يا سيف الله .. علي يا ثأر الله
يا سيف الله المسلول
قل لحسين المأمول
خلّصنا من حكم الفجرة
يا حيدرة .. يا حيدرة

(يمر رجال بالمسرح ويختفون متجهين إلى المسجد)

الحسين : هذا صريخ المسلمين أبي
فكيف الصمت عن مستصرخين .. ؟
يأبى علي الصمت , ثأر الله يا أبت .
وأخلاقي وأعراقي وديني !

(يندفع رجال آخرون من بينهم بعض الذين رأيناهم في المنظر الأول)

رجل 1 : يا ابن ثأر الله أنقذنا
رجل 2 : لقد طاردنا جند الأمير
رجل 1 : هاجمونا في المساجد
رجل 3 : هددوا إن لم نبايع ليزيد
يسقط السيف على كل الرقاب الخاشعة
رجل 1 : جلدونا كالعصاة
بشر : الطواغيت البغاة
رجل 2 : جلدوني وعيالي ينظرون
رجل 1 : جلدوا جدي الصحابي الجليل
رجل 3 : إننا نحمل بالسيف على بيعة جبار عنيد

سعيد : كيف نرضى بيزيد والحسين ابن علي بيننا .. ؟!
بشر : (للحسين) فارم من شئت بنا
فلنزلزل دولة البغي وأركان الخنا
رجل 2 : إننا أحفاد أجناد الرسول
سعيد : نحن أجناد علي لم نزل خير الجنود
رجل 4 : نحن من مصر .. وقد قال رسول الله عنا أننا خير الجنود
أسد : يا حسين ابن أمير المؤمنين اعدل قليلا عن عنادك
سعيد : (لأسد) أنت قد أصبحت ذيلا لأمية
أسد : إنني أوفى له منكم جميعا لو علمتم
إنما أدعوا إلى ما فيه خير للجميع
إن تنازلت قليلا يا حسين .. !
سعيد : لعنة الله على من باع للحاكم حق الآخرين
عله يكسب أمناً بعد خوف
بشر : أو لكي يمنحه المنصب شيئا من شرف
أسد : أنا ما بعت وما يرشون شيخا صالحا مثلي له مال وفير
سعيد : ربما ترشى قلوب في الصدور
الحسين : (منتفضا) يا أيها الناس أتدرون لماذا عاقب الله ثموداً قوم صالح .. ؟!
لم يكن قد صنع المنكر منهم غير واحد
غير أن الله قد عم ثموداً بالعقاب
فلماذا .. ؟
إنهم قد سكتوا عمن عصا الله وعموه جميعا بالرضا
ولهذا عمهم سوء العذاب !
إنما أهلك من قبل القرى
أنهم لم يتناهوا أبدا عن منكر قد فعلوه
ولهذا ...
أسد : (مقطعا) حسبنا ما سال فينا من دماء
الحسين : إنني مثل أبي أعزَف أهل الأرض عن سفك الدماء
أسد : وإذن فلتحذر الفتنة واصنع ما تشاء
الحسين : ما عسى يصنع من سد عليه البغي أقطار الفضاء .. ؟
أسد : فلتبايع ليزيد
وتجنب فتنة يكثر فيها القتل والحرق وألوان الخراب
ثم لا تحرج صدور الشرفاء
سعيد : اهذ يا شيخ .. اهذ أيضا .. كل شئ بحساب !
بشر : أتخم الشيخ فما يرجو مزيدا ..
الحسين : يا شريف القوم قد بايعت بالأمس يزيدا
فأجبني .. هل تحبه ؟
أو ترضاه أمير المؤمنين .. ؟
أسد : (محرجا متلعثما) أنا .. ؟ لا .. لكنها
يا ربما كانت هي الحكمة .. حقنا للدماء
الحسين : أنت ذا تصنع شيئا لا تحبه .. !
أكثر الناس ضلالا عارفٌ بالله لا يهديه قلبه
أسد : أنت في دنياك لا تصنع ما ترضاه لكن ما يجب

ولقد تلزمنا المصلحة العليا بما يرفضه القلب لنا
مثل أن نمضي في تأييد ما لا نرتضي أو لا نحب
وبهذا نتقي الفتنة ما بيننا
الحسين : قسما بالله ما أنشد فتنة
أنا لا أنشد ملكا بينكم
فأنا أزهد أهل الأرض في هذا
- وإن كان لي الحق عليكم -
إنما أنشد أن أصلح في أمة جدي ما استطعت
إنما أنشد أن أرفع جور الحاكم الظالم عنكم
أنا لا أبغي سوى الإصلاح فيما بينكم
فإذا وافقت أعذرت وإن أفشل عذرت ..
وإذا هم قتلوني دون ما أنشد من خير لكم
فلقد وفيت لله ديوني وقضيت
بشر : لا بل تعيش على مدى الأيام
تهدي الحائرين على الدوام
رجل2 : لا بل يموت الجاحدون عليك حقك يا حسين
سعيد : بل كل ما طلعت عليه الشمس أو غربت ..
فداؤك يا حسين
الحسين : اليوم هاأنذا أحاصر ها هنا في أرض جدي
لن يهدأوا عني إذا لم أعطهم ما يطلبون
ولا أمان إذا سكت ..
أسد : يا أيها الراعي تقدم فالرعية تتبعك
بشر : ستسير فيما بيننا ما لا نطيق من الحروب الفاتكات
سعيد : (لأسد) ثكلتك أمك ما تطيق سوى مضاجعة الجواري العازفات
بشر : اسلك بنا لجج المحيط فلن نبالي ما يكون
الحسين : لا بل عزمت على الرحيل فلا لجاج ولا خصام
بشر : ماذا ستصنع بالرعية يا إمام ؟
الحسين : أنا لم أصر بعد الإمام ولم يبايعني أحد
رجل 1 : لا .. لا تهاجر عن مدينة جدك ... ابق هنا لأهلك
رجل 2 : إن المدينة قلعتك
سعيد : أقبل إلينا في العراق فكل أبناء العراق يبايعونك
رجل 4 : أقبل إلى مصر ، ومصر جميعها في طاعتك
وجنود مصر مثلما قال الرسول المصطفى خير الرجال
رجل 1 : لا بل إلى اليمن الأبي فهم حماتك إن ذهبت وأنت في اليمن المسود
وهناك تمنعك الشعاب ولا تسلمك الجبال
الحسين : أنا ذا أهاجر في سبيل الله للبيت الحرام
رجل 4 : ستكون بعدك قيصرية
أسد : بل قد تودعنا أمية
رجل 1 : (للحسين) أتخاف بطش ابن الحكم
الحسين : أنا ما على نفسي أخاف وما أفر من المخاوف
بشر : إنا حصونك فامتنع بسيوفنا
الحسين : إني أخاف على الحقيقة والعدالة والسلام

أو ما ترون كما أرى .. ؟
في كبرياء الشر يحترق المساكين الحيارى
ولسوف ألزم ما حييت هناك أكناف الحرم
حيث الجميع يعيش في أمن به حتى الحمام
بشر : فمن يأمر بالمعروف من بعدك ؟
ومن ينهى عن المنكر .. ؟
إلى من يلجأ الفقراء في يثرب من بعدك .. ؟
الحسين : عساني أن أجئ مكة أن تنقشع الغمة
فلا يغشاكم قتر ولا ترهقكم ذلة
سأبقى في حمى الكعبة
فلا يحبس أو يقتل في حقي إنسان
ولا يأخذكم بي كيد مروان

(أذان بالصلاة)

صلاة الفجر !
أدعو الله أن يهدينا للحق والخير

(يدخلون إلى الصلاة)

بشر : إلى من تترك الملك ؟؟ إلى من تنتهي الدولة ؟
الحسين : أنا لا أنشد الملك كما قلت
ولكني أريد الخير للأمة
أنا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر
بشر : إلى من يشتكي المكروب من بعدكم كربه !

المنظر الرابع

(أمام قبر الرسول " ص " والناس ينصرفون بعد الصلاة .. الحسين واقف على القبر في خشوع .. والجو يغمره جلال خارق .. نحن بعد صلاة الفجر)

الحسين : يا رسول الله قد جئت إليك
الحسين ابن علي وابن بنتك
هو ذا قد لاذ بك
يرتجي رحمة ربك
فأعنه يا رسول الله .. فالليل ثقيل !

سعيد : (للناس) اتركوه أيها الناس وعودوا
فهو الآن يناجي جده في خلوته

بشر : بأبي أنت وأمي يا حسين

(الناس يخرجون)

سعيد : (لأسد) أنا ذا ماضٍ إلى الكوفة ، فلتأت معي

أسد : بعد يومين سأمضي برجال القافلة

سعيد : (بسخرية) ألبيع وشراء أم تزور الضيعتين .. ؟

أسد : (غاضبا) فهما رزق حلال ساقه الله إلي
فلماذا تنفس الرزق علي ؟

سعيد : آه لو لم أك في هذا المكان القدسي .. ! ..
اخرج الآن بنا نحو البراح
حيث فحش القول في مثلك يا شيخ مباح

(رجل 4 يتلفت حوله ثم يمسك القبر بضراعة من ناحية أخرى ويهمس لنفسه)

رجل 4 : خرج الناس جميعا .. لم يعد إلا الحسين
أهل مصر حملوني دعوات
غير أني خائف أن أرفع الصوت بها
(لنفسه) لم لا تدعو وقد أصبحت وحدك ؟!
ادع الله يا شيخ بلا خوف .. تكلم يا ولد !
ادع عن أهل البلد
يا رسول الله أدركنا .. أغثنا ..
يا منى العين .. المدد !
يا إلهي أنت أدرى بالذي نطلب منك
فاستجب يا رب للمظلوم وانصر أهل مصر

أنا ذا أدعوك عن أهل البلد
ارفع النقمة عنا والغضب
ولِّ فينا خيرنا .. وانتقم من ظالمينا
يا إلهي انصر حسينا
يا إلهي وله الأمر علينا
أنا أدعوك بدمعي وبقلبي
أهل مصر كلهم يدعون أن ترفع عنا نقمتك
قد دعوناك فلب
أنا ذا أمسك شباك نبيك
فأعنا وأغثنا والنبي !

(يخرج الرجل 4 وكان هو آخر من تبقى .. لم يعد بالمكان غير الحسين)

الحسين : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذ أبعد عنك
وأنا قرة عينك
إنني أرحل عن أزكى بلاد الله عندي
خراجا بالرغم مني ..
غير أني ..
أنا لا أعرف ما أصنع في أمري هذا فأعني
أنا إن بايعت للفاجر كي تسلم رأسي
أو لكي يسلم غيري .. لكفرت
ولخالفتك فيما جئت للناس به من عند ربك
وإذا لم أعطه البيعة عن كره قتلت !
وإذا عشت هنا كي أحشد الناس عليه
خاض من حولك بحرا من دماء الأبرياء ! ..
موقف ما امتحن المؤمن من قبل به ،
أو سيق إنسان إليه .. !
امتحان كامتحان الأنبياء !
أترى أمنحه بيعة ذل ؟
بعدها آمن في بيتي وأهلي
مثل شاة في قطيع !!
ثم أسقي الناس خمر الراحة الممزوج بالذلة
في كأس بديع من ذهب !؟
أم ترى أجهر بالثورة في وجه الطغاة ؟
لا أبالي بالذي يحدث منهم
إذ يجدون ورائي في الطلب !؟
مستخفّا بالحياة
بحياتي وحياة المسلمين الآخرين .. ؟
موقف ما امتحن المؤمن من قبل به
أو سيق إنسان إليه !
امتحان كامتحان الأنبياء !
آه لو تنكشف الغمة عن عيني كي أبصر أبعاد الطريق ؟

إنما تغطش عيني سحابات الهموم !
مثلما تخفي رياح أثقلت بالرمل إشراق الربيع !
ما عسى أن تبصر العينان في ليل بهيم
طمست فيه النجوم ؟
ما عسى أن يبصر المحزون من خلف الدموع .. ؟
بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذ أبعد عنك !
أنا ذا أخرج من أرض الوطن !
(يكاد يجهش فيبادر بالتماسك محدثا نفسه)
عمرك الله تماسك يا حسين !
أنا ذا أرحل مقهورا – ولا حيلة – عن أرض المدينة
ملعبي عند الطفولة
ومراحي في الشباب
ومنار العلم والدين ومهد الغزوات
حرم الله وحصن الذكريات
ومثابات الخيال
آه يا نبع الأماني الشريفة
أنا ذا أخرج منها هائما تحت الظلام
أنا ذا أحمل آلامي وأحلام الجميع
كالمسيح المضطهد
تتلقاه حراب الظلم في كل بلد
وهو يمضي يغرس الأقدام في شوك السلام
ليزيح الشوك من كل الربوع !
مثل موسى خارجا يوجس خيفة
هاربا من بطش فرعون إلى التيه الفسيح المترامي
ما على النفس يخاف
إنما يشفق من أن يغلب الظلم ودولات الضلال
إنني أخرج كي أنقذ أعناق الرجال
إنني أخرج كي أصرخ في أهل الحقيقة:
أنقذوا العالم ، إن العالم المجنون قد ضل طريقه
أنقذوا الدنيا من الفوضى وطغيان المخاوف
أنقذوا الأمة من هذا الجحيم

(يخرج رجل من وراء القبر ويتجه إلى الحسين .. فإذا هو محمد بن الحنفية)

محمد : قد قضى الله على الفتية أن يأووا إلى الكهف قديما
الحسين : (يعانقه) يا حبيبي يا محمد .. !
محمد : (مستمرا) عندما قامت لأهل الشر دولة
الحسين : فإذا الجور يعربد .. (صمت)
إنني أعرف هذا يا أخي .. يا ابن أبي
محمد : فتذكر أن للظالم صولة
الحسين : قسما لن أترك الظالم حتى يأخذ المظلوم حقه
محمد : عندما كنا بصفين – ألا تذكر ؟ - ناداني أبي ثم أعطاني لواءه

الحسين : رحم الله أبانا يا محمد
محمد : لم أكن أولى بذاك الأمر منك
غير أني لم أزل أذكر شيئا قاله إذ ذاك عنك
قال لي ما في هذه الأرض فتى
فيه من خلق رسول الله مثل ابني الحسين
فله عينا رسول الله والطلعة والخلق الحسن
الحسين : إنه بالرغم مني يا أخي
إنني أبتعد الساعة عن جيرة جدي
محمد : إنني أذكر ما قال أبي ..
قال لي : صن ولدي فاطمة الزهراء كيلا يخلو العالم من نسل الرسول
الحسين : (بحنان) يا أخي يا ابن أبي
محمد : (منفعلا بتأثر) ما أقلت هذه الغبراء أولى بك مني ..
فاستمع لي
ما أظلت هذه القبة مثلي الآن ذا حق عليك
ولهذا أنصحك
فبحق الله أدعوك لكي تنأى بشخصك
فهمو إن ناهضتهم من أغلظ الناس عليك !
الحسين : (مقاطعا) أو أنأى يا أخي
عن نصرة الحق ودفع الظلم عن أمة جدي ؟! ..
لا بربك ،
أفتدعوني إلى بيعة طاغٍ مستبد ؟
محمد : إنما أدعوك أن تبعد عنً بطش يزيد
الحسين : إنما أدعو إلى الشورى لكي ينتخب الناس – بلا قهر – إماما
فإذا اختاروا يزيدا .. واستقاما
لم يكن في ذمتي للناس إلا الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر يا ابن الحنفية
محمد : فابعث الآن إلى الأمصار من يدعو إليك
فإذا بايعك الناس فأعلن دعوتك
وإذا ما اجتمع الناس إلى غيرك .. فالله معك
وسيبقى لك يا سبط رسول الله فضلك
وهو فضل الله لن ينقص منه بيعة الناس لغيرك
الحسين : يا لهذا الرأي ما أعرف إن كنت أراه يا محمد !
محمد : إن تكن شورى فلا خيرة فيها أو رشاد
فالذي يحكم الأمصار عمال أمية
ولديهم كل مالا يملك الصالح من قهر وترغيب وزيف وفساد
إنما أخشى عليك الناس أن يختلف الناس عليك
فإذا ما جاء هذا اليوم ويلي فلن تطلع شمس في الصباح
فإذا أنت صريع .. دمك الغالي مباح !
الحسين : فأنا أنزل مكة ..
محمد : نعمت الكعبة والله مزارا ومقاما !
إن في مكة ما شئت من الأصحاب والأهل أعزاء كراما
إن فيها منزل الوحي الأمين

الحسين : فإذا طابت لي الدار أقمت
وإذا ما كانت الأخرى رحلت
محمد : أين تمضي بعد هذا ؟
يا أخي لا تبرح الدار هناك .. ؟
الحسين : إن تضق أم القرى بي ..
فسأمضي هائما بين الشعاب
داعيا لله .. للحق .. مثيراً من هم تحت التراب !
إن هذا لمصيري .. قدري يا ابن أبي
محمد :لا تسلك الطرق الفساح فقد يطاردك الجنود
اسلك طريقا ليس يعرفه الوليد
الحسين : أأحيد عن طريقي حذار الموت ؟ لا ... أنا لا أحيد !
محمد : سر في أمان الله تكلؤك العناية

(يخرج محمد بعد أن يعانق الحسين ويبقى الحسين وحده)

الحسين : ربي .. إلى من توكِل العبد الضعيف ؟
أنا ذاك أدعوك مثل جدي
حين طارده رجال من ثقيف
قد أتاهم بالهداية :
" إن لم يكن بك رب من غضب علي فما أبالي ! "
إني فزعت إليك من دنيا يزيد
وهرعت نحو رحابك القدسي بالخير الطريد
وبكل أحلام السلام وكل آمال العدالة
أنا ذا لجأت إليك يا ذا الحول والجبروت يا رب الجلالة
بضني الفقير وعزة المستضعفين
فليفعل الأعداء بي ما يشتهون
أنعم علي بفيض نور بصيرتك
أنا لن أذل بعز جاهك
يا من أرجى نوره الوهاج في سود الليالي
أنعم علي بفيض نور بصيرتك
لأرى الطريق إلى النجاة !
أنعم علي برحمتك
ليظل قلبي قلعة للحب لا تتسلق الأحقاد فوق جدارها
أو يسرب الشنآن من أبوابها
أو تضرب الأطماع في أسوارها !
يا منتهى الرغبات يا أملي وغاية كل غاية
أنت البداية والنهاية
يا أيها الموجود بالذات العلية
يا عالم الأسرار وحده
يا أيها المعشوق وافاك المحب يبث وجده
فامنحه شيئا من رضاك
وأفض عليه بحكمتك

فأرى الصواب من الجنون فلا أضل ولا أُضل
أنا ذا أذوب وأضمحل
وليس بالمعشوق بخل
إني أعيذك أيها المعشوق عن كل الصفات
فأنت موصوف بذاتك
أنا لست أطمع في العبارة
فالعبارة قد خصصت بها الكليم
إني لأضرع طالبا منك الإشارة
فالإشارة رائد فوق الطريق المستقيم
إن كان ما بي مطمع للملك والمجد المؤثل
إن كان ما بي رغبة في أن أكون أنا أمير المؤمنين
إن كنت مفتونا بأعراض الحياة ولا أحس
إن كان ما بي شهوة للملك لكن لا تبين
قد خالطت كوساوس الشيطان عقلي فالتبس
ومضت تخادعني لتبرير الخطيئة مثل آدم
فأظن أن تطلّبي الدنيا دفاعا عن حقوق المسلمين
وأخال أن تطلعاتي ثورة ضد المظالم
إن كان بي هذا الفتون
إن كان بي زهو خفي لابس الزهد التقي
فاسكب على قلبي شعاعا من جلال حقيقتك
لأرى اليقين
لأرى الحقيقة والخديعة في الذي هو كائن حولي
وفيما قد يكون

(يرتمي منهكا على قبر جده .. ويتمدد وراء القبر بحيث لا نراه .. ومن ناحية أخرى تقبل أخته زينب)

زينب : يا حسين يا أخي .. يا ابن أمي وأبي
يا حسين أين أنت .. ؟
أنا ذي زينب جئت
محمد : (يأتي من وراء القبر) اتركيه إنه أغفى قليلا
زينب : اصح للخيرات .. إن الشر صاح
محمد : اتركيه إنه طيلة ليل الأمس ما أغفى هنيهة
هو يا أخت يعاني مثلما عانى المسيح
استريحي أنت يا أخت هنا
زينب : يا أخي هيهات لي أن أستريح
محمد : ما الذي جاء بك الآن إلينا ؟
زينب : أرسل الوالي رجالا يطلبون ابن أبيك
أرسل الوالي رجالا في السلاح
أقبلوا تحت سواد الليل أرتالا من الليل البهيم
هكذا نصبح يا ابن الحنفية
هملا ينذرهم جند أمية

محمد : وبماذا .. أنذروا يا ويحهم !
زينب : أنذروا إن لم يجئهم وحده قبل الضحى مستسلما
لأتوه ليجروه إليهم مرغما
محمد : (غاضبا) رغمت أنف يزيد والوليد
من ترى يرغمه .. ؟ والله لا يرغم إلا أن نبيد
زينب : إن ضوء الصبح لاح
محمد : انقضى الليل وكم ليل ثقيل سيولي يا أُخَيَّة
الحسين : (من وراء القبر) أنا ذا آت يا جدي
أنا لا أحنث بالعهد (يظهر)
أنا ذا آت يا أمي
أنا لا أنكص عن وعدي
أنا ذا آت يا أبتي
أفسح لي ركنا عندك
أنا ذا آت يا عمي
يا حمزة يا خير الشهداء
زينب : (تسرع إليه) بل أنا أفديك من الموت
محمد : (يحيطه بذراعه) حسين .. لا بأس عليك
الدنيا ترخص فيك فداء يا ابن علي والزهراء
الحسين : أهذا أنت .. ؟ ألم ترحل .. ؟
زينب : لا بأس عليك أخي
الحسين : أهلا بعقيلة أهل البيت
لماذا جئت ؟ (صمت) لماذا جئت .. ؟
زينب : قل لي أنت
– فداك الدنيا – لم بالله ذكرت الموت
الحسين : بان الرشد من الغي
وهداني جدي للرأي
غفوت قليلا فحلمت
حلمت بجدي يأمرني ألا أقعد عن باطل
ورأيت أبي يبتسم إلي ويدعوني
وأمي تنتظر قدومي
وحلمت بعم أبي حمزة
زينب : (تقاطعه وهي تتماسك كيلا تبكي) لا توجع قلبي
نحن فداؤك
الحسين : (مستمرا) يناديني بأبي الشهداء
وبشرني جدي بمكان في الجنة قرب مكانه
إذا أنا ما استشهدت دفاعا عما جاء لتبيانه
يا للبشرى يا أخويّ .. !!
زينب : أأنت تبشرني بالثكل ؟!
أنا أمك مذ قضت أمك
فهي أوصتني وهي تموت ألا أغفل عن أخويّ
قالت لي كوني أمهما من بعدي (تكاد تبكي)
الحسين : (مداعبا كأنه يسري عنها) أم أصغر من ولديها

ما أروعها تلك الأم

زينب : فأنا أسألك بما للأم على ابنٍ بَرٍّ من حق
إلا ما أحسنت إلي
فهل أنصحك نصيحة صدق .. ؟

الحسين : (في رقة ودعابة يحاول أن يسري عن أخته التي تكاد تبكي ولكنها تتماسك)
أأسأت إلى أمي الصغرى .. ؟ حاشا لله
أأسأت أنا لعقيلة بيت رسول الله .. ؟

محمد : لا تأت بذكر الموت أمام عقيلة أهل البيت .. كفى !
فكم ذا حملت من أحزان

الحسين : الله لزينب كم حملت آلام لم يحملها غير نبي
إلا أن الناس ودائع سوف ترد !

زينب : فلتهرب

الحسين : سأهاجر يا أختي في الله إلى مكة

زينب : وأنا معك إلى مكة

الحسين : فإذا نوديت .. فلا مهرب

زينب : فلينهض غيرك للأشرار
فليس لأهل البيت سواك

الحسين : جف القلم بما كان !

زينب : (منفجرة) يا أخي اذكر أننا في زمن لا يطلبك

الحسين : إنما أطلب للناس الهدى

زينب : الرجال اليوم لا يرضون إلا بملك
لم يعد بعد مكان لإمام أو خليفة
أهدرت كل التقاليد الشريفة
إنهم لا ينشدون اليوم إلا حاكما يعطي ويمنع
حاكما يعرف ما يبتاع منهم .. ثم يدفع !
لم يعد للشرع سلطان على الناس فنحن الآن في عصر البدع
عربد الشيطان في الأسواق والناس جميعا يتبعونه ..
هو ذا يشري نفوس الناس في سوق المدينة .. !

محمد : يا أخي فليأو من آمن بالله إلى الكهف
عسى أن ينشر الله عليه رحمته

زينب : (مستمرة) يا أخي إن مزاياك لتغري بالحسد
أنت لا تحمي مزاياك بشئ ما يريح الحاسدين
لا بضعف لأحد
أو هنات أو مداراة .. ولا حتى تنازل !

الحسين : أتراني أترك الحق لأبتاع رضا الناس بباطل .. ؟!

زينب : (مستمرة) إنما تمشي على حد صراط مستقيم
ولهذا صرت لا مطمع فيك .. !
أنت لا تصطنع الناس بشئ

الحسين : أصواب ذاك يا أختي أم ذاك خطأ ..

زينب : (مستمرة) فتذكر أقرب الناس إلينا
كيف كانوا من أبيك .. ؟

محمد : لست أنسى عندما جاء عقيل ابن أبيه

يطلب الرفد فما أعطاه شيئا
غير نعلين وثوب
فتولى في غضب !

الحسين : كان هذا حقه لا شئ بعد

زينب : فمضى ينشد من خصم أخيه الرفد .. يا للذكريات !
أنسينا كم من الأموال أعطاه ابن هند ؟

محمد : ألف .. ألف !

الحسين : يومها ظل أبي يبكي ويبكي ويقول
" مات والله أخي .. مات عقيل "
يومها خاصمه مسلم ابنه !

محمد : ابن عمي مسلم غير أبيه

زينب : كان معاوية يصطنع بمال الدولة أنصارا
وكان أبي يتحرج من أن ينفق حتى دينارا
في وجه غير شؤون الأمة
قد باع أبي قرطا فضيا كانت أمي تلبسه
وضم الثمن لبيت المال .. أجل ضمه !!

محمد : دولة قامت على الأطماع والخوف فماذا أنت صانع .. ؟
ما عسى أن تصنع إن صرت أمير المؤمنين

زينب : يا إمام الصالحين ؟!
ما عسى تصنع في أهل القطائع .. ؟!
ما عسى تصنع فيمن أترفوا بيت مال المسلمين
ما عسى تصنع فيهم ؟!
في قصور شيدوها ، وجوار قد شروها
وعطايا منحوها ؟؟!

الحسين : مثلما سار أبونا رحمة الله عليه سأسير
ليس هذا كله حقاً لهم !
إنه حق الرجال الفقراء العاملين
فسأبقي لهم حقهم المشروع وحده ..

زينب : أترى تنزع منهم أرضهم ؟

الحسين : لم لا .. ؟

محمد : وجواريهم وقد أنجبن أولادا وأصبحن حرائر .. ؟

زينب : أترى تنتزع الأموال منهم .. ؟

الحسين : هي ليست حقهم

زينب : ولهذا يرهبونك
ستراهم أغلظ الناس عليك
كل من صار له شئ من المال هو الآن عدوك
أم ترى تحرمهم من كل ما يمنحهم عزة الدنيا وجاه الكبرياء
وأفانين متاع كالخيال
بعد ما قد سلموا من أجله أثمن ما عند الرجال ؟!

محمد : ليست العزة والعفة والخير احتكار الفقراء
إنها تسكن أحيانا قصور الأغنياء !

الحسين : (حاسما) لا ورب البيت حتى ينفقوا أموالهم في الصدقات

زينب : الآن .. يقترب الضحى
وسيقبل الجند الغلاظ ليحملوك إلى الأمير

الحسين : سأسير من فوري لمكة بالنساء وبالعيال

محمد : فأقم هناك بحار زمزم والمقام
أقم هناك ولا تطأ أرضا أصاب بها الغنى
من يقتضي ثمن الضلال

الحسين : سيري بنا .. إنا تأخرنا .. وقد أزف الرحيل

محمد : أفلا تعود إلى المدينة بعد هذا يا أخي .. ؟
أترى تعود ؟

الحسين : الله يفعل ما يريد !

المنظر الخامس

(قاعة في بيت الحسين بمكة .. الجارية ريحانة تنسق الرياحين في آنية وسكينة بنت الحسين إلى جوارها تساعدها .. المكان يغمره ضوء النهار .. وبه شرفة تطل على الكعبة وباب على اليمين يفضي إلى الداخل وباب إلى اليسار يقضي إلى الخارج)

ريحانة : يا سيدتي
سكينة : لا تدعوني يا سيدتي .. أفلم أنهك عن هذا ؟
ريحانة : أنا جاريتك يا سيدتي
سكينة : لكنك مني كالأخت .. ريحانة أخت لسكينة

(تمسك بكومة زهور ورياحين)

أتيت ببستان الزهر ! ..
ما هذا ؟ .. هذا كله !!
ريحانة : بالأمس رأيت أباك الصَّالحُ مهموما
فتذكرت كلام حكيم من قومي
والحكمة منبعها وطني .. في أذربيجان
قال الحكماء قديما ...
سكينة : (ضاحكة) الحكمة في كل مكان
ريحانة : (مستمرة) قالوا أن شذى الريحان
شفاء من برْحاء الفكر
فجئت بهذا الريحان
وأنا أعلم أن أباك يحب العطر
سكينة : يا ثرثارة

(الحسين يدخل باب اليسار فتخف إليه سكينة وتسلم عليه باحترام)

.. أبتي ..
الحسين : (يتأمل الريحان) ما أجمل هذا الريحان
(يذهب إليه)
يا للزهر المنضود
(يشمه) أنفاس عَطِراتٌ عبقة
هذا من زهر الجنة
أسكينة بنتي من وضعته ؟
سكينة : قد جمعته ريحانة ..
الحسين : (مبتسما) سنعتقها قربى لله

في هذا اليوم المشهود !
سكينة : أتعتقها في ريحانة .. ؟
الحسين : قد حيتني بتحية
سكينة : وكم حيتني يا أبتي .. ؟!
الحسين : (مستمرا) فرددت عليها بالأحسن !
ريحانة : فلا والله لا يعفيني من خدمتكم إلا موتي
الحسين : يا ريحانة أتخافين الحرية .. ؟
لماذا يخشى بعض الناس الحرية ؟
ريحانة : لا أشعر أني جارية في هذا البيت
أشعر أني واحدة من أهل البيت
الحسين : فوا آسفا أن يرفض عبد أن يتحرر
مهما يكرمه السيد !
لك ما شئت .. فأنت لدينا كسكينة
سكينة : أتعدل بي بنتاً أخرى وأنا أشبه بالزهراء
ريحانة : (ضاحكة) أتغار سكينة من ريحانة .. ؟
(تجري ضاحكة) سكينة غارت من ريحانة

(تدخل من باب اليمين)

سكينة : أمنزلتي من موقع أمي في نفسك
أم تأتي مما لي عندك ؟!
الحسين : لججت علينا بمزاحك
(مفكرا ثم ضاحكا) منزلتك تأتي من أمي لا من أمك
فلأنك أنت شبيهة جدتك الزهراء ..
سكينة : (تقاطعه) وأنا نفسي يا أبتي
ما قدري النابع من ذاتي ؟

صوت بشر : (من الخارج) يا أهل البيت
الحسين : ادخل يا بشر

(تسرع سكينة ناحية باب اليمين)

(يدخل بشر من باب اليسار .. بعد أن تكون سكينة قد خرجت من باب اليمين)

بشر : سعيد جاء من الكوفة يحمل خرجين معا
ويصمم أن يدخل بهما
ويرفض إجراء التفتيش على ما يحمل في الخرجين
الحسين : ومتى كان لنا حجاب دون الباب ؟
متى يا بشر غدا فتياني حجابا ؟!
ومتى كنا أهل البيت نفتش حاجات الأصحاب ؟!
بشر : أمر صدر إلى فتيانك منذ اليوم !
الحسين : أبهذا قد أمر ابن العم ؟

(يتجه إلى الباب الأيمن ويصيح)

زينب .. أين مضى زوجك .. ؟

(يدخل ابن جعفر من ناحية اليسار)

ابن جعفر : أنا ذا عدت ..
الحسين : أنا في مكة من شهرين
فماذا جد لتصنع هذا يا ابن العم ؟
ابن جعفر : الجديد اليوم ما أعلنه الباغي يزيد
وعد الفاسق من يأتي إليك به حيا أو ...
إلهي .. كيف أكمل !؟
الحسين : لم لا ؟ قلها إذن .. أو ميتا .. قل يا ابن جعفر
وبماذا وعد الفاسق من يقتلني ؟
ابن جعفر : أن يولى ما يشاء
وله في كل عام ألف ألف
الحسين : (مستخفا مداعبا) ألف ألف كل عام .
ولماذا عمرك الله إذن أبقيتني
أفلا سلمتني .. ؟
(ضاحكا) قم فسلمني .. ثم ..
لا تضيع هذه الثروة منا يا ابن جعفر
فإذا فزت بها فلنقتسم
ابن جعفر : يا ابن عمي يا حسين
الحسين : قسما لو أغري المرء بمال مثل هذا
عن بنيه لرماهم عن رضا (يضحك)
كم من الناس له القوة أن يمنع نفسه ؟
(ضاحكا) بعضهم من تحت إغراء كهذا ربما أسلم رأسه (صمت)
آه من طول الطريق
آه من قلة زادي فيه .. وا خوفي من سوء الرفيق !
ابن جعفر : يا أخي جنّبك الله مشقات الطريق
الحسين : أفلا تدخل ضيفي .. طال والله انتظاره ؟
ابن جعفر : هو لن يدخل حتى يفحصوا كل متاعه
الحسين : إنه يحمل لي كتبا من الكوفة
لا شئ سوى هذا .. فأدخله بربك
ابن جعفر : رب سم في كتاب
إنهم قد يًشربون السم أحشاء الورق
إنهم قد حشدوا ضدك أطماع الرعية
ربما أخفى لك الخنجر من تحت الثياب
الحسين : من ؟ سعيد ؟ إنه من خير فتياني جميعا
ابن جعفر : بعد إغرائهم هذا لمن يوقع بك
أنا لا آمن إنسانا عليك !
أنت ضيفي ها هنا أنت ومن جئت بهم

فلتدعني أرع ضيفي كيف شئتُ

الحسين : أفلا آمن لمثلي ها هنا في البلد الآمن في دار السلام
حيث لا يذعر حي ها هنا حتى الحمام ؟

ابن جعفر : كان عمي أعدل الناس فما نجّاه عدله
كان يستنكف أن يجعل حراسا عليه ..
كان والله يصلي عاري الصدر بلا درع يقيه
ولهذا نفذ السيف لقلبه
ونجا طاغية الشام بدرع لفه من حول صدره
وبحراس أشداء يحيطون به حتى إذا أم الصلاة !
يا ابن عمي إنما الحيطة من حسن الفطن
إنه أقسم أن يأخذك اليوم إذا لم تمتثل
غير أني يا أخي استمهلته حتى أراك
فلتهادئه قليلاً يا ابن عمي ريثما يهدأ عنك
فإذا ما انحسرت موجته فلترحل

الحسين : فإذا لم أهادنه .. وهاجرت بفتياني وأهلي ؟

ابن جعفر : أرسل الأجناد من خلفك لا يلوون حتى يرجعوك

الحسين : فإذا ما لذت بالكعبة كي آمن في جار الحرم ؟

ابن جعفر : هدم الكعبة فوقك !

الحسين : يهدم الكعبة من فوقي وأنتم تنظرون .. ؟!
أي ذل بعد هذا .. أي ذل !

ابن جعفر : فلتهادنه قليلا يا ابن عمي فالسياسات حيل
أنا أدعوك إلى شئ من الحكمة والريث لتدبير الأمور
لِن قليلا يا أخي لا تنكسر
انحن الآن لإعصار النذي
واستقم ما شئت بعده
هكذا تنجو بنفسك
هكذا تسلم رأسك
هكذا تحفظ ما تنهض له
(فجأة) أعلن البيعة حتى تهدأ الثورة عنك
فإذا استقويت فانقض بيعتك

الحسين : (حزينا) آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة !
هكذا أصبح الخير طريدا يتوارى في الخرق !
وغدا الحق شريدا
يدريه البغي من أفق لأفق !
والدنايا تزدهي بالطيلسان
فإذا الباطل فوق العرش وحده
في يديه الصولجان
ملكه الزيف وأسراه الدموع
تنحني من دونه كل الفضائل
يتلمسن لديه البركات !
عندما تقتحم الحدأة أسراب الحمام
عندما يغشى ركام الرمل أكناف الربيع

عندما تصبح دِنياكم نفاقا ورياءًا ونعيما من جنون
عندما يصبح ذُل الخوف سلطان القلوب
فإذا الإنسان يستخفي بتقواه بعيدا
ويباهي بالذنوب
عندما يصبح طول العمر نارا وعذابا
للرجال الصالحين
عند هذا ما انتفاعي بالبقاء ؟!
عندما تغدو التقاليد العريقة
تحت أظفار الوحوش الكاسرات
عندما يعلو على همس التقيّات النقيّات
صراخ الفاجرات
عند هذا تفقد البهجة معناها النبيل !
عندما يخفق ضوء النجم في الليل الثقيل
عندما تبطل أحكام الشرائع
عندما تحيا البدع
عندما يصبح للزيف والبهتان دولة
عندما تتخذ الحكمة معناها من الإذعان كي تصبح ذلة
عندما يختلط الظل مع النور ويعلو الزور أعراف النبالة
عندما تضطرب الدنيا فلا ندرك فرقا بين حمق وبسالة
عندما يصبح للإرهاب سلطان على النفس الأبية
ويصير الصمت والإذعان من حزم الأمور
عندما نصبح في عصر الخطايا والندامى المضحكين
عندما ترتفع الدولة فوق الكذب والبهتان
والتزوير والظلم وتزييف الحقائق
حين تغدو دولة الكذاب والقرّاد
لا يعلو بها صوت سوى صوت المنافق
عندما تفترس الدولة من ينقدها
عندما تنتهك الدولة من يسندها
عند هذا ما انتفاعي بوجود لن أطيقه ؟؟
آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة !
رأس يحيى وهو قديسٌ نبيّ
بالذي فيها من الحكمة والعلم وأحلام النعيم
جُعِلَت مَهرَ بغيّ
من بغايا أورشليم
آه ما أهون دنياكم على طفل الحقيقة !

المنظر السادس

(في الكوفة بعد العصر يجلس مسلم بن عقيل في ساحة بيت المختار الثقفي تحت شجرة وارفة .. مختار الثقفي وهو أحد كبار شيعة علي يأتي مهللا من باب في الصدر يطل على الشارع)

المختار : أصبحت في يدك الكوفة منذ اليوم يا مسلم فاصنع ما بداك
بايع الناس جميعا للحسين
مسلم : وإذن يا أيها المختار فلنبعث إلى مكة من يستقدمه
المختار : فلتعجل بأبي أنت وأمي أينعت كل الثمار ..
مسلم : أنا ذا ماض لكي أكتب له
المختار : غير فأنّا لم يزل ينقصنا بعض السلاح
لعنة الله على التجار غالوا في الثمن
مسلم : ما احتياجي للسلاح ؟
المختار : ربما شبت هنا حرب يديل السيف فيها
من ذوي التقوى وأرباب الصلاح
وإذن فلنتجهز لاحتمالات القتال
قد مضى الناس إلى قصر الدعي ابن زياد لحصاره
آه لو كان لدى الناس سيوف ورمحا !
لأزاحوا الفاجر السفاح من دار الإمارة !
مسلم : نحن والله حشود وحشود
ولدينا كل ما يمنحه الحق من القوة والعزم الشديد
المختار : كيفما كنا فلن تغنينا الكثرة عن هذا السلاح
نحن نحتاج إلى أسلحة يا ابن عقيل .. ولمال
لم لا تأتي لبيت المال كي تأخذ منه
كل ما قد يعوزك ؟
إن بيت المال يا مسلم لك !
مسلم : لم يجئ بعد الإمام المرتجى
فيولي فوق بيت المال من يستأمنه ..
المختار: أنت مبعوث الإمام
مسلم : لا ورب البيت لا أقرب هذا المال
إلا بعد ما يأتي وندعوه إماما
وأمير المؤمنين
ويوليني على المال فلا أقربه إلا بأمره
المختار : لم يعد يسعفنا الدين ولا حتى التبرع
أنا أدرى الناس بالكوفة يا مسلم
إنا إن طلبنا واستدنا
فوق ما كنا أخذنا

برم الناس بنا .. !
مسلم : نحن كلفناك من أمرك عسرا
المختار : لا تقل هذا جزاك الله خيرا
نحن لا نفعل ما نفعل إلا توبة لله عما كان منا
قد غفِلنا ابن أبي طالب حتى قتلوه بيننا
فهو ثأر الله فينا !
مسلم : إن عمي هو ثأر الله حقا
المختار : (مستمرا) قد عرفنا بعده نار الندم
وبلونا بعده ذلّ الخضوع
آه ما أتعسنا يا ابن عقيل ! (صمت)
(فجأة) ما الذي يطفئ نيران الندم ؟
مسلم : فيضان من دموع ؟!
المختار : بل بحار من دماء .. !
أي عين تملك الدمع الذي يطفئ تلك النار
قل لي أي عين ؟!
وإذن يا ابن عقيل لبكينا وبكينا
وغسلنا بدموع الندم الصادق أقدام الحسين !
آه لو تمتلئ العين دموعا
قدر ما يضطرم القلب بأهوال الحريق !
آه لو تسطع أنوار الهدى
قدر ما تظلم أنحاء الطريق !
وإذن لاستخلص التواب
من نار الجوى الخالد قلبه !
وإذن يرحمه الرحمن أو يغفر ذنبه ..

(يدخل شيخ من باب الصدر .. الشيخ هو زيد ابن أبي أرقم)

زيد : أيها المختار بشرى .. نجحت خطة مكرك
المختار : كيف يا زيد ابن أرقم ؟
مسلم : إنهم قد حاصروا قصر الدعي ابن زياد !
زيد : حوصر العقرب في النار وما عاد له من بعد مهرب !
المختار : (فرحا) وإذن فليلسع العقرب نفسه !
زيد : وقع الذئب ابن مرجانة في قاع الشرك
المختار : فهو الآن أسير
وقصارى ما يرجى اليوم أن ينقذ رأسه
(يتجه إلى السماء صائحا)
ايه يا روح "علي" باركينا في سماواتك يا روح الإمام المرتضى
يا "علي" قد ثأرنا الآن ممن غصبوا حقك غدرا
يا إمامي ادع لنا ربك يقبلنا بما تبنا إليه !
ولئن صحت لنا توبتنا
لتولانا ابنك البر الإمام المرتجى !
مسلم : هيئ الآن رسولي للحسين ابن علي فأنا مستقدمه !

المختار : عجل الساعة يا مسلم فاضرب ضربتك
سر إلى القصر فلن يأتمر الناس بأمر غير أمرك
مرهم أن يقتلوه
مرهم أن يحرقوا القصر على من فيه .. إن لم يمتثل
وسأمضي الآن بالناس لكي نقتحم القصر على رأس الفساد
مسلم : بل تمهل أيها المختار ما جئت لأقتل
المختار : وإذن يا ابن عقيل ؟
مسلم : أنا ما جئت لكي ألقي سيفا بل سلاما
المختار : مثلما جاء المسيح ؟!
مسلم : حسبنا يا أيها المختار أن ننفي عنا ابن زياد
المختار : إنه في قبضتك
وهو إن أفلت منك اليوم لن يشبع من سفك الدماء
مسلم : (متردداً) إن في القصر نساء وصغارا أبرياء
المختار : (محتداً) فتذكر أنه قاتل أطفال ابن عمك
وتذكر أنه هاتك أعراض النساء
وتذكر كيف عانى الناس منه
إن هذا مجرم لا حق له
مسلم : أنا ما جئت لكي ألقي سيفا بل سلاما

(يدخل عمر ابن سعد ساحة البيت من الباب المفضي إلى الشارع)

عمر بن سعد : ولهذا قد أتيتك
المختار : ما عسى تطلب منا يا عمر ؟
ألكي تشفع في أمر الدعي ابن زياد يا ابن سعد ؟
عمر : إنني ما جئت أستشفع إلا في صغاره
المختار : وصغار الآخرين ؟
يا ابن سعد بن أبي وقاص .. هل جئت إلينا تلبس الباطل بالحق وتحتال علينا ؟!
عمر : ابن مرجانة سفاح .. ولكن من ولي الدم فينا ؟
إن هذا لولي الأمر يا مختار .. هذا لأمير المؤمنين !
المختار : من ؟ يزيد ؟ أتسميه أمير المؤمنين ؟
عمر : أنا مالي بيزيد أيها المختار .. ما لي بيزيد أو زياد لعنة الله عليهم أجمعين !
لست أعني بأمير المؤمنين
غير مولانا " الحسين بن علي "
عندما يأتي إلينا بعد حين
عندما يقبل للكوفة كي يلقى هنا أهلا وسهلا
عندما يغدو إماماً وأمير المؤمنين !
عندها يقتص ممن قتل النفس بلا نفس ولا ذنب عظيم أو فساد
عندما يأتي " الحسين بن علي " سيقاضي ابن زياد !
سيقاضيه ولن يثأر من أبنائه أو من نسائه ..
لا ولن يثخن في الأرض ولن يغلو يوماً في عدائه !
مسلم : إن هذا لهو الحق المبين
زيد : إنه حقٌ يراد الباطل المنكر به

عمر : إنما جئت إلى مسلم أستحلفه باسم الرحم
لست أرضى أن يقول الناس قد أثخن مسلم !
المختار : لا تسخر صلة الرحم لما فيه صلاحك
أين كانت صلة الرحم التي تذكرها
عندما كنا نجوب الأرض كي نجمع أموالاً لمسلم ؟
زيد : آه .. آه .. يا ابن سعد
إنما تسعى لما فيه نجاةً لأميرك
ما أميري ابن زياد .. إنني أفضل منه
المختار : أنت كاتبت يزيدا تطلبه ..
زيد : (مكملا) عندما جاء إلينا ابن عقيل
عمر : (متجها لمسلم) إن هذا كله لغو وهزل
(غاضبا) أنا لا رد لكم عندي دعوني وابن خالي
أنت يا مسلم قد جئت لكي تدعو للحق .. أجل !
كيف بالله إذن تمشي إليه في طريق المبطلين ؟
مسلم : أنا أمشي في طريق المبطلين ؟
عمر : بحصار القصر والقصر ملئ بالصغار الأبرياء الضعفاء
من عسى تقصد من هذا الحصار ؟
مسلم : من عسى أقصد غير ابن زياد .. ؟
عمر : فابن مرجانة والله عتلٌ وشديدٌ وزنيم
وهو قد يقوى على هذا الحصار
إنما حاصرت في القصر الصغار
إنما حاصر في القصر النساء
فانظر الآن طريقك
المختار : إن من يدلج نحو الشمس لا يشغله الليل البهيم
عمر : أطريق ابن عقيل لينال الحق أن يهلك أطفالاً صغارا .. !؟
لا .. فما الباسل من يصنع هذا
بصغارٍ أبرياء ونساء
ليس هذا بالطريق المستقيم
فاستشر قلبك فيما أنت صانع
زيد : (لعمر) أنت ما تنطق إلا باسم أصحاب القطائع ...
عمر : (مستمرا لمسلم) استشر فيه دواعي نجدتك وتخيّر لعوالي همتك
إنه عهدٌ أنا المسؤول عنه عن غريمي ابن زياد
إنه يرحل عنا عندما تنهي الحصار
أيها الباسل ذو النجدة فلتختر لنفسك
المختار : هي ليس سمعة الباسل ما يعنيك بل مصلحتك
زيد : لست والله بناصح
عمر : في طريقي لابن مرجانة لن أدهس أعناق نساءٍ أو صغار
مسلم : أصدر الأمر إليهم أيها المختار أن فكوا الحصار
(لعمر) وعليك العهد أن يرحل عنا ابن زياد بعياله
عمر : فور أن تنهوا الحصار !
زيد : (مستنكرا) أتفكون حصاره ؟
مسلم : (صارخا) لا تخالفني فما أفسدكم والله إلا أنكم كنتمو خالفتمو عمي أمير المؤمنين !

أنا ماضٍ أكتب الآن كتابا
للإمام المرتجى ابن العم كي أستقدمه
زيد : وإذن قد أفلت الذئب فلن تدرك من بعدُ غباره .

المنظر السابع

(في بيت الحسين بمكة .. الحجرة التي شاهدناها في المنظر الخامس ..الحسين ومحمد بن جعفر وزينب)

(يدخل سعيد وعلى كتفه خرجان)

الحسين : ماذا وراءك ؟ كيف الصحاب ؟ أقابلت مسلم ؟
سعيد : ما أمامي أو وراءي يا إمامي هو ما فوق الكتف
(يرمي الخرجين) خذ وعد
إنها والله آلاف الرسائل
كلها تدعوك للكوفة فورا
إنما أقسم أهل المصر ألا يدخلوا الجامع إلا بالحسين
قد دعوناك إلينا مرتين
فلماذا لم ترد .. ؟
أنت مسؤول بهذا الصمت عما يحدث اليوم لنا
الحسين : أنا أرسلت ابن عمي مسلما .. فلماذا لم يعد ؟
لم يصلني منه ما يجعلني أخرج بعد
سعيد : يا إمامي إن أهل الكوفة الأبرار يلتفون حوله
كلنا يتبع ظله
الحسين : يا صديقي فلتعجل لي بما أرسل مسلم
سعيد : هاهنا عشرون ألفا ..
لست أدري أيها لابن عقيل
آه .. لا ..
(يفتش صدره)
بل هنا في كتب الأشراف لا ريب كتاب ابن عقيل
(يخرج من صدره عددا من الكتب ويسلمها للحسين)
الحسين : (يقرأ) من حبيب .. من برير ..
هو ذا .. لا .. إنه من أسد
أسد ؟ يا عجبا !
هو ذا .. لا .. إنه ابن عوسجه
(يقلب أيضا) ثم نافع
هو ذا .. من مسلم
(ينشغل بالقراءة في كتاب مسلم وغيره من الكتب)
سعيد : يا إمامي طاب والله الجناب

إن في الكوفة آلافا من الأسد الغضاب
زأرت تحت عرين الحق ما ينقصها إلا الإمام
إنني خلفت آلاف التواتر
كلها تمضي بأمر ابن علي عندما يأمر لا تسأله فيما أمر
زينب : وكم ألف سيف وراء الرسول .. ؟!
سعيد : هنالك والله خمسون ألفا
يضئن لعمري ظلام الليالي إذا ما استللن
يزحزحن شم الجبال الرواسي ويفلقن هاماتها إن وقعن
زينب : أزحزحن واليكم من مكانه ؟
سعيد : ولكننا في انتظار الإمام
فإن قال شيئاً صدعنا بأمره
ابن جعفر : أتدونه وعليكم أمير
سعيد : أمير !؟ .. أمير ؟! ..
أتعرف كيف استطاع الوصول لقصر الإمارة ؟
لقد جاء مستخفياً في لثام
وحط على منكبيه العريضين بردا يشابه برد الإمام
فهب إليه رجال السواد يحيونه بسلام الإمامة
(ضاحكا) لقد حسبوه الإمام الحسين ! لقد جاء مستخفيا في لثام و حط علي منكبية العريضين بردا يشابه برد الإمام فهب إليه رجال السواد يحيونه بسلام الإمام (ضاحكا) لقد حسبوه الإمام الحسين.
ابن جعفر : و بعد ؟!
سعيد : و ما دخل القصر حتى أطل علي الناس من شرفة القصر يشتم
و قال يهددهم : " إنني أنا ابن زياد أنا حتفكم "
فجاوبه الناس مستهزئين بتهديده الأجوف البربري و أزدروا علي نطقه الأعجمي
زينب : سينزل ضربته بالقوي و يقسو عليه فيخشى الضعيف ...
سيعطي الدنئ إلي أن يعز بجاه الغني فيذل الشرف .
سعيد : و لكننا قد أخذنا عليه وجوه البلاد و نحن بهذا سددنا ذرائعه للفســاد
فما يخرج اليوم إلـي المسجد الجامع
فقد أقسـم النــاس ألا يصــلوا بغيــر " الحسين ".
زينب : أخاف عليه انتفاض الرفيق و غدر الصديق و كيد الحليف ...
و لست أراكم له حافظين أأنتم له ويحكم حافظون ؟
سعيد : كما نحفظ القلب بين الضلوع .
زينب : فان هم رموكم بجيش عظيم ؟
سعيد : إذا نحن سرنا وراء " الحسين " فنحن برايته الغالبون .
زينب : (في وجل) فإن غلبوكم و فيكم " الحسين " أمير اللواء ؟
سعيد : فهذا قضاء . ! و ما حيلة المرء عند القضاء .... ؟
زينب : فما تصنعون إذا غلبتم ؟
سعيد : (مستسلما) كما يفعل الفتية المؤمنون إذا وقعت نازلات القضاء .
الحسين : (بحسم و هو يدس الكتب التي كان يقرؤها في صدره) أنا ماض للعراق
سأطوف بالكعبة سبعا ثم أمضي للعراق
(لزينب) استعدي أخيه أنا ماض برجالي و نسائي و عيالي أجمعين .
زينب : (خارجة) هكذا !؟ وإذن فليسدل الله علينا ستره فليبلغك السلامة .

سعيد : (يصيح فرحا) أبشروا أهل العراق
الحسين بن علي قادم من ساعته بعد أيام يوافي أرضكم ركْب الإمامة .
ابن جعفر : (منتفضا) لا و رب البيت لن ترحل عنا
قبل أن ينفوا من الأرض الأمير ابن زياد .
سعيد : انه في قصره مُرتهن .... هذا الأمير !
ابن جعفر : فقد يرهنكم في دوركم من الغد انه يملك في الكوفة آلات الفساد
انه يملك بيت المال
و السلطة أيضا و الضمير الميت القادر أن يلوي أعناق العباد
(للحسين) لا و رب البيت لن تخرج منا للعراق إنهم أهل شقاق و نفاق .
سعيد : لا تهنا يا ابن جعفر .
ابن جعفر : (للحسين) إنني ماض إلي مكة أستعطفه إنني مستعطف فيك إلي أعطفة .
الحسين : إنهم لن يتركوا في الجوف حتى العلقة .
ابن جعفر : ناشدتك الله أقم بيننا فما ينال منا أحد هنا
فإن غُلبنا و نحن في دارنا فالجأ إلي الكعبة فاستعصم بها .
الحسين : لن يتركوني دونما بيعة و لو تعلقت بأستارها .
ابن جعفر : فلتنتظرني يا أخي و عسى أن يجد الله لنا مخرجا .
الحسين : لا ..... بل انهض لأناضلهم
لا ..... بل انهض ضد الظلم و ضد البغي و ضد الجور
بل اخرج باسم الفقراء دفاعا عن حق الضعفاء
أنا لن أسكت عن المنكر سأناضلهم حتى الموت .
ابن جعفر : (حزينا) إن تكن ضاقت بك الأرض هنا في مكة
فأنا ماض إلى والي المدينة
فالوليد اليوم من خيرة أصحابي جميعا إن فيما بيننا ودا قديما
علّني آخذ عهدا لك بالأمان فتعيش العمر في ظل السكينة .
الحسين : أأنت ترى لي أن أتوسل في طرقات مدينةِ جدي مكانا آمنُ فيه اليوم على جسدي
و الخوف ينازعني نفسي !؟
ياللروعة ... ياللروعة... !!
و لكني أحمل رمسي فلست كغيري فأنا مطلوب للبيعة
أنا متهم و قضاتي ذؤبان الليل
أنا لا أملك حتى صمتي فبعض الصمت يدوّي في أرجاء الأرض و يلعن موقف صاحبه برضاه المذعن أو بالرفض
لا أمن لمثلي منذ اليوم .. وليل الفتنة قد أظلم
لا لمثلي يا ابن العم
سيطاردني غدر الخنجر أين مضيت
في الطرقات أو المسجد
و حين أدرس أو أتعبد
فإذا ما آواني البيت
فقد يلتسم مكاني السم
يا للروعة ... يا للروعة ...!؟
أأعيش طريدا حذر الموت
أأعيش طريدا حذر السم أو الخنجر
فبما أن الموت قضاء قد قُدر يأتي مهما يتأخر و لكيلا أسكت عن منكر

سأخرج مؤتزرا سيفي دفاعا عن شرف الأمة .. عن شرفي !
ابن جعفر : (في حزن شديد) فهو الفراق يا ابن عمي ويْلتنا هو الفراق
(يتجه إلى سعيد) الله فيكم شدّ ما أخشى عليه في العراق ! أنتم هناك تعزِلون كل يوم واليا
(للحسين) دع النساء و العيال يا حسين .
الحسين : أخاف أن ينالهم شر عظيم بعدنا
أخاف أن يُبغى عليهم ها هنا
لهم مصيري .. فليسيروا للذي خط لنا .
صوت زينب من الداخل : هو الفراق ويلتا هو الفراق !
الحسين : (حزينا) أجل الفراق الوامق المشتاق
أسير تحت الليل من مدينتي مهاجرا بعزتي
تطوف بي النجوم في الآفاق .
ابن جعفر : (منفجرا) لا .. لا .. فديتك لا بل تقيم هنا منيعا بين أهلك
لا بل تقيم هنا عزيزا في الحجاز و لن تُنال .
الحسين : بل لا محيص و لا فِكاك فقد خرجتُ أسدُّ أبواب الضلال.
ابن جعفر : بل .. فلتقم وعلي عهد أن تؤمن يا ابن عمي فاطمئن .
الحسين : هذا مصيري أن أسير لرد غاشية المظالم و القضاء علي الفتن .
ابن جعفر : إن كان حتما أن تسير فسر إلى أرض اليمن
فهناك شيعتنا فداؤك و هي حصن إي حصين
و هناك تحميك الشعاب و لا تُسلمك الجبال .
الحسين : أنا لو لجأت إلى الجحور فإنهم لن يتركوني
حتى ينالوا بيعتي أو يقتلوني
و هناك في أرض العراق معذبون استصرخوني .
ابن جعفر : (مقاطعا) يا ويلتا .. ماذا تقول؟
الحسين : أم أنت تنصحني بأن أرضى الدنيّة ألكي أعيش لبعض عام؟
فسينتهي الأجلُ المقدّر ذات يوم في الحياة الدنيوية
و إذن فكيف يكون في الأخرى مقامي
(صارخا) أني لأدعوكم جميعا آل عبد المطلب ..
سيروا معي لنقيم أمر الدين أو تكفوه سوء المنقلب
هبوا لكي تحملوا العدالة و الشريعة و السنن
و لتنصروا القدر المهين
من جاء فاز و من تثاقل ...... فإنه الفتح المبين .
ابن جعفر : أوّاه قد نفَذ القضاء !
الحسين : نفذ القضاء فلا عدول و لا هرب ....
ابن جعفر : (يمسك بسعيد و يهزه غاضبا) لعنة الله عليكم إنكم لن تنصروه ..
سعيد : (غاضبا) لا... أبيتُ اللعن ... مهلا ! إنه ثأر أبيه ...
ابن جعفر : (متجها إلى الشرفة ناظرا إلى الكعبة)
رب إني أسأل اللطف علينا في القضاء
عندما يحمل عُمال يزيد بالأماني التي تفتن الأتقياء
و بأجناد تثير الرعب في أعماق أقوى الأقوياء
(في فزع) لهْفَ نفسي إنها للقارعة .
زينب : آه لو تدفعُ عنه الكيد آلاف القلوب الضارعة .

سعيد : إنما تدفع عنه الغدر آلاف السيوف القاطعة .
ابن جعفر : (مختنقا) يا الهي إنهم لن يتركوه لن يكفوا عنه حتى يقتلوه !
الحسين : (جليلا) ليست العبرة في قتل "الحسين"
إنما العبرة فيمن قتلوه .. و لماذا قتلوه !
ابن جعفر : (في يأس هائل) سيظلون ملوكا يتوالون على عرش مكين مطمئنا !
الحسين : (مستمرا في جلاله) إنما العبرة في ثأر "الحسين"
أنا ثأر الله إن مت شهيدا فاطلبوه فاطلبوا الثأر من السفّاح أيا ما يكون .

المنظر الثامن

(دار هانئ بن عروة , حجرة مغلقة مسدلة الأستار فيها فراش يرقد عليه رجل مسن تحت الغطاء .. يدخل هانئ بن عروة , و معه مسلم بن عقيل و يسدل هانئ الستائر و ينظر من نافذة جانبية ثم يسدل ستارا محكما . يدخل بعدها زيد بن الأرقم .. خلال هذا كله ترتفع أصوات المنادين من الخارج تدوي و كأنها تحاصر الموجودين في الحجرة)

الأصوات : يا أيها الناس اسمعوا
فلقد توالت عنكم نذر الأمير
و ذلك الإنذار الأخير :
من ظل محتفظا بسيفه
من لم يُبلّغ باسم ضيفه
من لم يُبلّغ شرطة الوالي بأسماء الرجال الخارجين على أمير المؤمنين
من يخف إنسانا يميل إلى حسين
من يخف مبعوث الحسين و من يساعده على إخفاء نفسه
من لم يساعدنا و يرشدنا
و يجعل نفسه عينا لنا
يصلب على باب المدينة
من خاننا هُتِك نساؤه
من صار جاسوسا لنا نال الذي يرجوه منا

هانئ بن عروة : لقد أفات الصيد فلينطلق كما شاء مستهترا في البلاد.
زيد : (مكملا) يعربد في حرمات الرجال و يعبث ما شاء
أو يستبد يشيع الفساد و يرشوا العباد
و يقمع بالسيف من لم يطع و يقهر بالمال أهل الطمع .
ابن عروة : سيملأ بالخوف قلبَ الأبيّ .
مسلم : و يملأ بالشك عقل التقيّ رويدك يا ابن عروة .
شريك : فلنستمع لبيان الدعي

(يرتفع من الخارج صوت أسد مناديا)

أسد : يقول الأمير لمن حاصروا قصره منذ يومين :
هاتوا السلاح فإن تعط سيفك تحصل على وزنه ذهبا و تسُرّ الأمير
و من لم يسلمه يقتل به و ما من ملاذ و ما من مجير .
شريك : لأما ذلك صوت أخينا أسد ؟
زيد : هذا لعمرُ أبي صوته ... صوته الجوهري !
ابن عروة : فكيف تغيّر ذاك التقيُّ ليصبحَ بوقاً لذاك الدعيّ .....؟

و ما زلتُ أذكر حسن البلاء له في جيوش إمامي علي !

شريك : و كم من مواقف خاضها في زمان الرسول .

أسد : (من الخارج) و من دلّ شُرطَةَ قصر الأمير لضيف غريب لدى جاره فإن له فوق ما يشتهي .

مسلم : (منتفضا) أتسمع هذا ؟ فلا أمن لي ها هنا يا صديقي و لا أمن لك ؟

زيد : لقد قلب الناس ظهر المجن .

ابن عروة : يجور الولاة فتأتي الفتن .

شريك : أقم ها هنا يا فتي ... و اطمئن .

مسلم : و لكنني يا شريك العزيز سأوقع في مأمني بابن عروة

ابن عروة : أما أنت من أهل بيت النبوة ؟
فنحن نصونكم بالدماء
أقم ها هنا يا أخي ما تشاء فما هو بيتي بل بيتكم
أقم إن دوني و دون مسلم بن عقيل أسودا شداد .
سيمنعنا فتية من مراد ..
و هم و أبيك رماة عتاة بسهم القضاء
سيمنعنا ها هنا فرسان مذحج من كل ضيم و هم لا يُسامون من ظالم و لا يسكتون على طاغية
يؤيدهم كل أحلافنا كماة الحواضر و البادية
جموع تضيق بهن البطاح نقيع يبرقع وجه السماء .

شريك : أما لكما في مقال مفيد يقبل الثأر و يأسو الجراح ؟

ابن عروة : فما الرأي إلا الذي يرتئيه شريك بحكمته العالية

شريك : فماذا نريد ؟ و ما هي أمنية المتقين و أهل الصلاح؟

زيد : نريد الخلاص من الجائرين و من هذه الفئة الباغية

مسلم : فكيف السبيل و كيف الوصول ؟

شريك : فلابن زياد – على كل ما فيه – حرص علي كحرص البخيل

ابن عروة : كحرص الذليل على أن يكون له صاحب ذو مكان جليل .

مسلم : (ساخرا) أيحرص هذا الدعي اللئيم على أن يواصل أهل التقى ؟

زيد : كأنا جواهر تيجانهم
تحلي رءوسهم الخاوية
كأنا حلي بسوق الرقيق
يحلي بها تاجر غانية

شريك : لحرص ابن مرجانه أن تكون له شهرة بصداقتنا
سيأتي إلى فما زرته و قد أبلغوه بأني هنا .

ابن عروة : أجل .. لأمراء .. سيأتي الدعي يعود شريكا مع العائدين .

شريك : و تلك هي الفرصة السانحة
فقف ها هنا من وراء الستائر فإن أنا ناديت : (سلمى .. سليمى ..)
فأسرع بسيفك و اضرب بقوة .

مسلم : (مستنكرا) أأفعل هذا بدار ابن عروة ؟؟

زيد : فما من سبيل لنا غير هذا على ابن الدعي .

ابن عروة : أجل إنها الفرصة السانحة .

زيد : و يا رب يوم أتي نعوض فيه الذي فاتنا البارحة .

مسلم : أأغدر بابن زياد هنا ؟ فعن مثل هذا نهانا النبي ! فربك يمكر بالماكرين .

(زيد وابن عروة وشريك يتحدثون إليه بسرعة و شئ من الغضب في محاولة للإقناع كأنهم يحاصرونه)

ابن عروة : و ما ابن زياد سوى غادر شديد الضراوة باغ عتي إذا ما وفيت لمن يغدرون فإنك تغدر بالأوفياء .
ابن عروة : و أيقظ ما في وفاء الرجال هو الغدر بالعصبة الفاتكين .
مسلم : (في ضيق) فما الغدر من شيم الصالحين .
ابن عروة : تقدم بربك و اضرب بسيفك باسمِ ضحاياهم الأبرياء
تقدم تقدم فطول التأمل و الله مجْلَبَةٌ للتردد.
زيد : و تلك لعمري هي المجْبنة .
ابن عروة : (يسحبه من يده) تعال هنا و اختبئ .. و استعد .
شريك : أترحمه و هو في فجره ؟ ألا فارحم الناس من شره!
ابن عروة : (ما زال يسحبه) لقد وقع الصيد فلتقتنص !
زيد : فهيهات هيهات تأتي الفرص !
ابن عروة : تقدم و اصنع للخائفين حياتهم الحرة الآمنة .
صوت من الخارج : الأمير بن زياد قادم .
ابن عروة : (يدفع مسلم ابن عقيل) اختبئ أسرع .. هنا خلف الستارة (و يسرع إلى باب على اليسار لاستقبال ابن زياد) .
شريك : و تقدم عندما تسمعني أهتف : (سلمى أو سليمى)
زيد : و سأختفي أنا خلف الخزانة
(يعود هانئ من الباب اليسار و هو يرحب بابن زياد بإشارات مبالغ فيها و يدخله قبله .. ابن زياد في ثياب فاخرة جدا يدخل في أبهة مثقلا بالحرير و الذهب)
ابن عروة : مرحبا أهلا و سهلا بالأمير ابن زياد شرفت و الله داري بك حقا (يهيئ له مقعدا ظهره إلى الستار التي يختفي وراءها مسلم) ها هنا اجلس يا أمير .
ابن زياد : أنت يا هانئ أبطأت علينا بالزيارة ... قد أتينا ... و تركنا الناس في قصر الإمارة .
ابن عروة : مرحبا يا ابن أعز الأصدقاء قسما بالله ما أخرني عنك سوي أن ابن عمي ....
ابن زياد : (مقاطعا لشريك) يا شريك أنا لم أعلم سوي أمس بهذا المرض النازل بك يا منار العلم لا بأس عليك أفلا تطلب شيئا ؟ .... كل ما تطلبه بين يديك .
شريك : لا ... و جوزيت بما تصنع في هذا البلد .
ابن عروة : جاءني ابن عمي في إحدى الزيارات القصيرة ...
ابن زياد : (مقاطعا) هكذا ؟ لكنه خر مريضا فرقد (ضاحكا) أيها السيد ما أبلغتنا أسماء ضيفك لا تخف إنك من أهل التقي أهل .. أهل البصيرة .
شريك : (ينادي) يا سليمى .. يا سليمى .
ابن زياد : (مستمرا) إنني يا علماء الكوفة الأبرار من خدامكم
شريك : (ينادي بحدة) إيه يا سلمى .. سليمى .. ما لها لا تتقدم ؟ يا سليمى أبأذنيك صمم !؟

(يتحرك ابن زياد فيسرع هانئ يحدثه ليحتفظ بوضعه و ظهره إلى الستار التي اختفي خلفها مسلم)

ابن عروة : أنت قد جئت هنا و الناس كانوا كلهم إلَبًا عليك كيف بالله قلبت الأمر حتى صار لك ؟
ابن زياد : (ضاحكا) قد أخفت الناس حتى رهبوا و بذلت المال حتى رغبوا

(يتحرك مزهوا و لكنه لا يغادر مكانه فيسرع هانئ فيعدل وضع رأس ابن زياد ليظل محتفظا بوضعه الأول و ظهره للستار)

شريك : (عصبيا) إيه يا سلمى .. سليمى أقبلي ..
ابن عروة : (يواجه ابن زياد ليحتفظ بوضعه و ظهره للستار) كيف بالله نجحت ؟
ابن زياد : (في زهو) لست من شذاذ خلق الله لكني أمير يتسلط و يسوس الأمر بالحكمة من غير تخبط .
شريك : (غاية في العصبية) إيه سلمى .. يا سليمى .. كل ما قام على الكذب أو القهر سيسقط .
ابن زياد : يا شريك أنت قد برحت العلة بك
(ثم)
أنا قد أقسو قليلا فاعذراني أن قسوت
فلأمر ما فعلت إنني أن لم أخفهم لأخافوني فضعت ...
و أساس الحكم في الدولات خوف و طمع
فسأعطي طامعا حتى ليشبع
قدر ما أرهب خائفا حتى ليهلع !
هكذا .. يخضع لي من ليس يخضع
شريك : ستظل عمرك تندم ما بال سلمى تحجم ؟ سلمى سليمى .. ويحها لا تقدم !
ابن زياد : ما باله .. أسفي عليه يقول ما لا يعلم أتراه يخلط هكذا في علته ؟!
شريك : سلمى .. سليمى أقدمي فالصيد يفلت يا سلمى .
ابن زياد : أسفا عليه فكيف ينجو و هو يهذي هكذا من محنته .

(ينهض)

شريك : سلمى .. سليمى .. قد هلكتِ و قد هلَكتْ .
ابن زياد : (و هو يخرج لهانئ) ارع ابن عمك ما استطعت .
ابن عروة : لا بل أقم فينا فإنك ما أكلت و ما شربت .
ابن زياد : (يتحرك) شكرا و دام الخير عندك يا ابن عروة .
ابن عروة : (يتشبث به) حق الضيافة يا أمير .
ابن زياد : عوفيت يا ابن عروة .... قد أطلت .
شريك : (في جنون) سلمى .. سليمى أقدمي سلمى و إلا فاتنا الأمل الأخير .
ابن زياد : (مستمرا) و هناك في قصر الإمارة في انتظار أميركم عمل كثير .

(يخرج و من ورائه هانئ و تسمع صوت ابن زياد في الخارج)

ابن زياد : ارع ابن عمك يا ابن عروة جيدا فلدائه داء خطير .
زيد : (يدخل من وراء الخزانة غاضبا) ضاعت الفرصة منا للأبد .

(يعود مسلم من وراء الستار)

شريك : (لمسلم) عمرك الله لماذا تتردد ؟
ابن عروة : (عائد من باب اليسار) لِمَ لَمْ تُجهز عليه ؟
مسلم : منعتني منه والله تقاليد الفتوة .
فلقد يؤخذ من في البيت بي من غير ذنب يا ابن عروة .
ابن عروة : فأنا من دبر الحيلة لك !
مسلم : (مستمرا) ثم إني مؤمن بالله و الإيمان قيد .
شريك : (غاضبا) و أنا لست بمؤمن ؟!
زيد : و أنا من أهل بدر .
شريك : أنا جاهدت من خلف رسول الله في بعض وقائع .
و شهدنا و عرفنا و علمنا إنما الحرب خدع .
مسلم : نحن لسنا الآن في ميدان حرب !
شريك : كم مضى الآن على الهجرة يا هذا الفتى ؟
مسلم : انقضى ستون عاما .
شريك : كنت في الهجرة في نحو الثلاثين فكم عمري ؟ .. أتحسب ؟!
قد بلونا ما بلونا و عركنا ما عركنا و عرفنا من صراع الحق و الباطل ما ينزله الغدر بنا .
زيد : الإمام المُرتضى لم يخسر الإمرة إلا بالفضائل .
ابن عروة : و أسف ابن أبي سفيان فيها فكسب .
مسلم : ليس بالمؤمن غدر و الحياة اليوم ليست مصيدة .
ابن عروة : الحياة اليوم ليست غير صياد و صيد .
شريك : غير مقتول و قاتل .
زيد : فإذا لم تكن القاتل أصبحت القتيل .
شريك : هذه الدولة يا مسلم تكذب
هذه الدولة قامت بالرذائل
ابن عروة : إنها دولة قطاع الطريق .
زيد : من يعامل هذه الدولة بالصدق و بالتقوى هلك
إنهم يقتنصون الرجل الصادق منا في فخاخ من كذب .

(صوت أسد من الخارج)

صوت أسد : من لم يبلغ عن غريب عنده أو عند جاره
من ظل محتفظا بسيفه من لم يفدنا بالمساعدة التي تفضي بنا لمكان مسلم
سيموت مصلوبا على باب المدينة ثم ينصب فوق داره
مسلم : (في رعب) لله ما هذا الوعيد ؟
صوت أسد : أما الذين يسارعون إلى التعاون و التطوع بالمساعدة المفيدة
فلهم كما يتخيرون من الهدايا و السبايا و المناصب و الذهب .
ابن عروة : هكذا لا يغدر المؤمن .. لكن ويحه يغدر به !

زيد : (مكملا) و يظل العمر لا يفتك حتى يثب الزور عليه

مسلم : (صائحا) بأبي أنت و أمي يا "حسين" !

إنني أرسلت استقدمه الكوفة من خمسة أيام فحسب .

زيد : حفظ الله "الحسين" .

شريك : و حماه الله من أعدائه فليجنبنا و إياه اله العرش سوء المنقلب .

المنظر التاسع

(الصحراء في الطريق إلى العراق .. الوهج شديد يعلن عن قيظ لا يُحتمل .. ثم أشجار و ظلال و نبع تتناثر هنا و هناك .. "الحسين" و سعيد و بِشر و بعض رجال الحسين و فتيانه الذين شاهدناهم معه من قبل)

الحسين : هنا الظل الذي تطلب .
بشر : و ماء سائغ المشرب .

(يشرب من نبع و يشرب الحسين)

سعيد : يا للوهج المحرق يا سبط رسول الله .
الحسين : (مبتسما) أولى بك أن تطرب .
سعيد : (مبتسما) أأطرب من لظى الصحراء إذ غيري في الكوفة يشجيه غناء العبد و القينة ؟
الحسين : ستخصم هذه الرحلة من أعوام تعذيبك في الأخرى بلا ريب .
سعيد : (يخلط ضحكه بضحكات "الحسين" و بِشر) لقد عذبت في الرحلة و الله بما يضمن لي قصرين في الجنة !
الحسين : (ضاحكا) يا طماع .. قصرين ؟ أما يكفيك ركن طيب فيها ؟! ألا يكفيك أن تنجو إذ ذاك من اللعنة و لو حتى إلى خيمة ؟!
بشر : سنسقي الخيل .
الحسين : و اسقوا العيس و امتاروا من الماء .
بشر : لدينا فوق ما نحتاج من ماء .
الحسين : سنمضي من غد عبر طريق موحش مقفر فلا ماء و لا شرعة و قد نلقى على الصحراء من يلتمس الجرعة .

(يذهب بعض الرجال من اليمين و اليسار)

سعيد : لن نلقى سوى الغزلان و الآرام و الطير .
الحسين : ألسن ذوات أكباد و قد يعطشن أحيانا ؟ فإن أرويت عطشان و أن أطعمت جوعان سقاك الله يوم العطش الأكبر .
سعيد : هناك أبوك فوق الحوض يسقينا .... إذن فاستوصي بي خيرا .
الحسين : لن ينفعنا إذ ذاك إلا العمل الصالح !
سعيد : يا للحَرّ (يشرب) ما هذا ! هجير دونه ما قاله العشاق في الهجر و في الوصل
الحسين : (مبتسما) و هل عانيت نار الحب من قبل ؟

(من بعيد على قمة ربوة رجل منهك محطم يضرب الصخور بسيف خشبي)

صوت الرجل : (و هو يخاطب الصخور) اختاروا لكم ميتة .
الحسين : يا لله من هذا الذي يضرب هام الصخر بالسيف ؟
سعيد : عساه عاشق جن .
الحسين : (يتقدم إلى الرجل ليتأمله و قد حجب الشمس بيده عن عينه) من هذا ... ؟
سعيد : (باستخفاف) ما هذا سوى أحد الحجازيين ممن جن في حبه
تشكل عنده الصخر على هيئة أعدائه
فهذي الصخرة الواشي و تلك الصخرة العاذل
فيا ويل الحجازيين مما تفعل الراحة و المال الذي يأتي بلا جهد و مما يفعل الحب !!
الحسين : (متنهدا) و لكننا تجاوزنا الحجاز الآن منذ عدة أيام و بي من حبها في القلب أعلاق و أشجان سلام مهبط الوحي سلام دار أحلامي .
سعيد : (وهو يتأمل الرجل) لقد أوشك أن يسقط من شدة إعيائه .
الحسين : (مناديا) عبد الله ... يا من ذرع البيداء في هذا اللظى القاتل تعال تصب هنا الراحة .

(الرجل يحدث نفسه دائما و يتحرك في عصبية و يطيح بسيفه هنا و هناك في الهواء و في الرمل)

الرجل : بكى الطفل و لكن غرست السيف في قلبه .
الحسين : (للرجل) تقدم .. ها هنا واحة .
سعيد : فما واحة من جن به العشق سوى الوصل .
الحسين : (للرجل) تقدم أيها الضارب في البيداء و استأنس من الوحشة
الرجل : (في مكانه) أنا من سار في التيه غريبا حاملا نعشه .
الحسين : فما اسمك يا رعاك الله ؟
الرجل : أتسألني !؟ .. فمن في الأرض يجهلني ؟!
سعيد : يا الهي .. إنه هذا الذي أثخن في الأرض على عهد ابن هند
إنه قاتل أشياع علي
إنه من جاء في جيش كثيف للمدينة
يأخذ البيعة منها لابن هند بعدما بويع فيها للحسن
إنه من قتل الناس على قبر الرسول
هو من أطلق جند الشام يسبون النساء.
الحسين : ذلك السفاح يا لله منه ! .. يا لثارات السماء !
الرجل : ما لوجه الأرض قد ضاق على ؟
لم أعد ألقى سوى بعض الرؤوس يتدحرجون إلى
و قبور تلفظ الأموات في وجهي
و الأشباح كالأمواج أطبقن علي !
أنا ذا أصرعها ..
أصرع من يقبل نحوي (يضرب بسيفه في الفضاء)
ها هنا من تحت هذا الرمل قد هب عدوي
أطفئوا نور النهار (يضرب بسيفه في الفضاء)
أنا ذا أحطم مصابيح السماوات العلا بالسيف ....
سيفي الخشبي

و غدا تنطفئ الشمس
و لا يبقي سوي سيفي يبرق
اطمسوا ضوء النجوم
املأوا الأرض ظلاما (يكاد يبكي)
اصبغوا الدنيا بلون مختلف !
أحطموا السيف لكي تلقوا مكان السيف نورا أو سلاما
اجعلوا نبضة هذا الكون في خفقة قلب عامر بالحب ,
لا ضربة السيف (صارخا يفزع)
أنا ذا يا ابن أبي سفيان جئتك بالبيعة من أهل الحجاز
أنا أولى منك بالأمر إذن
أن يكون مقياس هذا الأمر ما يسفك فيه من دماء
فأنا أولى بأن أدعى أمير المؤمنين
أنت لولاي لما صرت سوى راعي بعير
يا ابن هند أنا ذا من بعدما أرسيت ملكك
أنا ذا من بعدما أثخنت في الأرض لكي أدعم عرشك
أنا ذا من بعد ما أفسدت في الأرض و أهلكت لأجلك
أنا ذا أصبحت منبوذا لديك !
فلكي تبرأ من آثامك الكبرى أمام الناس ألقيت على العتبات (يبكي)
غير أن الله يعرف ! أنني لولاك ....
لولا أمرك السري بالقتل و التعذيب و التخريب ما روعت حتى أرنبا
هكذا تبدو بريئا ... و أنا أقضي حياتي مذنبا !!
هكذا تجعلني حائط مبكى أنت قد صيرت عرضي مهربك
غير أني لم أزل أفضل منك أنا أغنى من ملك
(صارخا في فزع) أنا ذا يا أيها العالم السلطان العراء ملك التيه أمير الوحش و
الطير و غيلان الفلاة (يضرب بالسيف)
انحنوا لي يا رعاياي جميعا (تسقط قطعة حجر)
هكذا تعنوا الجباه (ينصرف مترنحا)

سعيد : انه أولى بأن يقتل فيمن قتله !
الحسين : لم أعد بعد ولي الأمر كي أنزل حكم الشرع فيه به
و كفي بالقاتل الباغي قضاء الله فيه !
سعيد : أنت و الله ولي الأمر فينا .. أنت و الله الإمام .
الحسين : لا ورب البيت حتى يعطي البيعة كل المسلمين !
سعيد : فإذن لي أن أقتله في أطفال بني عمك ؟
الحسين : علمني جدي كظم الغيظ و غفر الذنب .
سعيد : أنا قاتل هذا فيمن قتل فلا تغضب .

(يسرع سعيد وراءه)

الحسين : سعيد ... لا ... قف ... لا تذهب .

(يتوقف و يتأمل رجلا عجوزا يمشي مترنحا من بعيد بين الكثبان)

سعيد : و من هذا أيضا ...؟ شيخ مجنون و الله
الحسين : أهذا مجنون آخر ؟
سعيد : مجنون من عام الفيل .. !
الحسين : (ضاحكا) انه يوم المجانين طريدي الفلوات .
سعيد : زفرتهم وقدة الحر كلفح النفثات .
صوت وحشي : و قتلتم حمزة في أحد ..
الحسين : هذا وحشي .. ويحه ! أخبره يُغيّب عني وجهه .

(يتقدم وحشي)

وحشي : (للحسين) لاتشح عني بوجهك لا تشح عني فديتك .
الحسين : أنا لا أنظر في وجه امرئ لا ينظر الله إليه
كيف ألقاه و قد مال رسول الله عنه
غادر يكسب بالغدر .. فمن يبكي عليه !؟
قاتل يطعن خير الناس في ظهره فمن يأمن له ؟

(وحشي ينصرف و يغيب وراء ربوة .. بينما تظهر زينب و سكينة من الصدر من تحت الخيام .. يظهر بشر و يقف بعيدا عنهما).

بشر : (من بعيد) فليغض الناس من أبصارهم (يختفي بشر)
سعيد : (لمن معه من الرجال) فلنسر نحن بعيدا .

(يخرجون متفرقين إلى اليسار و اليمين و تتقدم زينب و سكينة)

الحسين : (لزينب) أُخيَّه كيف وجدتِ السفر ؟
زينب : كما يجد الغائصون الدور .
الحسين : (مبتسما) أفي مثل هذا الهجير الذي يذيب الصخور و يشوي الصخور ؟
زينب : إذا كنت رائدنا في طريق فكل مصاعبه تحتقر و لكن سكينة قد أجهدت .
سكينة : أنا يا أبي ؟!
الحسين : لك الله من طفلة عابدة .
تظل لياليها قائمة .
و تنفق أيامها ساجدة
(مداعبا) و لكن شعرك يا طفلتي .
سكينة : (تتحسس طرتها) أترضيك يا أبتي طرتي ؟
الحسين : (مبتسما) ليس الرضا و هو ليس الغضب فألقي عليها بفضل الخمار .
سكينة : (غاضبة) ما قال ذلك جدي الرسول عليه الصلاة و أزكى السلام فما شعرنا عورة يا أبي لنضرب من فوقه بالحجب .
الحسين : تعلمنا بنتنا ما أباح الرسول الكريم و عما نهى
(ضاحكا) إذن يا ابنتي علمينا كذلك ما قال جدك المرتضى .
سكينة : (ضاحكة) أبي أنت أدرى بجدي الإمام .
الحسين : (مستمرا في الضحك) لا تبخلي يا ابنتي ... علميني فروض الوضوء و شرط الصلاة و فقه الصيام (يضحك هو و زينب)

سكينة : (جادة) علي أي أصل من الدين و الفقه أسست رأيك في طرتي ؟

زينب : (مستدركه لها كأنها تصلح خطأ طفلة و تعلمها) لا يا ابنتي لا تجيبي أباك بهذا الجفاف فما تحت قبتها من يوجه هذا السؤال لركن الهدى .

سكينة : (ببراءة و اعتذار) أجافية أنا يا عمتي ؟ أبي هل تراني إذن جافية .. ؟

الحسين : ما من جفاف و ما من جفاء و لكنها حدة الزاهدة !

زينب : و زهوا الشباب ..

الحسين : (لزينب) ما لسكينة إذ تستثار سكينة فاطمة أختها .

سكينة : لأنك سميتها باسم خير نساء البرية ..
بنت النبي فآلت إليها فضائل جدتها الغالية
و أما أنا فبماذا أسمي ؟
سكينة ؟ ما هذه يا أبي ؟
(يضحكون) فماذا يريبك من طرتي ؟

الحسين : فماذا أقول لسجادة ؟.. و لكنه ولع بالطرر ؟

زينب : و ماذا عليها و قد حصنت محاسنها بسياج العفاف ؟ فإن الجمال ثواب العفاف و إن العفاف زكاة الجمال .

سكينة : صدقت لعمرك يا عمتي

الحسين : حماكن يا آل بيت الرسول حفيظ السماء من الفتنة .

زينب : أخي قد أتاني رسول إليك .

الحسين : و ممن ترى جاء هذا الرسول و أين رسالته يا أخيه ؟ (زينب تطرق) إذن فالرسالة من عند زوجك .. أدي رسالته لا عليك .

زينب : قد لا تسرك .

الحسين : لا شئ منك يثير شجوني مهما يكن أمَا أنت لي أمي الثانية ؟

زينب : يقول ابن عمك وجه ركابك نحو اليمن فإن بها شيعة يمنعونك مهما يكن من ظروف الزمن فيأتي إليك رجال العراق و أهل الحجاز و من يرتضيك فخذ منهم البيعة الحاسمة و لا تمض للكوفة الظالمة فقد قتلت قبل هذا أباك .

الحسين : يا لابن جعفر .. يا لابن جعفر .. يا لرسالته اللائمة !

زينب : (مستمرة) يقول ابن عمك لا تذكر الكوفة الغاشمة و لا تركب المغشوات الجسام إلى أهلها و لا تأمنن و أنت الحكيم لجهالها فهم موقظو الفتنة النائمة فخل العراق و سر لليمن فإن شأت ألا تصيب اليمن فعد للحجاز ولذ بالحرم .

الحسين : (بمرارة هائلة) أعود و أرضى رضاء الذليل و أعلك مثل الجواد العصي حديد اللجم ؟
و حولي جبابرة يحكمون ؟!
يثيرون في القلب شتي المخاوف أو يلهبون سعار الطمع !
و ينتهكون ذمار الشريعة و الحرمات , ليحيوا البدع ؟!
و حولي الأكاذيب كالعاصفات يزعزعن إيمان أهل الورع ..
لا يا أخيه لا لن أحيد فهذا مصيري و لن أتركه
و ما أنشد الأمن حتى أعود لآمن بالعيش في ظل مكة
وما أنشد الجاه و المملكة
و لكن خرجت أرد المظالم خرجت لأقضي لله دينا تعلق للعدل في ذمتي طريقي مبين فلابد لي من سلوكي الطريق إلى غايتي .

زينب : يقول ابن عمك مستغربا : أتلقي بنفسك للتهلكة ؟

الحسين : و لكنه قدري أن أذود عن العدل مهما يقف في سبيلي هو الحق ..

أخرج من أجله فإن كان لابد من معركة
و إن كان لابد من مستشهدين فيا أملا عز من أدركه
أنا ذا خرجت بسيف الرسول و درع النبي إلى المعركة .

زينب : و نحن وراءك أني مضيت .

سكينة : يا أبي إنك لا تمضي إلى قوم نفوا عنهم عدوك إن يكونوا فعلوا هذا فأقدم .. أو فعد بي للحرم .

الحسين : إنهم بايعوني فاطمئني يا سكينة .

زينب : نحن لا نأمن أن تصبح يوما فإذا هم خاذلوك و إذا هم أعنف الناس عليك .
فلقد يلقاك بالسيف رجال بايعوك أنت أدنى لهم ممن وجوههم لقتالك .

الحسين : و جل النسوة هذا أم تأثرت بما قال ابن جعفر ؟ انه زوجك يا أختي فهل راعك أن تمضي معي ؟ أن تشائي أن تعودي ..

زينب : (مقاطعة) أأنا أجزع إذ أمضي معك ؟!
بل عيالي كلهم بين يديك غير أني ..
(تكتم وجلها ثم تنفجر) أنت نور الأرض .. أنت
إن ريحانة قلبي لَهِيَ أنت
إن نور الله يا ويلي لأنت
فإذا هم يا الهي خذلوك
فإذا هم يا الهي ....
أنا لا أقوى على أن أتخيل !
أنت ركن الدين و الدنيا .
وأرضي و سمائي و الأمل .

الحسين : أما الحياة فقد غسلت يدي منها يا أخيه .

سكينة : قلب المرأة يا أبتي لا يخطئ فيما يستشعر
عد أبتي لمدينتنا ...
عد لمدينة جدي .. أبتي ..
(تأتي فاطمة مسرعة)
سكينة حسبك لا تحرجيه دعية ليفعل ما يرتئيه

(الحسين يخرج رسالة من جيبه).

الحسين : ألم تسمعن رسالة مسلم .. فلتسمعن :
(يقرأ) الرائد لا يكذب أهله فعجل بالإقبال فقد بايعني أهل الكوفة
(يحني الرسالة و يخرج رسالة أخرى) و هذا أيضا آخر كتب رجال الكوفة
(يقرأ) عجل يا ابن رسول الله ولا تتأخر لك بالكوفة كل قلوب الكوفة ..
أقبل (يعيد الرسالتين إلى جيبه .. و يتجه إلى زينب) فبماذا أعتذر إليهم ؟

زينب : فلا أعذار و لا أوجال ..

الحسين : يا أهل الكوفة قد كفّرتم عما أسلفتم من ذنب
أنا ذا أقبل !
يا أهل الكوفة بعض الصبر
أنا ذا آت و لنا النصر
لم أخرج أشِرا أو بَطِرا
لم أخرج أطلب مملكةً

لكن كيْ أُلْقي موعظة
و لكي أنهى عن منكر
و لكي أُصلِح من حولي
و لألقي نورا في الليل
يا أهل الكوفة
أنا ذا أقبل
أنا ذا أقبل يا ابن عقيل.!

المنظر العاشر

(ساحة واسعة بالكوفة أمام قصر ابن زياد أمير الكوفة و الناس يملأون الساحة بالسيوف و العصي و السهام .. بعضهم يقف علي مرتفعات أو جذوع نخيل . و كأنهم يحاصرون القصر تحت ليل تضيئه بعض مشاعل يحملها رجال منهم .)

امرأة عجوز : بل تبوءون بعار الدهر إن مكنتم لابن زياد من أخيكم مسلم .
شاب هو ابنها : بل سنحمي ابن عقيل بالدم .
امرأة عجوز : هكذا يا ابني كن حرا كما كان أبوك .
الرجل : رحمة الله عليه . فاحفظي فرخك لا يهلك كما أبوه .
امرأة عجوز : لم يضِع يا شيخ من حارب من خلف "أمير المؤمنين علي" .
شاب ثان : نحن لن نخذل مبعوث "الحسين" .
أم الشاب الثاني : نحن دخلنا بين السلاطين ..
ابتعد حسب نفسي أنني أرملت في شرخ الصبا عندما مات أبوك النذل في حرب "علي" و ابن هند مات عني لعنة الله عليه ... و أنا لم أكمل العشرين بعد .
الشاب الأول : بل ذري طفلك يدفع معنا عن شرف الكوفة عار الأوّلين
أم الشاب الثاني : لست طفلا .
شاب 1 : (للشاب 2) أنت إن صحت سأشكوك لأمك .
الأم الثانية لابنها : لا تزدني بعد أن أرملت ثكلا .
شاب 2 : بل دعيني الآن أثأر لأبي .
المختار : (يقف خطيبا) إن خذلنا ابن علي فهي اللعنة تنصب علينا أجمعين من ذل الدهر أو عار الأبد إننا خمسون ألف أو يزيد .
الأم الثانية : أين هم يا أيها المختار ؟ أين ؟
لم تعودوا أيها المختار إلا مائتين .

(تأخذ ولدها شاب 2 و ينصرفان)

المختار : أتخافون ابن مرجانه يا قوم و لا تخشون رب العالمين
أعجمي يتحدانا فنقعي مذعنين !
فاجر يبطش فينا
يا رجال الكوفة الشجعان ..هل نذعن له ؟
قسما بالله لن نهدأ حتى نقتله .
رجل 1 : ربما حط علينا عسكر الشام لكي يحموا الأمير .
رجل 2 : ما نبالي أيها الناس بهم .. إننا جمع كثيف .
رجل 1 : إنهم سبعون ألفا و ستتلوهم ألوف .. و ألوف .
امرأة : ما لنا نحن و جند الشام يا زوجي .. انج بي

لا تسر بعد مع المختار أو شيعة أولاد النبي

(تجذب رجل 2 و تسير به و هو يمشي متبرما)

رجل 2 : (لامرأة 3 و هو ينصرف) قسما بالله لولاك و لولا الخوف أن ييتم أطفالي لما رحت معك لعنة الله عليك سيقولون جبان فر قبل المعركة
امرأة 3 : أنا ما جدواي أن قالوا شجاع بعدما أحرم منك ؟ فلتعش لي و ليقولوا كيفما شاءوا عليك . (تخرج المرأة 3 و معها زوجها رجل 2)
المختار : أدعوتم سيد الناس و يحكم كي تخذلوه ...؟
ويحكم هل تسلمون ابن عقيل لابن مرجانه ..!؟
فالعار عليكم أيها الناس إذا أسلمتموه !
لن تكفوا عن خصال الغدر حتى ينزل الله عليكم قارعة .
شيخ : نحن مقهورون و المقهور لا إثم عليه أو جناح .
المختار : أتري إن خنت عهد الله تنجوا من ضميرك ..؟
رجل 3 : إن لي طفلا صغيرا من ترى يرعاه بعدي ؟
المختار : كيف تقوى بعد الغدر أن تنظر في عيني صغيرك ؟
الشيخ : أيها المختار دعنا .

(ينصرف بعض رجال بمشاعلهم)

رجل 4 : إنه لا طاقة اليوم لنا بابن زياد
شاب 1 : نحن لن نسلم مبعوث الحسين
رجل 5 : نحن لن نخذل مبعوث الحسين
رجل 6 : نحن لن نوصم بالخذلان جيل بعد جيل

(بعض الرجال ينصرفون)

المختار : يا ويحكم أدعوتم سبط الرسول إليكم ليجيركم و ليرفع الويلات عنكم حتى إذا ما جاء مبعوثة ابن عقيل ظاهرتم عليه أميركم و خذلتموه من بايعتموه ... ؟!
أخيانة بعد الأمان .. ؟
ويل لكم من ربكم ويل لكم !!
الشيخ : الله يغفر ما يشاء من الذنوب
المختار : إلا ذنوب الشرك به
الشيخ : هل نحن أشركنا به يا أيها المختار ما هذا الهراء ؟
المختار : أشركتم بالله أفسقكم يزيد
ها أنتم ترجون رحمة ربكم و تخالفونه
فتذكروا أن نحن خنا عهدنا ماذا يكون ؟
ستعربد الأشباح فوق شموخنا
و سيبصق الأطفال فوق قبورنا و ستعتلي الحيات عرش آبائنا .
و نسير باللعنات فوق ظهورنا
أنضاء يسلمنا الغروب إلى المغيب
سجناء في الندم المعذب لا نثاب و لا نثيب !

الشيخ : أيها الناس اسمعوني لتعوني
فإذا قلت صواب فاتبعوني
أنتم بايعتم لابن عقيل عن "الحسين" فهو عهد في الرقاب
غير أن القدر الغاشم يا قوم رماكم فجأة بابن زياد
فاجر يقتل بالظنة و الريب و يلهو بالدماء
إننا و الله مضطرون أن نذعن له ذاك أن المكره المضطر لا إثم عليه
ما على المقهور و الله جناح .. أو عقاب .
المختار : هكذا و الله تغدوا الحكمة الشماء و الرأي و حسن الدين و التقوى تجارة
إنه بيع بخسارة .
الشيخ : سلموه ابن عقيل تسلموا

(ينصرف بعض الرجال و النساء)

المختار : إيه يا أشراف هذا البلد المنكود قد ضيّعتم فيه الشرف عظمت و الله فيكم رشوة السفاح يا أهل الصلاح .
التاجر : لا تقولوا عنه سفاح فهذا الرجل المعطاء يعطي في سخاء
شاب 1 : إنه يملأ الدور دقيقا و غلالا .
امرأة 1 : إنه يملأ الكوفة حانات و دورا للبغاء .
التاجر : إنه قد أكرم التجار .. أعطانا جميعا ما نشاء .
شاب 1 : هو يرشوا في سخاء .
التاجر : إنه رزق من الله و من جد وجد !
المختار : أتسمي رشوة يعطيكها السفاح رزقا .
التاجر : أنا مالي .. لا تلمني .. أأنا أحدثت في الإسلام فتقا ؟
مالنا نحن و ما لابن عقيل ؟
إنه جاء إلينا يتوسل !
إن لي دينا عليه ألف درهم أرأيتم فقر مسلم ؟
و الأمير ابن زياد ملأ الأكياس مالا و الحوانيت بضاعة

(يمسك برجال)
مع من أمشي بحق الله قولوا يا جماعة !
أفأمشي مع من يأخذ منا للجهاد ؟
أم وراء من المغدق الرزق علينا ابن زياد ؟

(ينصرف بعض الرجال و يطل أسد من شرفة القصر)

أسد : أنج يا مختار فلتنج بنفسك .
المختار : كيف أنجو بعد هذا من عذبات الضمير ؟
أسد : أنت لا تعرف ما ينوي الأمير إنه أقسم أن يحرق دارك !

(يدخل أسد من الشرفة)

المختار : بل أحرق قصره !

التاجر : فلترحنا أيها المختار و لتنج بنا .
المختار : أنت كلب نجس .. فلتبتعد !!

(ينصرف بعض الرجال بمشاعلهم .. .. أنين يتصاعد من داخل القصر حتى يصبح استغاثة)

الصوت : يا للرجال المسلمين .. يا آل مذحج .. يا مراد .. أدركوني .. !
شاب 1 : يا للسجين يعذبونه
الشيخ : أرأيتم ؟ فتدبروا و تفكروا
من فيكم يقوى على أن يتحمل التعذيب .. ؟
عودوا .. تسلموا .. لا تندموا
المرأة العجوز : فلتنقذوا الرجل المعذب
الصوت : يا للرجال المسلمين ! لو أن فيكم عشرة دخلوا لأنقذوني .
المختار : هذا صريخ أخيكم هانئ ابن عروة يستجير فمن يجير شدوا معي ...
شدوا علي قصر الأمير .
شاب 1 : أتراه يجرؤ يا رجال علي ابن عروة ؟
الشيخ : قد كان يأوي مسلما..
امرأة 1 : هذا جناة عليه مسلم .
المختار : فلتتبعوني .. أسرعوا خلفي لننقذه اتبعوني .
رجل 5 : وأنا معك .
امرأة 4 : سيبيدكم جند الأمير .
المختار : لو إنه قتل ابن عروة فيكم وسكتم فسيستبيح بيوتكم .
شاب 1 : إن كان قد سجن ابن عروة .. !
الشيخ : و هو أقوى الكل عزوة ؟
المرأة العجوز لشاب : لا تخش يا بني اذهب تقدم و اقتحم .
شاب 1 : (مكملا) ماذا عساه إذن سيصنع بالضعاف من السواد .
المختار : أوليس فيكم بعد فتيان أباة ينجدون المستجير ؟
امرأة 4 : إن ابن عروة سيد في قومه لم لا يخف إليه قومه ؟
المختار : أوليس فيكم عشرة .. يا للمعرة ؟
رجل 6 : أنا ذا وراءك فانطلق .
رجل 5 : و أنا معك .
الشيخ : الصادق الإيمان من لم يسلم الغضب القياد بل من تقود خطاه حكمته و حلمه .
المختار : يا ويلكم تتجادلون هنا و قد هلك ابن عروة .
شاب 1 : إنا لمضطرون يقهرنا الأمير و ما على المضطر إثم .
امرأة 1 : ماذا و قد جرؤ الأمير على ابن عروة ؟
الشيخ : فلينصرف كل لأهله .
المختار : روحوا لأهلكم فلستم غير أشباه الرجال (ينصرفون)
شاب 1 : لا تأخذ الشجعان بالجبناء و الشرفاء منا بالأراذل .
المختار : بل تجعلون الكوفة الغراء مومسة تبدل عاشقا كل ليل .

(خرج الجميع الآن و لم يعد إلا المختار و رجال قلائل فيهم رجل 5 , و رجل 6)

رجل 5 : ما زال فينا للحقيقة جندها الغر البواسل .

رجل 6 : أما غدونا في القلائل فالهداة هم القلائل .
المختار : (لرجل 5) عجل لآل مراد
(لرجل 6) و أنت أسرع لمذحج فليدركونا سريعا

(يخرجان مسرعان .. و يعلو صوت هانئ بن عروة من داخل القصر)

الصوت : يا للرجال أغيثوا أخا لكم يتعذب
ألأم يعد لي مجير .. ألم يعد لي مهرب ؟
أليس لي من مخرج ؟
إن مت بين يديكم فالحق ما عاد أبلج
المختار : (يصرخ من تحت القصر) يا هانئ يا ابن عروة ...
الصوت : (خافتا) يا للرجال أغيثوا شيخا لكم يتعذب .
المختار : إنا مجيروك فاصبر
لن يقتلوك و فينا إرادة ليس تقهر
العجوز : ماذا عساك ستصنع ... ؟
شاب 1 : في القصر جند كثيف
العجوز : و الصور يا ابني منيف

(المختار يسير بهم بعيدا عن باب القصر)

المختار : لابد لي من كيد يفوق مكر زياد (هامسا) نحوا المشاعل عنا

(يخرجون بالمشاعل فيسود الظلام الكامل)
تكدسوا في الظلام
(لواحد منهم يحمل قوسا) و أنت لا تدن منا و ذد بقوسك عنا
و أهدروا لصياح عال يهز الفضاء
سلوا السيوف جميعا و بالغوا في الصليل حتى ليحسب أنا جمع كثيف مسلح

(يحدثون حركة و ضجيجا بقرع السيوف علي الأغماد ... و المختار يقترب من باب القصر)
المختار : (صائحا من تحت باب القصر) يا ابن زياد ..
أطلق هانئ شيخ مراد
أطلق هانئ سيد مذحج أطلق هانئ سيد مذحج يا ابن زياد .
أسد : (من شرفة يتأمل في الظلام) من أنتم .... ؟
المختار : (يختفي تحت الشرفة) أدخل فابعث بابن زياد ليخاطبنا يا أسد .
أسد : أأنتم مذحج ؟ أم أنتم سادات مراد .... ؟
المختار : يا رجل القصر ابعث بأميرك نسأله. و تأدب أنت فلا تسأل .

(من داخل الساحة يقبل رجال في السلاح هم زعماء مذحج)

أسد : ما أشبه صوتك هذا الفظ بصوت المختار الثقفي
شيخ مذحج : يا ابن زياد ... فلتخرج ... قم خاطب سيد مذحج .
المختار : أتقتل صاحبنا و يحك .. ؟ (لرفاقه) جاءت مذحج و افرحي !!

(يقبل جماعة من الرجال في السلاح هم قادة مراد)

شيخ مراد : صاحبنا لم يخلع طاعة .
المختار : (لرفاقه) و هذا سيد آل مراد
شيخ مذحج : هانئ ما شق جماعة .
شيخ مراد : فلماذا تسجنه الساعة ؟
المختار : (وسط الجماعة) كلمنا يا ابن زياد
كلمنا يا ابن سمية
يا سبط العاهرة الكبرى كلمنا ..
كلم ساداتك بحق أبيك دعي أمية كلمنا و بأمك عابدة النيران .
أسد : صاحبكم حي يا ناس معافى يسمر في القصر
صاحبكم في حفل عشاء و أمير الكوفة يؤنسه و يسائله عن أشياء فانصرفوا لدياركم ..
سيوافيكم في ساعة صاحبكم في دار ضيافة مولانا الوالي يا قوم .
المختار : بل تكذب يا رجل القصر و أميرك يكذب يا كذاب .
أسد : (مستمرا) قسما ما أخّر صاحبكم إلا أن هداياكم تستوفي من بيت المال هدايا وصلات يا قوم تعد لكم ..
لكم أنتم فيهن أماء روميات أبكار بلحوم بضه غير قناطير الفضة
و سبائك ذهب .. و حرير فانصرفوا لدياركم
و سيأتيكم بعد قليل بهداياكم هدايا من قصر الوالي ..
و خير صلات خليتكم .
شيخ مذحج : هكذا .. ؟ فالحمد لله علي السلامة !
شيخ مراد : و ألف شكر لأمير الكوفة (الرجال يتهيأون للانصراف)
المختار : (في ثورة) يا سادة مذحج و مراد
كيف وثقتم بابن زياد
صاحبكم في برج القصر هضيم عان يتعذب
(لأسد) أخرج هانئ يا كذاب .. أميرك يكذب .
شيخ مراد : (للمختار) أسكت و لا تستثر انتقامه فتحصد التباب و الندامة .
شيخ مذحج : لقد عجلنا إذ أتينا يا أخي .
شيخ مراد : أجل عجلنا و استجبنا للغضب .
شيخ مذحج : و زلت العقول للطياش
أهكذا نصغي لقول الواشي فنحشد الرجال و السلاح ؟
و نشرع السيوف و الرماح ؟
شيخ مذحج : كانت لعمري خطة مخيفة .
شيخ مراد : كانت تثير الفتنة في الكوفة .
شيخ مذحج : (مكملا) تصرفنا عن طاعة الخليفة .
المختار : يا لأشراف الكوفة .. لا .. لا تنخدعوا بالكذبة .
شيخ مراد : هل الأمير يا أخي كذاب ؟
المختار : ومن يكذب إن لم يكذب ؟
شيخ مذحج : إن كان كذابا فأنت أكذب إن الأمير طيب .
شيخ مذحج : و في أيدينا نداه فضة و ذهب .
المختار : وقد خدركم بالأموال ليشري منكم رأس أخيكم

شيخ مراد : و الله هذا عجب عجاب ! تكذّب الأمير ذا الأيادي ؟
شيخ مذحج : من ذا إذن يصدق في البلاد ؟!
شيخ مراد : بعد قليل سيجئ هانئ
شيخ مذحج : محملا بما سخى الأمير فامضوا بنا إلى البيوت .. سيروا .
المختار : أأنت شيخ مراد ؟
أأنت سيد مذحج .. ؟
يا أغفل الناس طرا لا تبرحا الأرض حتى نرى ابن عروة يخرج فهانئ ليس حيا بل في الدماء مضرج .
شيخ مذحج : لأنت صاحب فتنة ؟
المختار : بل أنت صاحب غفلة .
شيخ مذحج : تقول عني مغفل ؟
شيخ مراد : (للمختار) إن زدت شيئا ستقتل .
شيخ مذحج : هذا لجوج عنيد فلا تلحوه و امضوا

(رجال مذحج و مراد يخرجون و يختفي أسد من الشرفة)

المختار : هم هكذا عليا و الحسن و ارحمتنا لك يا حسين .. !
لا أمن بعد لمن
لمثلهم أمن الآكلون علي المآدب كلها
السابحون وراء تيار الزمن
الباحثون عن السعادة في الخضوع المطمئن
المائلون إلى الشموس إذا طلعن العازفون إذا غربن
السامعون بألف أذن
الناظرون بغير عين
يتسلقون على الجذوع الشامخات إلى ذؤابات الشجر
لانت غصونهم فإن هبت رياح عاتيات حطمت جذوع الباسقات الراسخات
و تأود الغصن الطري فمال كيلا ينكسر
النازعون إلى الكرامة في مخادع الاستكانة كالإماء
المالئون رءوسهم بالكبر من زيف الإباء
الطابعون على شفاههم ابتسامات النفاق مطيعة تحت الطلب
الراسمون على ملامحهم جهامات الكآبة و التأمل و الترقب
هم كالبغي تسوق زائرها المولي في ضجر
و تعد زينتها لزائرها المنتظر !
و ارحمتنا يا حسين !!
أسد : (و هو يعود إلى الشرفة) يا أهل هذا المصر إن أميركم آت ليخطب فيكم من شرفة القصر الكبير فتجمعوا في ساحة القصر الفسيحة .. و اسمعوا قول الأمير
المختار : يا أيها المتكبر الجبار أطلق هانئا من سجنه .
صوت : الأمير ابن زياد واقف في شرفة القصر ليخطب .
صوت آخر: فليسارع من له عند أمير المصر مطلب

(ناس يدخلون الساحة بمشاعلهم و شيئا فشيئا تمتلئ الساحة بالناس)

(يخرج ابن زياد من الشرفة و يتأمل الجميع صائحا)

ابن زياد : يا أهل الكوفة .. يا أهل الكوفة .

(يتأمل أيضا و الناس يتخذون أماكنهم)

ابن زياد : يا أهل الكوفة .. أما بعد فإني أبصر ما فيكم و الله رؤوسا تستحصد لي فيكم صرعى , لكني لا أضربكم حتى أعذر فأنا رجل ذو إيمان , لست أعذب حتى أنذر , سأفتح سيفي فوق رؤوس الكوفيين , كما أذللت رقاب جميع البصريين .
زيد بن أرقم : (من بين الجموع) تفتح سيفك .. ؟ما هذا ؟ فلعلك تعني أشهر سيفي ؟
ابن زياد : أتراجعني يا هذا أم تسخر من نطقي العربي ؟
أتعرض يا كوفي بأمي مرجانه ؟
فأمي ليست عربية لكن أبي أصبح فيما بعد ابنا لأبي سفيان شيخ أمية
و غدوت أميرا أمويا بل خير أمير أموي
زيد : أنا لا أعرف أمك مرجانه ..
ابن زياد : عساك تسميني ابن دعي ... ؟
و تسب سمية أم أبي ! لعلك تطعن في نسبي أو في حسبي
ستعلق حيا في الأسواق و أرمي جثتك لكلبي !
أسد : هذا زيد ابن الأرقم شيخ حارب خلف رسول الله ببدر
ابن زياد : فألق به من أعلى القصر
أسد : لا يصلح هذا يا ابن زياد فهذا شيخ ذو بركات علوية هذا رجل ذو أنصار .. فلتستقدم هذا الشيخ إليك وسالمه تسلم .
ابن زياد : (مستمرا في خطابه) لا تشرب قلبك بغض الحاكم كيلا تكثر أحزانك و كيلا تهلك في غيظك .. و تفوتك أدني حاجاتك العاقل منكم من نافقني المجرم فيكم من جابهني الأحمق من أضمر بغضي و أسر النجوى كي يطعن في عرض أبي أو في عرضي فعيوني تسعي بينكم و جواسيسي يستقصون دبيب الهمسة في الأعماق و سيأخذكم بنواياكم .. بالأفكار المكتومة لا بالأعمال المعلومة بالخلجات و بالخفقات همس الهمس فالفائز منكم من صانعني حتى في خلوات النفس و إليكم نصحي فليسمعه العاقل منكم و يفكر المقبل مأخوذ بالمدبر و مطيعكم بالعاصي و صحيحكم بالمعتل .. و الداني منكم بالقاصي ! جاملناكم فطغيتم و استأمناكم فغدرتم و غمرناكم الأموال بلا تفرقة أو إيثار فللسفهاء و للعقلاء و للدهماء و للحكماء و للفقراء و الجهلاء و للفقهاء و حتى أصحاب الثروات منحناهم منا خيرا فجوزينا منكم شرا فقد آويتم أعدائي و شريتم بالمال سلاحا و أرشتم منه ابن عقيل بذلتم لعدو يزيد يا خونة يا شداد الأمة قد أزمعتم إحياء الفتنة أفلا تدرون من ابن عقيل .. ؟ فابن عقيل جاء هنا كي يخلعنا عما نملك رجل عاص جاء هنا يتسكع في وهد الباطل باغ شق عصا الطاعة قد خالف إجماع الأمة و خالف عن أمر الله بلزوم الطاعة للحاكم فكيف إذن سرتم خلفه ؟ خنتم عهد معاوية و نقضتم بيعة سيدكم و ذاك لأنكم عندي أفاع و ذئاب أولاد كلب !! و لذا بايعتم لابن علي للكذاب ابن الكذاب .
المختار : (مندفعا) أنت الكذاب ابن الكذاب
أنت الدعي ابن الدعي ويح الأمراء الكذابين ..
أمراء الرشوة و الغدر

أمراء السم أو الخنجر
أتجئ هنا كي تتسلط و أميرك مبتذل ساقط .. ؟

ابن زياد : (مأخوذا) من ذا يرفع هذا الصوت على ابن زياد ؟ و يسب يزيد ابن معاوية ولي الأمر ؟

المختار : (مستمرا في حدته) تبا لك يا ابن زياد

ابن زياد : (غاضبا) تبا لك أنت .

المختار : (مستمرا) ما أنت سوى كلب مسعور أأنت أمير ؟!
ما أنت سوى كلب ينبح كلب يحرس لص الدولة و الإسلام
نخاس يبتاع ولاء المذعورين بحد السيف .. أو الأحلام .

زيد بن أرقم: (للناس) أيسب أمامكم ويحكم قرة عين رسول الله ؟
و يسب عليا ثأر الله و حامل رايات الفتح ؟

(ابن زياد في ضيق شديد .. أسد يهمس له و يلح عليه بإشاراته أن يهدأ و الناس يتهامسون)

زيد : (مستمرا للناس) ابن اللقطاء يسب حسين بن علي سيف الله ابن الزهراء ؟!
أبنو مرجانه ينقتصون بني هاشم ؟
أحفيد سمية من يزري بحفيد خديجة ؟
يا رباه .. ! الله على الظالم !!
أفلا رجل منكم حر ذو شرف يغضب في الله ؟
يا ويلكم يا ذلكم .. ختم الرعب على الأفواه !

(همهمة بين الناس)

المختار : (لابن زياد) أتسب حسينا و عليا ... يا ويلك مني يا ويلك .

ابن زياد : (مصطنعا الهدوء) من هو ذا المجنون ؟

أسد : هذا المختار الثقفي له أتباع لا يحصون .

ابن زياد : (صارخا في المختار) أحمل كفنك و اصعد لي .

المختار : بل أنا قاتلك بإذن الله .

ابن زياد : (يحاول أن يكون هادئا) و متى ذلك ؟ أحين تعلق فوق الباب ؟

المختار : أتعلقني فوق الباب لن يحدث هذا حتى تصعق أو حتى تبرق في الأرض سيوف التوابين

ابن زياد : التوابون .. وما هذا ؟

أسد : أتباع المختار الثقفي
من تابوا عن خذلان على
وهم قد ملأوا الأرض هنا و هناك و حتى قصرك و ما يعرفهم غير الله !

ابن زياد : الله .. الله

أسد : لا تصدر فيه عن غضبك إن الرجل له نسب ببني عمر بن الخطاب و معاوية كان حريصا كل الحرص على مرضاته فعد لخطابك يا مولاي و جاوز ما قال المختار .

ابن زياد : هو أمنع من أن توقعه أخفض صوتك لا يسمعك الناس فتسقط هيبتنا
أين وقفنا في الخطبة ... ؟

أسد : عند ابن عقيل و البيعة

ابن زياد : سنرى رأيا في الرجل .. و الآن سأملؤهم رهبة

(للمختار) أأنت بصير يا مختار ؟

المختار : لي عينان أرى بهما فأرى الخير و أتبعة و الشر لكي أنهض ضده .

ابن زياد : حسبك عين واحدة .. فترى ما هو خير وحدة
(ضاحكا) و بهذا تتبعني قسرا .

زيد ابن أرقم : هذا والله مجنون .

ابن زياد : (بغيظ) قسما بالله لانتزعن شعاعه عينك يا تواب !

المختار : قسما بالله لأقتطعن حشاشة نفسك يا كذاب !

زيد ابن أرقم : أفلا تكمل يا ابن زياد نحن سئمنا هذا الموقف .

ابن زياد : لقد بلغت .. فأين وقفت .. ؟

زيد ابن أرقم : أكمل خطبتك البتراء و لا تسألنا أين وقفت فما أبلغت إلينا شيئا غير الفحش و غير القذف .

ابن زياد : أنتم قوم أهل نفاق ... أهل شقاق
أنتم تخفون الأعداء
فسوف أهد بيوت الكوفة إن لم تعطوني من أطلب
إليّ بأسماء الغرباء كل عريف عن حي مسئول عمن يسكنه
فإذا كشف لدينا اسم لم يبلغ عنه صلبنا فيه عريف الحي !
.. أين العرفاء ؟ ..
قفوا وحدكم في ناحية يا عرفاء
فإن طاوعتم يا عرفاء لأعطيناكم حتى ترضوا.

(يقف رجال وحدهم في ناحية في ملابس فاخرة متميزة و بينهم التاجر الذي رأيناه في أول المنظر)

المختار : تبا لكم يا عرفاء .. أأنتم أشراف الكوفة ؟!
أو فيكم رجل حر يأبى الضيم و يدفع حتى عن شرفة !؟

عريف 1 : (وهو التاجر) أعلينا إخفاء الغرباء لكيلا يشتمنا التوابين

ابن زياد : (مستمرا) و سأعطيكم .. و سأعطيكم حتى يمرغ أدناكم في هذا الذهب المنثور (ينثر قطعا ذهبية عليهم) كحمار يتمرغ في أكوام التراب خلف الدور (العرفاء يجرون و يأخذون الذهب و يتنازعون عليه)

زيد بن أرقم : (للعرفاء) العار عليكم يا عرفاء لا تتداعوا فوق الذهب فهذا ثمن ضمائركم إن إباء الرجل الصالح أغلي من ذهب العالم

عريف 1 : بل للأمير علينا يا شيخ حق الطاعة .

عريف 2 : (وهو يلتقط قطعا من الذهب) إن الأمير مؤدب

عريف 3 : و لم يهنا لنغضب .

عريف 4 : فاذهب بربك عنا .. أو فامتثل للجماعة .

زيد بن أرقم: أنتم قوم ذاقوا الدنيا فأحبوها
فإن ألزمتم أنفسكم بالعدل فقد لزمكم الحق
ليحرمكم مما متعتم فيه من لذات العيش
و لهذا تنطق ألسنتكم بالبهتان
و يخنق في الأعماق الصدق .

المختار : و يدب على قدميه الرجل و ليس سوى جدث في نعش .

ابن زياد : ذهب أيضا يا عرفاء (يرمي بعض القطع الذهبية) و ما ينتظركم أعظم .

عريف 1 : شكرا يا والي الكوفة
عريف 2 : شكرا .. شكرا .. يا ابن زياد يا أجود من وضعته أنثى .
المختار : (مشمئزا للعرفاء) رقيق في سوق النخاسة ضائعة في دار نجاسة .
عريف 1 : ما هذا ؟ إنا أشراف .. لا تشتم أشراف الكوفة !
المختار : (مستمرا) يغشاها من ينقدها حتى الأكمه و الأبرص فأنا والله برئ منكم مالي بعد مقام فيكم (يخرج المختار)
عريف 1 : هو ذا ماض يتربص .
عريف 3 : فليبحث خارج بلدتنا عن سكن آخر لابن عقيل
عريف 1 : خيرا يفعل .
شاب 1 : آه ما ألعنكم يا عرفاء (لأمه العجوز) إنهم من أكبر تجار في الكوفة .. ما ألعنهم إن فيهم سيدي البقال الذي أعمل في حانوته .
المرأة العجوز: أيهم ..؟ يا بني قل لي أيهم ؟؟
شاب 1 : إنه هذا الذي ......
المرأة العجوز: (مقاطعة) هو لا يعرفهم
الرجل : أنت يا ابني رجل حر فما اسمك ؟ (متوددا) قل لنا أين تقيم ؟
شاب 1 : أنا والله ابن جندي عظيم كان في جند الإمام .
الرجل : ما اسمه هذا الشهيد البطل المغوار ؟ ما اسمه ...؟
شاب : مات بعد الحرب و الله بأعوام شهيدا في فراشه .
المرأة العجوز: (لابنها) لا تكلم أحدا لا تعرفه .
الرجل : مل بنا يا ابني فلي عندك و الله كلام فلتقل لي كل أرائك بالصدق .. تكلم .. قل و لا تكذب .. فما قيمة الإنسان إلا شرفة كيف بالله إذا مات أبوك ؟ و متى مات ؟! و ما اسمه ؟
شاب 1 : مات بالسم طريحا في فراشه
الرجل : كيف هذا ؟ ثم قل لي يا ترى ماذا ترى في ابن زياد .. و يزيد ؟
المرأة العجوز: دعة يا جاسوس دع لي ابني الوحيد

(الرجل يختفي في الزحام)

ابن زياد : و بعد فلي يا أهل الكوفة فيكم صرعى ما زالوا فإليكم دستور الحكم : من يدلج في الليل يقتل .
زيد بن أرقم: و قيام الليل .. ؟
ابن زياد : ليل الكوفة لي .. لرجالي .. للشرطة ..
زيد بن أرقم : هذا طاغية مجنون يحدث صدعا في الإسلام
المرأة العجوز : أمير باغ متسلط .
رجل 5 : رجل الأحلام المنحطة (همسات)
شاب 1 : احرس رأسك لا يسقط .
ابن زياد : أسمع منكم همسات مثل غثاء الأغنام إني أبصر من قصري يا أهل الكوفة ما يجري و حتى ما يستخفي خلف الباب المغلق من سر و ارصد حتى ما قد يحدث في مخدع أي منكم حتى خطرات قلوبكم فكلكم متهم عندي حتى يبرأ من ذنبه من ينبش عن سري منكم يدفن حيا في قبره من نقب عن خبري منكم نقبت الشرطة عن قلبه .
شاب 1 : (منفجرا في ذعر) إنما تقولك هذا حكمة و الله .. حكمة .

المرأة العجوز: أيها المجنون هذا ابن زياد .... ليس ابن علي
شاب 1 : (مستمرا) إنه حكمة .. أو .. قل.. إنه فصل الخطاب .
المرأة العجوز: عجبا كيف تحولت إلى هذا سريعا يا بني ؟
عد بنا إلي البيت .. عد يا ابن الشهيد العلوي
ابن زياد : ليس لي شئ من الحكمة أو فصل الخطاب إنما ذاك نبي الله داود فحسب !
اسجنوا هذا الغبي .
شاب 1 : أنت قد أنذرتنا إن لم ننافقك بألوان العذاب
ابن زياد : لا تنافقني بشئ ليس في فلتنافقني بما تبدي من الطاعة , لا الكذب علي فتنافقني بما يعرف عني من فضائل .
شاب 1 : (بسذاجة) فإذا كنت لا تعرف إلا بالرذائل ... ؟
المرأة العجوز: (لابن زياد) هكذا تفسد أحلام الشباب!
أسد : (لابن زياد) دع هذا الغر و أكمل ما كنت بدأته .
ابن زياد : (مكملا) فسآخذ بالنياط و حساب المرجأ علي النية من عمل الله لكن هيهات !
فأنا الآن قضاء الله يحل عليكم في الدنيا و الله له أمر الأخرى سوى أني
أستوحي فيكم سلطاني جبروت الله فالأمر إذن أمري وحدي فلا تعقيب علي
إذن لأقول لأحد من بعدي
زيد بن أرقم : يا أيها الأمير يا أيها السكير يا لابس الحرير
ابن زياد : (مهددا) يا أيها الشيخ ويحك
زيد : قد قلت والله كفرا كقول فرعون مصرا ..
لما طغى و تكبر بل زدت لؤما و كبرا
ابن زياد : لقد خرفت ... فأمسك
زيد : (مكملا) أبشر بعقباه .. أبشر .
ابن زياد : (يسأل أسد) أيشتمني أن حارب يوما خلف رسول الله ببدر ؟
أم إن عشيرته تمنعه .. ؟
قل لي كيف إذن أردعه .. ؟
أسد : هذا رجل ذو فقه و كل عشيرته فكره .
ابن زياد : أهذا رجل ذو فكر .. ؟ فهذا أخطر أهل الأرض . (لزيد) أأنت مفكر .. ؟
يا للرجال فما شئ يخضعه ! حارب يوما في بدر .. و هو فقيه و مفكر
أسد : هذا رجل رفض عطاءك يا ابن زياد فلما هدد قبل المال فوزعه .
ابن زياد : أنت إذن من أهل الفكر و أهل الفقه و أهل الزهد
أسد : في ظل الإرهاب الدامي لن يوجد فقه ... أو فكر .
ابن زياد : فلكي يعتبر ذوو الأفكار فليصلب هذا الشيخ إذن في حانة أفسق خمار

(تغمر ضحكاته همسات الاستنكار)

زيد : فكر العالم يجعله أغني ملكا عن عالم و ملك الأرض بما فيها لا يغني ملكا عن عالم .
ابن زياد : (ضاحكا) فقل ألغازك للخمار و أنت لديه مصلوب أأنت تفكر ؟؟؟ ويلك ويلك فلمن يتجه ولائك ويحك ؟؟ ما جعل الله لرجل فينا من قلبين و لا عقلين الخادم لا يخلص لاثنين ! (أسد يهمس له) (بعد صمت) أنا ذا أرحمك .. فأمنحك الفرصة لنجاتك فلتختر أحد السادة إما الفكر أو السلطان
.

زيد : ليس علي جناح فيما أخطئ فيه من أمري .
ابن زياد : لا أفهم هذا قل لي شيئا أفهمه إما الفكر أو السلطان .
زيد : (مكملا) لكن فيما أتعمده من قلبي أنا لا أخدم إلا ربي .
ابن زياد : فسأرسلك إليه كي تخدمه في النار
أسد : لا تقتله و أمهلني فغدا ستراه في القصر فقد تحتاج إلى الفقهاء و أهل الفكر لذوي السمعة و التقوى فلا تحتد فإن الحاجة تقهر غلواء الحدة .
ابن زياد : حسنا .. حسنا . فلنمهله فأرى رأيا فيه غدا
(يكمل الخطبة)
يا أهل الكوفة يا كفار
أنا لن أهدأ بل لن أطعم حتى تعطوني ابن عقيل فإذا لم أظفر بابن عقيل فهو الويل و أهاويل لم تنصب على مدن من قبل ! سأسويها فوقكم بالأرض و أهدم و أخرب و سأسبي كل نسائكم
شاب 1 : (للام العجوز) يا أمي بل أنا أفديك فداك دمي .
ابن زياد : (مستمرا) و سأجدع أنف شريفكم قسما بالله لئن لم أظفر بابن عقيل قبل الغد لأبيحن مدينتكم لجند الشام ليفسد فيها من يفسد .
زيد : هذا خرق للإسلام ..
(ثم للناس) ... و لكن أنتم ما بالكم قد أذعنتم أترى
أصبحتم كالأنعام ؟
تباع المرعى ثم تسام ؟
أنعاج أنتم ؟ . يا أغنام ؟
حتى لو كنتم أنعام و استمعتم هذا لنطحتم .
المرأة العجوز : أتهتك عرض النسوة ؟!
ابن زياد : و سيلقى كل رجالكم كمصير مجير ابن عقيل (لأسد) ألق إليهم بالجثة جثة شر بني عروة .

(يشير أسد إلى داخل القصر فيلقي علي الأرض بجثمان فيتصايح الناس)

أصوات : هانيء
أصوات : وا أسفاه !!
المرأة العجوز: فهو الموت أو الرشوة
شاب1 : إما الموت أو الرشوة
ابن زياد : فمن فيكم يختار الموت ختمت كلامي يا أنذال .... فهل أبلغت ...... ؟
قسما لن أهدأ بل لن أطعم حتى تعطوني ابن عقيل .

(يدخل من الشرفة مسرعا و الناس في ذهول)

المنظر الحادي عشر

(في زقاق ضيق بالكوفة .. مسلم بن عقيل يمشي مجهدا يتلفت في حذر و قد اتسخت ثيابه , ثم يتهاوى مستندا إلى جدار تحت ظلام مطبق .. إنه ليتحدث و هو يتحسس طريقة و يستلقي في نهاية كلامه)

مسلم : يا ابن عقيل .. يا ابن عقيل .. شريد في طرقات الكوفة يا ابن عقيل !
طريد يا ولدي .. منبوذ تطردك الشرطة بالليل
ليل يختلج من الرعب
تنوء مناكبه بالذنب
ليل يحبس عنك الماء
يحبس في ظلمته الحب
يمزق فيه الصمت الواجف رجع صدى نبضات القلب
ليل سال بسبع صلال
تسعى كي تنهش عقبيك
و ظلال أياد مجهولات كاللعنات يشرن إليك
تترصدك عيون الطامع فيما أعلنه ابن زياد من جائزة لمن إستاقك
تتحاملك عيون الخائف أن يقهره بطش الحاكم
أنت هنا وحدك و الليل هذا الليل ملاذك ,
فيه دموع التائب و النادم و ماذا بعد ؟!
فها ذي أبواب الكوفة مغلقة في وجهك أنت ...
أنت من استقبلك الناس بدفء مودتهم من قبل ..
آه .. آه يا ابن عقيل .. !
أأنت من استبق العرفاء ليسترضوك و أعطوا البيعة
و تداعى الناس على أبوابك بالآلاف .. ؟
أأنت من انتفضت تمنعك سيوف الكوفة حين أتيت ندما عن غدر الأسلاف ؟!
فهذا أنت سليب الدار ,
غريب الجار
طريد في طرقات الكوفة
لم تطعم شيئا من يومين و لم تشرب قطرة ماء
أتيت لتروي عطش الخلق
أتيت لترفع وقر الذل و ها هو ذا أنت عطشان ..!
لا قطرة ماء لك في الكوفة يا ابن عقيل نضب الريق و جف الحلق !

(باب دار يفتح و هو الآن يقعد متهالكا علي جدار تجاه الباب)

ها هو ذا باب ينفرج

(للباب) أيكون ورائك بعض الفرج ؟؟
أورائك جاسوس يسلمني أم ذو دين يتحرج !

(ينتفض على إعيائه و ينظر إلى داخل الدار و يده على مقبض سيفه بينما تخرج من الباب الأم العجوز التي شاهدناها في المنظر السابق)

العجوز : يا عبد الله لماذا تنظر في حرم ليس حرمك .. ؟
مسلم : يا أمة الله أنا عطشان .. سقاك الله .
العجوز : أقعد عندك لا تتحرك لكأنك لم تشرب أو تأكل من أعوام أأنت غريب .. ؟!
مسلم : غريب في هذا العالم .
العجوز : عجبا ... من أنت ؟!
مسلم : طريد يطلبني الظالم لكي يحظى برضى الظالم ؟
العجوز : (هامسة في ألم) أتكون مبعوث الحبيب .. ؟
مسلم : أجل أنا هو مسلم رجل "الحسين" .
العجوز : ويلاه .. كيف تغيرت بك دورة الأيام من حال لحال ؟!
مسلم : تالله لم تتغير الأيام بل خان الأمين و مال ميزان القلوب
العجوز : فلتنتظر حتى أعود و لا تخف مني وشاية فقد كان زوجي فارسا في جيش عمك الله يرحمه فقد رزق الشهادة بعد أن قتلوا الإمام بنحو خمسة عشر عاما .. و خلالها كم حاولوا أن يفتنوه و يصرفوه عن البكاء على الإمام لكنة رفض العروض جميعها رفض المناصب و القطائع حتى بلغ المشيب ,و شبت , مثله أهدوه جارية .. و كانت في الحقيقة حلوة بيضاء غضة كانت فتاه رودسية و إذا باللئام تجن به ..
مسلم : (ضجرا) يا أم بي عطش شديد
العجوز : شغفته حبا يا بني فلم يعد يلقي لأمك هذه بالا و ربك
مسلم : (أشد ضجرا) يا خالتي حلقي يجف من العطش
العجوز : (مستمرة) و إذا بخالتك الحزينة تنذره لكنه .. هيهات .. هل تغني النذر ؟! البنت كانت حلوة مثل القمر و إذا به في ذات ليل قام بعد الفجر يدعوني و يبكي ثم يضحك و فجأة سقط الرجل قد مات وا لهفي عليه سمته ... دسوا السم وا كبدي في العسل وهكذا ضاع البطل ..

(تدخل إلى بيتها مسرعة و تغلق الباب)

مسلم : من مبلغ عني الحسين نصيحتي ألا يجيء إلى العراق
نكث الرجال بعهدهم ... إن العهود هنا شقاق
يا نسمة الليل الثقيل المدلهم سيري إلي ركب "الحسين"
سيري بدمعي فاسكبيه و بلغيه أن الذين استصرخوه و بايعوه قلبوا له ظهر المجن
قولي له لا تسع في إنقاذهم فالله أعطاهم من الحكام قدر فسادهم
إن سلط الرحمن جبارين فوق رقابهم فبما رأى من جبنهم أو لؤمهم
قولي له أن الإمام العادل الصديق ليس بمن يليق بمثلهم
قولي له أن الدعي شرى و بث الرعب في ضعفائهم
أما كرامهم فإني لست أعرف أين هم
يا نسمة الليل الثقيل المدلهم

قولي له أني هنا عان شريد قد تجافته البيوت هولا يعيش ولا يموت
أصبحت يطلبني العدو و بت يخشاني الصديق
يا أيها الليل الحنون أنت مأواي الحزين
أمسيت كهفي قد أويت إليه فلينشر الله علي رحمته
هنا .. فهنا الطريق نبا بأصحاب الطريق !
يا أيها الليل الطويل و أنت ستر الخائفين
قد صرت رعب الآمنين
يا أيها الليل الثقيل
إني لأحمل كل ثقلك فوق صدري
صيرتني شؤما علي كل إمريء آوي لداره
قبضوا علي هانئ ابن عروة مذ أمنت إلى جواره
يا نسمة الليل الحزين سيري إلى ركب "الحسين" لتنصحيه
أنا ذاك أشكوا من غباء الصالحين من ذكاء الفاسدين
و من التواكل في نفوس الخيرين
و من التحفز في قلوب الجائرين
يا نسمة الليل الندية بالدماء أسري إليه بزفتي و بدمعتي لتحذريه
إن الذين استصرخوه حتى يشيع العدل في أفيائهم و يقيم سلطان العدالة و الإخاء هم أتاهم خاذلوه .. و قاتلني و قاتلوه .

(تفتح العجوز بابها و تندفع إلى مسلم ومعها إناء)

العجوز : اشرب .. فهذا ماء مخلوط بماء الورد .. اشربه لتقوى
مسلم : جوزيت يا أماه خيرا (يشرب بلهفة)
العجوز : (تحول أن تضاحكه) قد كانت الرومية الشقراء تسقيه لزوجي دائما كي يستعين به على عشق اللئيمة , كلما .....
مسلم : (يقاطعها بضجر) يا خالتا .. يا خالتا
العجوز : (جادة) ستعيش عندي ها هنا حتى يدبر خالق الأكوان أمرا فادخل بربك قبل أن يفد الذين يفتشون على السكك أدخل بربك فالبيت يا ابن أخي أمير المؤمنين و ما بهذا البيت لك أدخل تجد بعض الطعام

(صوت المنادي يأتي من بعيد)

صوت المنادي: من دلنا على مسلم بن عقيل فاز بما يريد من الأمير
العجوز : (تدفعه إلي باب الدار فيدخل مسرعا) أسرع فديتك ..... إنهم آتون .... فلتسرع بربك
الصوت : أمير الكوفة ينذركم بالويل لمن يخفي مسلم فسيحرق داره و ستبقي النار بلا إطفاء حتى تأكل منزل جاره

(يدخل المنادي)

المنادي : فعلى من يرتب في أمر أن يبلغ الشرطة

(يدخل الشاب و يتقدم إلى باب داره التي دخل فيها مسلم)

شاب 1 : فإذا دل بلاغ المرء على مخبأ ذلك الهارب

المنادي : (مستمرا) فمن ساعدنا في الإيقاع بمسلم حيا أو ميتا فله منا ما يطلب من مال أو رزق جار ... أو منصب

العجوز : فسد الزمان و لم يعد إلا الرجال الخائبون ذهب الرجال ذوو البصائر و القلوب و لم يعد إلا الرجال ذوو البطون .

المنظر الثاني عشر

(قاعة في قصر ابن زياد بالكوفة .. في الصدر شرفة تطل على الكوفة و على ساحة واسعة , إلى اليمين باب عليه ستار و إلى اليسار باب عليه حارس بحربة .. حرس هنا و هناك .. جو المكان يوحي بالبذخ الشديد و أبهة السلطة و رهبة الدسائس .. ابن زياد جالس على أريكة باستهتار إلى يمين الشرفة .. يكاد يكون شبة راقد .. بعيدا عنه تناثرت مقاعد جلس عليها أسد و زيد بن أرقم و عمر بن سعد و الحر الريحاني و شمر وهو رجل ملثم .. و بعيدا عنهم يقف الشاب الأول ابن المرأة العجوز يتأمل القصر و أبهته)

عمر بن سعد : هو ذا أمر يزيد لك أن تجتث أبناء علي أجمعين.

(يلوح بالرسالة ثم يسلمها ابن زياد فيضعها على رأسه)

ابن زياد : قد سمعنا و أطعنا يا يزيد .. كل أمر لك و الله مطاع

(يضع الرسالة على رأسه مرة أخرى ثم يدسها في جيبه)

زيد : إن يشأ ربك يذهبكم فيأتي بعدكم خلق جديد .

عمر : (بنفاق ملحوظ) إن ما في هذه الأوراق سر ينبغي ألا يذاع إنه سر أمير المؤمنين .

ابن زياد : ليس من سر عليكم ..... إنكم خيرة أصحابي هنا .

عمر : و الفتي ؟ (يشير إلى الشاب 1)

ابن زياد : إنني جاعله شسعا بنعلي يا عمر
(يصفق فيدخل غلام و ينحني) (للغلام مشيرا للشاب 1)
طوقوا هذا بطوق ذهبي و بتاج من لجين (يخرج الغلام في خشوع)

شاب 1 : إنني يا سيدي أنشد شيئا فوق هذا ... مثل أن ....

ابن زياد : مثل ماذا يا ولد ....

شاب 1 : منصبا ما ... أو كما قال يزيد لك أن ترفع من دل على مخبأ مسلم فتغيظ الآخرين .

ابن زياد : أنت ما زلت صغيرا .. ما الذي تصلح له ؟

شاب 1 : إنني أعمل في حانوت بقال غليظ الوجه .. جلف إنه صك قفاي اليوم و الله بنعله و لماذا ؟ جاءت الدكان عمياء عجوز مثل أمي , فوزنا بالشرف !

(يدخل الغلام فيطوق الشاب بطوق ذهبي)

ابن زياد : إن هذا الطوق من ذهب (يدخل غلام آخر فيضع على رأس الشاب تاجا من لجين)

شاب 1 : أنا لا أعرف شيئا في الذهب
ابن زياد : (ضاحكا) .. هكذا .. يا للعجب .
شاب 1 : ربما كان نحاسا و طلي ليس في الكوفة فرد لا يغش فلتسلني فلتسلني إننا نصنع في الحانوت أشيء عجابا فلتسلني نحن و الله نغش الجبن والزيتون و الملح و حتى الزبد مغشوش بالدهن
زيد : إيه حتى الملح ما عاد بملح .
أسد : الأمير ابن زياد لا يغش .
شاب 1 : أصبح الغش هو القانون في هذا البلد قدر ما تقوى على الغش ستنجح و نجاح المرء يضفي فوقه الهيبة و المال الوفير و احترام الناس و الصيت و حتى الحب نفسه .
عمر : إن في قولك علما فوق سنك .
شاب 1 : إنه الحانوت قد علمني .
زيد : إنه الدنيا صغيرة .
ابن زياد : أنت قد أبرمتني فانصرف من عندي الآن و إلا .... لقتلتك .
شاب 1 : (صارخا) أفمن يقتلني من غير جرم لا يغش (يضحكون)
أعطني شيئا سوى طوقك هذا أعطني أنا من دلك يا مولاي عن مخبأ مسلم ؟
ألذل تقتلني ... ؟!
إنني أفشيت فيه سر أمي أنا والله غلام غش أمه سر أم يا أميري ..
أفلا تفهم هذا ؟ سر أم
سر أم مات منها عائلوها كلهم و أنا الابن الوحيد (يكاد يبكي)
ابن زياد : رد هذا الطوق و التاج سريعا
شاب 1 : ما عساي أصنع بالتاج .. أأغدوا ملكا (يضحكون)
زيد : ربما .. ها أنت قد ما يمنحك الرفعة في هذا البلد
شاب 1 : (يرفع التاج و يضعه على مائدة و يقف مترددا) هو ذا التاج فدع لي الطوق .... فقد ينفعني .
ابن زياد : (صارخا) رد هذا الطوق واذهب يا ولد واحمد الله لأننا لم نعاقب أمك الشمطاء بالموت على إخفاء مسلم فإذا فهت بشئ في هذا البلد فسنأتي بك مسحوبا على وجهك من دارك حتى قصرنا .
شاب 1 : أفلا أصلح جنديا بجيشك ؟؟
هكذا أضمن رزقا و معاشا دائما .. هكذا أسعد أمي يا أمير ... هكذا أضمن تيسير الأمور
ابن زياد : فلتعد لي بعد يومين إذن
زيد : قد أصبح من قوادنا
ابن زياد : (لمن حوله) ألحقوا هذا في جيشي منذ غد
شاب 1 : (و هو يجري) حفظ الله الأمير .. أكرم الله الأمير لعن الله الـ .... لعن الله .... أبانا كلنا

(يدخل قائد بغبار المعركة)

القائد : جئنا بمسلم في الحديد
ابن زياد : يا مرحبا أهلا و سهلا لكنكم أبطأتم عني به .
القائد : ما كان هذا الأمر سهلا

ابن زياد : لكنه هو واحد فرد و أنتم نحو ألف
أسد : إنه الليث الهمام .
زيد : و هو سيف من سيوف الله لا يعلى عليه في الطعان
القائد : إنه جندل منا نحو خمسين .. فخفنا و انكشفنا
عمر : و هو فرد واحد يحدث فيكم مقتله ؟
كيف بالله إذا بالحسين بن علي برجاله .
ابن زياد : من ترى يبرز له ؟
القائد : أنا ما أوقعته إلا بحيلة قد منحناه الأمان و لبثنا ساعة حتى استرحنا و حفرنا حفرة في الأرض له و كسوناها بأدغال و عشب و كساها الليل ظلمة مثلما نصنع في صيد الأسود و حملنا كلنا .... ثم انهزمنا عنه و استدرجته حتى تقدم هكذا أوقعت الضرغام مسلم .
ابن زياد : أدخلوه .. أدخلوه

(يدخل مسلم مكبلا في الحديد جريحا منهكا يسوقه رجال بالسلاح)

مسلم : (لواحد من حراسه) اسقني جرعة ماء (لآخر) أيها المسلم .. ماء
ابن زياد : لن تذوق الماء عندي .. فلتمت من ظمئك .
مسلم : عندما كنتم بصفين منعتم ماءها عنا و لكننا غلبناكم عليه .
أسد : (متأزما) يا لهول الذكريات .
مسلم : (مستمرا) فسقيناكم وقد أوشكتموا أن تهلكوا من العطش عندها قال لنا عمي أمير المؤمنين .
زيد : (بجلال) رحم الله الإمام .
ابن زياد : من؟ علي ؟! ... لم يكن هذا سوى صاحب زهد لا سياسة .
مسلم : الإمام المرتضي أمضى سيوف الله قال
زيد : (مكملا) لا يعذب مسلم ذا كبد بالعطش .
أسد : سلم – سلمت – علي الأمير عساه يعطف
مسلم : لا ما الدعي ابن الدعي هو الأمير و أنت تعرف إن السلام على من اتبع الهدي و على الذي يخشى الردى و يخاف رب العالمين
ابن زياد : قل ما تريد فأنت مقتول و إن سلمت أو إن لم تسلم
أسد : أسفا لمسلم

(ابن زياد يذرع البهو في عصبية)

ابن زياد : قسما بالله أن أقتل هذا شر قتله قتلة ما عرفت و الله في الإسلام قبله .
مسلم : أنت أولي الناس أن يحدث ما شاء لما فيك من الخبث و سوء المثلة و حرى بفتي مثلي أن يشهد سوء القتل ممن هو مثلك كم رجال يفضلون ابن عقيل غلبوا على أمرهم من عصبة أفحش منك
ابن زياد : آه يا من ألقح الفتنه في الناس و شق الجمع في الأمة .. ويلك !
مسلم : إنما شق العصا فينا يزيد و أبوه و رجال أدعياء من مواليه .. كما ضل أبوك .
ابن زياد : أظننتم أنكم أهل لهذا الأمر يا آل علي ؟
مسلم : ما هو الظن ولكن هو و الله اليقين
ابن زياد : غير أن الله أعطي الأمر أهله

مسلم : من عساهم يا ابن مرجانه أهله ؟
ابن زياد : إنهم أهل أمير المؤمنين .
مسلم : قد تآمرتم على الناس فسرتم فيهم سيرة فرعون و قيصر
و أذقتم بعضهم من بأس بعض و ملأتم كل نفس بالمرض
وولغتم في دماء المسلمين و قتلتم لاعبين و اتجرتم في الضمائر
و رشوتم كل أصحاب البصائر
فاسجتابوا كارهين
أو أبوا أن يرتشوا ..
فاستقيدوا للسجون فخرجنا ننقذ الأمة و الدين
ووجه الحق مما تصنعون
فإذا ضاع شهيد قام منا بعده ألف رجل .
ابن زياد : لو تبقي منكم من بعد الطفل .. ! إنني قاتلكم حتى الأجنة .... إنني مستأصل شافتكم إنني مجتثكم من جذركم
مسلم : آه من يبلغ قرة العين الحسين
ابن زياد : أنت ماض للقاء الله .. هل عنك يا هذا وصية ؟
مسلم : ليس فيكم صديق يا عدو الله كي أوصي له
ابن زياد : هو ذا ابن عمتك ابن سعد
مسلم : عمر بن سعد
عمر : (خائفا) لا شأن لي بك فابتعد .
ابن زياد : عمر بن سعد ... مل به خلف الستار فخذ وصيته و عد
زيد : (بتأنيب عميق) قم له يا ابن أبي وقاص .. ثم .... كان والله أبوك الحر يحمي و يجير
عمر : (بتعريض) لم لا توصي بما شئت إلى .... زيد بن الأرقم.
زيد : إنه رأي الأمير ابن زياد .. هكذا شاء الأمير .
عمر : (قائما) أشهدوا يا أيها الناس علي هذا إذن

(يدخل هو و مسلم خلف الستار)

زيد : إن لي قولا فهل تسمع لي ؟
ابن زياد : قل و أوجز .
زيد : إن هذا رجل لم يرض أن يغدر بك .
ابن زياد : لا تزد من بعد هذا يا ابن أرقم
زيد : (مستمرا) ذات يوم عندما زرت ابن عروة .
ابن زياد : (متحدا) لا تزد يا شيخ .. أسكت قلت لك
زيد : (مستمرا) كان في مقدوره أن يقتلك
ابن زياد : فلماذا لم يمل بالسيف كي يجتز رأسي و هو مستخف ورائي أتراه خاف ما يصنعه فيهم يزيد أم تراه منعته هيبتي **!؟**
زيد : قسما بالله ما خاف يزيدا و له إذ ذاك من أشياعهم خمسون ألفا لا ولم تمسك يده هيبتك لا و لم يردعه حتى الدين أو حكم الشريعة فلقد اجمع أهل الفقه إذ ذاك على أنك من أهل الفساد و على أنك باغ قتله فيه صلاح للعباد
ابن زياد : لا تعد لي ذكر هذا الفحش في القول .. و إلا أنت تعرف
زيد : و هو أيضا ذات يوم حاصرك كان في مقدوره أن يحرق القصر عليك يوم أن جاء

ابن سعد ضارعا يستعطفه

ابن زياد : لا تعيرني بهذا يا ابن الأرقم .

زيد : منعته عنك في الحالين و الله سجايا لم يعد في الأرض من يفهمها إنه لا يطعن الآمن .. إن الغدر ضعف إنه لا يضرب الإنسان في الظهر ... و إن الفتك جبن .

ابن زياد : (ساخرا) هذه كانت تعاليم علي

زيد : و هي ما زالت تقاليد الحسين

ابن زياد : هذه ليست تقاليد الشرف بل تعلات ضعاف زاهدين

زيد : (مستمرا) إن أبهي ما يحلي النفس عفو القادرين إنه عف عن الغدر عن الفتك فلا تفتك به لا تمته بمزايا فيه أبقت لك رأسك حسبه السجن و لكن لا تمته

ابن زياد : فمتي إذن أشفي غليلي إن غضبت .. ؟ أإذا عجزت عن الأذى فيقال لي هلا صبرت ؟ أم حين أشرع قادرا فيقال أي هلا عفوت ؟ لا بل سأقتل و أقتل بعده من لم يوافق .

زيد : هذا التجبر لن يفيدك

ابن زياد: أسكت و لا تنطق .. فإن كلامك المسموم يفسد لي حياتي

زيد : أنا ذا نصحت فما انتفعت بما نصحت فسس الولاية كيف شئت فلا نجاة لمستبد .

ابن زياد: إني لأعجب ثم أعجب كيف لم أقتلك بعد قسما برب العرش لولا أن مثلك لازم لوجودنا كيلا يقول الناس قد داس الشريعة , ما نجوت لكن أقم ما عشت لا تفتح فمك ! و اعرف مكانك يا ابن أرقم ما أنت سوى كسوة براقة للبردعة .

زيد : أنا كسوة براقة في البردعة ... ؟! فمن الحمار إذن بربك

(يدخل عمر بن سعد مندفعا في هياج منافق ووراءه مسلم منهكا)

عمر : هذا يفاوضني على ما لا يرضاه الأمير فيريد مني أن أبيع دروعه و أسد دينه .

ابن زياد : (يقاطعه) وكم دينه .

عمر : هو ألف درهم .

زيد : و لمن يلوذ لكي يسد ديونه إن لم يلذ بذوي الرحم ؟!

عمر : أخرفت يا زيد بن أرقم أأنا أسد ديون مسلم ؟!

ابن زياد : (لمسلم ساخرا) و أتيت تنشد ها هنا الملك العريض و أنت معدم ؟!

مسلم : ما جئت أنشد ها هنا - إلا انتصار الحق وحده و أنا أموت اليوم دونه في ذات يوم كان بيت المال رهن إشارتي .

ابن زياد : (مقاطعا لعمر) بع درعه ... أما قضاء الدين فهو لنا فإن شئنا قضينا عنه دينه و إذا رفضنا فهو أولي , و اصطنع لي دائنة فإذا أبى فأقتله فورا .

عمر : (مستمرا) و يريد مني أن أخونك في الحسين و يقول لي خرج الحسين بأهله نحو العراق فابعث إليه يعود فلا يلاقي ما ألاقي ....

زيد : أسفاه .. كيف إذن أجبت ؟

عمر : (مستمرا) فأجبت بل يأتي الحسين لكي يذوق هنا المنية غصة من بعد غصة .

مسلم : (جزعا حزينا) هكذا يا ابن أبي وقاص ؟ قد و الله خنت لم يكن في أهل بيتي رجل أوثق منك

زيد : قبح الله الذي يستودع السر رجالا من طرازك

أسد : إنه لو أباح لي بالسر ما أفشيت سره .

الحر : قسما بالله لو كان ابن خالي لحفظته فأما إذ كنت قد أفشيت سره .....

عمر : (مقاطعا) أيها الحر الرياحي .. أنا....

الحر : (مستمرا) قسما بالله لن تحفظ غيره
مسلم : بالله يا عمر بن سعد
كيف انتهيت لهذه الحال الزرية ؟
فغدوت كلبا من كلاب
الصيد تطعمها أمية ؟!
أتبيعنا للطاغية
و أبوك أول من رمى بالسهم في الإسلام فلتذكر أباك أتخونه في قبره أتسوق أولاد النبي إلى الهلاك .
عمر : أنا لم أشق عصا الولاء علي أمير المؤمنين .
مسلم : أذكر مقال أبيك عن عمي علي أن يوم منه يعدل كل عمر معاوية .
عمر : أنا لا أخون ولي أمري.
مسلم : (حزينا) أو بعد أهدرت سري لا تخون ؟
عمر : (صارخا لابن زياد) أقتله .. أخرس صوته هذا اللعين
ابن زياد : قبحا و ترحا يا ابن سعد قسما برب العرش لو قد باح لي لقضيت حاجته و ما أهدرت سره و أنا الذي يأتي البلاد يدك عاليها و يقتل ثم يقتل فأما و قد أفشيت هذا السر فلتنهض إلى حرب الحسين ستميته و تخط قبره !
عمر : (في فزع شديد يكاد يخنق صوته) أأنا أنهض في أمر الحسين ؟!
ابن زياد : إن هذا الأمر يحتاج إلى مستوزر من معدنك
عمر : أفلا تمهلني حتى أدير الرأي في رأسي ... فقد ....
ابن زياد : (مقاطعا) قسما بالله لن ينهض بالأمر سواك فتشاور أنت والحر الرياحي و شمر و تجهز من غدك
شمر : (و هو رجل بلثام يقاطعه) امتثل للأمر يا هذا و لا تضعف لأبناء علي قسما بالله لو أن الأمير ابن زياد وجه الواحد منا للمدينة لهدمناها علي قبر النبي .
زيد : لعنة الله على شمر (للجميع) ألا يفزعكم ما تسمعونه (للجميع) أسكتوه قبل أن نكفر مثله كافر و الله من يسمع كفرا ثم لا يبرز له !
مسلم : (لابن زياد) عندما كان عمرك بين يميني و سلاحي ... ما قتلتك .
ابن زياد : غير أني قاتلك .
مسلم : بعد أن أفلتّ مني برضائي مرتين
ابن زياد : (مستمرا) و أثنّي بعد هذا بالحسين (ينادي) أيها الحراس جروه لأعلي القصر ... جروه سريعا .
مسلم : أفلا أصلي ...... ؟
ابن زياد : لا...... لا سبيل إلى الصلاة (للحراس) فلتخذوه و أوثقوه علي وثاقه
(الحراس يجرونه) فلتقطعوا الرأس التي ارتفعت علينا بالتمرد
مسلم : لعن الله رجالا خذلونا (وهم يجرونه) فليطهر دمنا الطاهر أرض الله من أهل الفساد لعن الله يزيد و الدعي ابن زياد بأبي أنت و أمي يا حسين عد إلى جدك ... لذ بالحرمين (يخرج)
ابن زياد : (في خفة) أنا ماض لأرى ماذا يكون إن أبهى ما يثير النفس حقا أن ترى رأس عدو لك تسقط (يشير إلى شمر فيسرع إليه)
(هامسا) شمر .. بلغني بما يجري ورائي
(يخرج و يعود شمر فيندس وسطهم) ها هنا ......
زيد : قضي الأمر إذن
عمر : لا تلمني إن ما يحدث قدر

زيد : لعن الله نفوسا عمرتها شهوة الكيد و أطماع الغني
لعن الله زمانا تذعن فيه التقوى به لسلاطين الخنا
لم لا تعصف بالأرض رياح الموت بالله فلا تبقى عليها أو تذر ؟؟
آه يا دنيا فكم قوم سوانا فسدوا في الأولين فأبادتهم رياح عاتية غير أنا
.. ويلنا .. يا ويلنا نحن قوم أُهلِكوا بالطاغية .

شمر : من تعني بقول الطاغية ؟

زيد : إيه يا شمر ابتعد

شمر : (يصيح) ألأني أبرص تأمرني أن ابتعد .

زيد : لا تزد ... صوتك منكر

عمر : قضي الأمر إذن .

الحر : لم ظاهرت على أبناء إخوانك من هم غرباء ؟

عمر : بم يمتاز علي عن أبي ليكون الأمر له ؟

زيد : و بم امتاز ابن هند عن أبيك ؟

عمر : أن يكون الأمر في قبضة إنسان غريب هو أشفى للقلوب و سيبقى لي قدري دائما

الحر : إنني لا أفهمك .

عمر : إنهم إن قارنوني بيزيد شعروا أني ذو فضل غبن غير أني ضائع إن قارنوني بالحسين إنه إن ولى الأمر علينا لاسترد المال و الثروة منا فحرمنا كل ما يمنحنا الهيبة و السطوة في دنيا البشر .

زيد : (لعمر)أن تخرج من سلطان الأرض بما فيها من إغراء خير من أن تلقى الله و على كفيك دماء شهيد فكيف بسبط رسول الله .. ؟

شمر : أتحرضه يا ابن أرقم ؟

زيد : (مستمرا) ستصبح سفاح الشهداء
ستعيش أسيرا في اللعنة
ستحيا العمر كسير القلب طريد الذنب حبيس الذلة
ستصبح عارا يتحماه الناس جميعا كالأبرص .

شمر : مالك بي يا ابن أرقم ؟

زيد : (مستمرا) و سوف تطاردك الأشباح
في كل مساء وصباح
و ستحمل وقر جريمتك الشنعاء
و تذرع وجه الأرض وحيدا ممتهنا هملا
مثلوم العرض كقاتل حمزة
أو أشقى ستغدو كالمزق النجسة
ستصبح خرقة أنت ابن أمين الأمة ....
أنت فارحم ذكرى الرجل الطيب !
فسيلعنه الناس جميعا أن قد أنجب ولدا مثلك أوتعرف أي دماء تسفك .. ؟
أزكى دم ! دماء نبيك .. ويلك ويلك !

(قائد يدخل مذعورا)

القائد : أين أميري ابن زياد ؟ قد ثار الديلم .. ثار الديلم !

زيد : أميرك مشغول يا ولدي يقتل مسلم أبشع قتلة .

القائد : و الديلم يا شرفاء الكوفة قطعوا أطراف الدولة الديلم قتلوا حاكمهم .

زيد : (لعمر) لو سرت تجاهد جيش الديلم باسم الله إذن لنجوت .

(ابن زياد يدخل فجأة من وراء الستار بوحشية)

ابن زياد : قضي الأمر ومات الخائن و سمعت حديثك يا ابن أرقم فاحرس رأسك لا تسقط !!
زيد : رحم الله ابن عقيل !
رحم الله أعف الخلق
شهيد الحق
ابن زياد : مصرع مسلم يا ابن أرقم فتح شهيتنا للقتل
زيد : كبعض الأسماك الوحشية حين تشم دماء رجل !

(رجل من الموجودين يضحك)

ابن زياد : لماذا تضحك يا ابن الأفعى ؟ .... فلتقتل قتلة مسلم .. (الرجل لا يجيب)
أسد : هذا من أخلص أعوانك
و أعظم من سدد بالنبل
أبوك الطيب قطع لسان الرجل
و ظل وفيا لك .
الحر : أعرف هذا ... هذا أبكم ...
ابن زياد : هذا رجل يسخر بي ... سنعذبه حتى ينطبق جروه لآلات التعذيب .
(يجره الرجال و هو يصرخ)
زيد : ثار الديلم يا ابن زياد ثار الديلم وجه سخطك للديلم
عمر : (متحمسا) سأقود أنا جيشا للديلم يا ابن الأرقم
ابن زياد : (لعمر) فيما بعد .. سأرسل جيشا فيما بعد أما الآن فجهز جيشا للكذاب ابن الكذاب .
زيد : بل هم والله رجال الصدق و هم أولاد نبي الحق .
ابن زياد : لا يطمعك الحرص عليك .. فإن عاودت . فلن تسلم
قسما لن تخرج من قصري هذا أبدا يا ابن أرقم
فأقم ما شئت هنا مرتهنا ... لن تتصل بأحد بعد ... !
زيد : قد بان الصبح لذي العينين .
ابن زياد : لا أفهم شيئا من حكمك ذو العيني و ذو القرنين !!! مالي شأن بالعينين
(فجأة) بل لي شأن بالعينين ... أين المختار ؟
زيد : خرج اليوم من الكوفة .
ابن زياد : فلتغلق أبواب الكوفة .
أسد : و أهل الكوفة يا ابن زياد ؟ أتسجنهم خلف الأسوار ؟
ابن زياد : لن يدخل أحد أو يخرج حتى نوقع بالمختار فليوضع في السجن بأمري حتى أسأل فيه يزيد و لتسمل إحدى عينيه .
أسد : إن لديه لأعوان أكثر مما تتصور .
ابن زياد : أيجرؤ منهم أحد بعد و قد شهدوا مصرع مسلم ؟! لقد أرعبنا كل الناس حتى مذحج و مراد الخوف هنا يحكم وحده .. الخوف هنا يحني باسمي هامات الكل الخوف يعز هنا و يذل .
القائد : (مقاطعا) يا مولاي .. لماذا ليست تخيف الديلم ليس الخطر هو المختار الخطر

علينا في الديلم .
ابن زياد : خذوا هذا ... فعسى يتعلم إن عذب
القائد : (برعب) يتعلم ماذا يا مولاي ؟! (و هم يجرونه)
ابن زياد : متى و وبماذا تتكلم ....
(ضاحكا) أيعارضني أحد منكم
(صمت) ما هذا ؟
قولوا .. قولوا .. إن الأمر هنا شورى
و إذن يا عمر فقم من فورك جهز جيشك .
عمر : الأولى بك ...
ابن زياد : (مقاطعا بحده) أنا أعلم منك بالأولى .
عمر : الأحكم .....
ابن زياد : (مقاطعا) أنا أعلم منك بالأحكم .
عمر : في الكوفة من قوادك بعض رجال هم أولى بالأمر
ابن زياد : أنا أعرف منهم من يعوزني لست هنا كي أستأمرك
عمر : (محرجا) أنا أنصح لك .
ابن زياد : (يقاطعه في حده أكثر) أنت هنا كي تسمع و لتذعن لي
زيد : (لعمر) اعتزل الأمر ولذ بالحرم فهذا لو تدري أقوم
ابن زياد : خرف الشيخ فلا تسمعه فلا منجاة لمن سمعه
عمر : يا الله ! أما ترسل غيري من غير ذوي رحمه ؟
أو فابعث شمرا أو أسد ... هو ذا الحر ...
الحر : (لعمر ساخرا) عرفنا الساعة .. ما في قلبك من بر بذوي الأرحام !
ابن زياد : (ضاحكا ثم رقيقا مع عمر) عساه الحرص على الإسلام .. !
فقم الآن أبيت اللعن فمتع نفسك بجواريك و لا تحزن
و غدا تخرج كي تكفينا أمر حسين
فإذا رفض البيعة فلتقتله و أحضر رأسه
عد بالبيعة أو رأسه فإذا عدت بأيهما فستعطي الري و جرجان
أفتسمعني... ملك الري و جرجان ...؟
أعرفت الري و جرجان ؟
جنة ربك في أرضه يا للحوريات العين
و يا للابكار الخرد و فيض من ذهب وهاج
الأبهة و جاه الملك و عز الهيبة و السلطان
عد بالبيعة أو بالرأس
أسمعت حديثي ؟
.. رأس الحسين ثمن التاج !
فامض الآن يا ملك الري و جرجان .... يرعاك الله !
عمر : (منفجرا في ذعر هائل) ليس الله بل الشيطان
سأغدو منذ غد ملكا .. ملكا من طين
هاأنذا ملك الآلام و عرشي تلفحه الآهات تاج ندم ملك الغربان
ملك في أغوار جهنم! ملك الأعراض المنثلمة !
ملك النقمة ! ملك العار !
ملك رايته اللعنات (يخر منهارا باكيا) ملك لا يملك شيئا .. حتى ألمه !

المنظر الثالث عشر

(شاطئ الفرات يعرض المسرح في الطريق إلى الكوفة .. الحسين و بعض صحبه في الوسط تحت ظلال تلقي الخضرة على المكان و تحجب ضوء الشمس .. في الصدر من ناحية اليمين مقدمة خيام .. و قد انضم إلى الحسين الآن عدد من رجال الكوفة على رأسهم برير .. في عمق صدر المسرح على مرتفع خيمة للنساء) .

سعيد : إنا بلغنا شاطئ الفرات سالمين .
برير : يا أيها الإمام يا أمير المؤمنين .
الحسين : فأكثروا ما تستطيعون من الماء الفرات في القرب و اسقوا الخيل و البعير و أريحوها فقد أنهكها السير الطويل و المتعب كم ترى قد بقى الآن على الكوفة .. ؟
برير : لم يبق إلا ليلتان و نهار .
الحسين : و ينهض المظلوم و المستضعف المنبوذ و الذليل و يسقط الجبار .
برير : لكن أغثنا يا أمير المؤمنين إذ إن آلافا من الكوفة قد جاءوا معي بلا طعام .
سعيد : و كيف جئتم جائعين يا برير كيف جئتم مفلسين ؟ أنت الذي علمتني القرآن في الكوفة من عشرين عاما يا برير و أنت قد علمتنا أن التكاليف تناط دائما بالمقدرة و لا يكلف الله تعالى النفس إلا وسعها .
برير : إنا فزعنا لائذين يا سعيد
الحسين : سعيد مهلا ..
برير : مرحبا يا شيخ قراء العراقيين و أهلا .
سعيد : ما عندنا من الطعام ليس يكفي يا برير
إذ أن آلاف من الأعراب
جاءوا قبلكم مؤيدين و ما لديهم من طعام أو كساء

(يدخل الأعرابي الذي رأيناه في المنظر الثالث)

الأعرابي : يا للحسين ! .. قد أتيت ... هل نسيتني ؟ أنا .....
الحسين : (مقاطعا) أنت ؟ فأهلا يا أخي و مرحبا .
سعيد : (ضاحكا) أجئته في رد الدين ؟
لا بل أتيت ناهضا مع الحسين مبايعا أقود نحو المائتين من بينهم و الله ذاك الدائن الفظ الثقيل
الأعرابي : (لسعيد و بشر) و شرطنا يا صاحبي أننا مع الحسين ما غلب فإن تخلى الناس عنه ننسحب
بشر : ماذا تقول ؟!

الحسين : (ضاحكا) ما هكذا النجدة يا أخا العرب !
الأعرابي : لكننا قد نفذت أقواتنا فلا طعام عندنا .
سعيد : (ضاحكا) و لذا جئتَ لكي و الله هنا .
الحسين : (لسعيد) و ما عسانا صانعين الآن بعد يا فتى ؟
سعيد : فها هنا ركْبٌ أتي من اليمن .
برير : يحمل أكداس طعام و ثياب و مؤن .
بشر : و عطور الهند و الياقوت و المرجان و العاج .. و لكن لا تسلني عن دنانير الذهب .
برير : هي والله تلال .
سعيد : عندهم منها كما عندي من هذه الرمال .
الحسين : ما لنا نحن وهذا .. ربما كانت تجارة ؟
برير : إنها و الله لو كانت كما قلت فلا شأن لإنسان بها !
سعيد : و لما كنا فحصناها
بشر : و لا حتى مددنا طرفة العين إليها
برير : إنما تلك هدايا ساقها بعض ولاة السوء زلفى ليزيد !
الحسين : (حزينا) كل هذا !
لا سليمان و لا قارون قد شاهد هذا المال كله ؟
كل هذا و بلاد الله قد فاضت بأبناء السبيل ؟
كل هذا و حوالينا أنين ضارع يحمل أوجاع اليتامى و الأرامل ؟!
أين يمضي الأغنياء اليوم من حر زفير الفقراء !!
كيف ينجو مترفو الأمة من طوفان دمع البؤساء ؟!
كم جياع شاهدوا قافلة المال وما يدخل في أجوافهم إلا غبار القافلة
(منتفضا) غير أن هذا المال مال المسلمين
إن هذا المال مال مغتصب
إنني الآن ولي الأمر قد بايعني الناس لكي أعدل فيهم و أرد الجور و الفاقة عنهم
فبأمري وزعوا المال على كل الرجال
وزعوه بالمساواة عليكم أجمعين
لكن استوصوا بحق الضعفاء
و أفيضوا منه للأعراب ممن حولكم فأريشوا الفقراء التعساء
وزعوه بالمساواة و لا تنسوا رجال القافلة
و أسألوهم فعسى أن يتبعونا راغبين
فإذا هم أرادوا أن يرجعوا ... فأمدوهم بزاد و عتاد
و امنحوا كل امرئ يرجع منهم راحلة
(لسعيد) ثم أنفذ رجلا يمضي إلى عمال هاتيك البلاد
ليرى ما يصنع العمال بالمال ,
فيستبقي عليه الأمناء
و الذي أنفق مال الناس في غير وجوه البر فليؤخذ بجرمه فليعاقب
بالذي قال رسول الله فيه " ليس لحاكم أن يعبث بالمال كما لو أنه من إرث أمه "
أنا ماض لأقوم الآن بالتوزيع بالقسط على كل الرجال الشاهدين

(يسرع الحسين بالخروج من ناحية اليسار و يخرج وراءه بشر)

سعيد : إذا صرت غدا عامله في أي مصر
أفلا أعتاض في ملكي هذا بعد عن أيام فقري ؟
برير : إنه مثل أبيه متقشف .
الأعرابي : إننا جئنا لكي نخلص من عيش الشظف أم ترانا سنقضي عمرنا في الفقر ؟ إن الفقر كفر !
يا أخي إن يزيد يمنح الناس كما شاءوا و أكثر .
أنا ماض يا أخي آخذ حقي من متاع القافلة
سأرى ماذا سأعطي رجالي .... و أقرر (يخرج)
سعيد : إنني أضيق أهل الأرض صدرا بأمية فهم جعلوها قيصرية و يزيد أفسق الناس جميعا دون ريب و أنا أكرهه و الله كرها لا يطاق و أنا و الله أتقى الناس في كل العراق (لبرير) غير أني يا أخي أطمح في شئ من الراحة من بعد التعب .
برير : راحة المؤمن في أن ينتصر الحق الذي يؤمن به .
سعيد : (ضاحكا) ثم لا بأس بضيعة ! لست والله بطماع لكي أرجو أن يصبح لي عدة دور أو قصور و ضياع واسعة ... أنا لا أطمع في مثل الذي نال أخي عند يزيد أو كعمي عندما والى يزيدا فتولى ما يريد .
برير : أترى تندم أن قد سرت في هذا الطريق ؟؟
سعيد : (مستمرا) قد غدا أفقر أهلي يا برير الآن من أهل القطائع و لديه من قصور العز و المتعة و البهرج و الراحة دنيا لا تضارع : فالجواري الفاتنات و الخيول الصافنات ...
برير : (مقاطعا) أنت إن تندم علي ما فات فلتلحق بأهلك .
سعيد : ليس هذا ندما و لكنني عندهم أخيب خلق الله طرا .
برير : أفلا يكفيك أن ترضي نفسك ؟ أفلا يكفيك أن ترضي عليك الله إذ تنصر دينه .
سعيد : إنه حسبي حقا .. ثم .. لا بأس بقصر متواضع
ثم لا بأس بقصر في مدينة !
ثم لا بأس إذا جادوا علينا بجوار من بنات الروم
أو حتى فتاة قبرصية أو ببنت رودسية
أو فتاة من بنات الشام بيضاء شهية أو بحتى فارسية .
برير : (ضاحكا) لست و الله بطماع إذن ... ؟ ألهذا سرت في ركب الحسين ؟

(الأعرابي يدخل و هو يعد قطعا ذهبية و حوله بعض رجال يعدون مثله)

الأعرابي : حفظ الله الحسين بن علي
هكذا يا قوم أصحبتم جميعا أغنياء و كسبنا فوق هذا كله الذكر الحميد
و كسبنا أننا نرضي النبي .
برير : (مستمرا لسعيد) هكذا يتبعه اتقاكم من أجل نفسه
إنه يطلبكم من أجل هذا الدين لكنكم طلاب دنيا و متاع
إنها بيعة تجار يضيفون مع الربح الخسارة إنها بيعة غبن و ضياع !
سعيد : (غاضبا) لا .. أبيت اللعن ... لا.. لا يا برير

إنما اتبعته من أجل ديني يا برير
إنني لست كغيري لو علمت أنا والله بخير
إنني لو كنت من طلاب دنياهم لما خالفت أهلي أو فقل لي أي دنيا
يرتجيها المرء عند أبي علي ؟
إنني من أجل دين الله ماض من ورائه و سأفديه بنفسي و بأهلي ..
فهو لي نفس و أهل !
و بما يطلع نور الشمس فوقه غير أني يا أخي
ربما أحلم بالزينة و النسوة و المتعة و اللين ..... أجل
و ..... بتل من زبرجد و بأن ألقي في قلب الذي حقرني غيظ الأبد فهل
الأحلام يا شيخ حرام ؟

الأعرابي : هكذا تنشر في الناس الخور !

برير : (ضاحكا) إنه ما قال غير الحق لكنك قد نافقت زهدك .

سعيد : (ضاحكا) أي زهد فيه هذا التوسل ... ؟
إنه جاء بشرط الكسب منا فإذا لم يعط ما يرجوه يرحل
بل إنا من أجل دين الله و الله خرجت
و معي و الله آساد الشرى و كما قلت ,
سنفديه بما يطلع نور الشمس فوقه .

(أصوات هرج من وراء المسرح)

الحسين : (من الداخل و صوته يقترب) اسمعوا يرحمكم الله و خلوا قسمة المال
قليلا فغدا يؤخذ من يكنزه أخذا وبيلا .

(يدخل من حيث خرج و حوله بشر و فتيانه ووراءه رجال منهم شيخ مذحج و شيخ مراد و أتباعهم و آخرون)

الحسين : أيها الناس لقد جدت أمور قد تجمعتم على أني إمام و أمير بعدما بايعني
أهل العراق و حسبتم أنه في قبضتي غير أني جاءني الآن نذير : أنه قد
خذلني من كان بايع .

برير : كيف هذا ؟ مستحيل يا أمير المؤمنين ...
إنه كيد ابن مرجانه فاحذر يا إمام الصالحين
إنني أصدق من جاءك بالأنباء ..
فاسمعني و ذرهم و تقدم إنني قد كنت في الكوفة من عشرة أيام فحسب
و رأيت ابن زياد و هو في القصر حبيس .. يترقب
و رأيت الناس و الله تداعوا فوقه مثل الضياغم إنه كيد خسيس !
و كذب إنه أنفذ من يدلي بأنباء تثير الرعب كي ينفض هنا الناس عنك .

سعيد : إنه كيد ابن مرجانه لك !

الحسين : إنهم قوم من الكوفة من أهل الصلاح
و قد جاءوا بأنباء صحاح
(حزينا) إن جند ابن زياد قتلوا هانئ بن عروة .

سعيد : مستحيل .. مستحيل .

برير : كيف هذا و لدى هانئ آلاف الكماة الدارعين ؟

الحسين : إنهم قد خذلوه .
بشر : فسنبقي نحن و الله حصونك .
الحسين : (متماسكا) و ابن عمي مسلم و احزناه !
هو أيضا قتلوه ! قتلوه ...
وا لمسلم !!

(النساء يظهرن على باب الخيمة في عمق صدر المسرح في المستوى الأعلى وراءهن زينب)

أصوات النساء : وا مسلماه واغربتاه ... يا ويلتاه .. وا ويلتاه وا ثأراه ... وا ثأراه ... قتلوا ابن عم رسول الله .
الحسين : (متجها إلى النساء) كفكفن الدمع
زينب : (كالخطيبة) يا فتيات بني هاشم
لا تأتين بما يذهب عنكن الهيبة
يا فتيات لن يخلد أحد في الدنيا فهي مجاز للأبرار
الدنيا ليست دار قرار
فصبرا صبرا يا فتيات
و نبي الله المرسل مات ....
أين علي ؟ أين الحسن ؟
أين مضى حمزة من قبل
نساء : (بكاء أخف) واغربتاه .. وا مسلماه .. يا ويلاه .. يا ويلاه .
زينب : إن هذا لقضاء الله فينا .. ما عسانا نستطيع ؟
فإذا لم يفن من يلقي على الأيام نورا فلماذا خلق الله الشموع ؟

(تتجه زينب إلى الخيام و تتوقف وحدها متماسكة لكيلا تبكي و هي تنظر إلى الحسين)

فليمد الله عمرك ... (ضارعة متجهة إلى السماء) احمه شر الغوائل
إنه يخرج باسمك إنه ينهض كي يهدي من ضل سبيلك و لكي يدفع عن حوض الفضائل .
رب أيده و لا تفجع به الأمة و احرسه بعينك .

(تدخل النساء جميعا إلى الخيمة ووراءهن زينب .. أما الحسين فقد وصل الآن إلى المستوى الأعلى في عمق صدر المسرح أمام الخيمة و قد اطمأن إلى عودة النساء إلى الخيمة فيقف خطيبا)

الحسين : أحمد الله على نعمائه .. إنه الغالب وحده و أصلي أيها الناس على أشرف خلقه .
أصوات : صلى الله عليه و سلم .. صلى الله علي آله .
الحسين : أيها الناس فأما بعد إني ها هنا المسئول عنكم فلأصارحكم بما ننهض منذ اليوم له إنني أكره أن تمضوا معي من غير علم نحن ماضون جميعا لملاقاة الحتوف و على من لم يطق ما نحن ماضون له أن ينصرف أنا لا أكرهكم
الأعرابي : فأنا ماض بقومي يا إمام

أنا والله علي الشرط فما أذهب غدرا أو جبانة

الحسين : انصرف يرحمك الله تعالى بهم .. و لكم منا السلام .

برير : هكذا ؟ .. يا للمهانة !

(يكاد يمنع الرجل .. يتوقف الأعرابي و ينصرف من معه).

الأعرابي : بأبي أنت و أمي عد و لا تمض إلى من خذلوك .

الحسين : إنما هذا طريقي ليس لي غير ارتياده

الأعرابي : إنهم من جحدوا حق أبيك و عصوا عن أمره حتى سئم و سقوا بالسم سيف القاتل الباغي ابن ملجم .

الحسين : أنا مدعوا إلى تلك الشهادة إن موتا في سبيل الله أزكي عند رب العرش من كل عبادة .

الأعرابي : إنهم قتلوا سبط الرسول المصطفى لن يرجعوا عن أي إثم بعدها مهما عظم

الحسين : أتراني أكتم الحق ابتغاء العافية ؟

الأعرابي : أنت لا تعرف ماذا تصنع الأطماع في قلب امرئ يحلم بالعيش الرغيد لا تنازعهم على ما يملكون اليوم في عهد يزيد فسيغدون ذئابا ضارية .

الحسين : أنا ذا أحيا شهيدا لم لا أقضى شهيدا ؟

الأعرابي : أنا لا أقوى على أن أتبعك ثم لا أقوى على أن أشهر السيف عليك .

شيخ مراد : نحن لا نعرف أن كنا سنمضي للذي تمضي إليه .

الحسين : أنا لا أكرهكم.

رجل 1 : نحن معذورون إن نحن انصرفنا يا إمام الحق .. لكنا على عهد الصداقة (ينصرف برجاله).

رجل 2 : ما لنا بالحرب طاقة (يخرج برجاله)

شيخ مراد : نحن يا سبط رسول الله لا نغدر بك غير أني حائر و الله في الأمر إذا كانت الحرب الضروس فكلا الحزبين مسلم .

سعيد : قلت لي بالأمس عن حزب يزيد إنهم أهل فساد و الذي يسكت عن طغيانهم باغ و آثم .

شيخ مراد : أعطني سيفا بعينين يرى الفاسق من أتباعه يا ابن سعيد !
عندما ألمك هذا السيف ذا العينين لن أرجع عن حرب يزيد

سعيد : أنت و الله منافق .

الحسين : يا أخي لا تكره الناس و دعهم .. كل إنسان لما يصلح له .

برير : إن هذا الجبن لن يصلحهم
(يقف خطيبا على مرتفع) أيها الناس اسمعوني
إنما الناس جميعا ميتون
إن موتا في فراش الذل للعار الذي يشقى به أبناؤكم
إنما أجدر بالمؤمن أن يلقى قضاء الله في صيحة حق .

شيخ مراد : فلتدعنا يا برير
إنا لا طاقة لنا بابن زياد .

سعيد : أنت لن تهلك إلا حتف أنفك و يقول الناس بعدك إنه حمار و نفق !
(شيخ مراد يخرج برجاله .. يعترضه سعيد)
أيها الشيخ استمع لي لحظه ثم انصرف كيف تريد أإذا واجهك الدهر بأن

تختار إحدى الخصلتين : ميتة الأحرار أو عيش العبيد كيف تختار إذن ؟

برير : إنما الإنسان مسئول أما الله عن حسن اختياره .

شيخ مراد : ربما أفسد من حرية الإنسان في خيرته خوف المكاره

الحسين : أهو الخوف .. فممن ؟

شيخ مراد : إن بعض الخوف يقهر ...

الحسين : أن تخاف الله أولى بك من خوف الولاة .

شيخ مراد : إن هذا لامتحان لنبي .. نحن لسنا أنبياء .

أصوات النساء الباكيات: وواحدتاه .. وواغربتاه وواكثرة العصبة الغادرين وواقلة الفتية المنجدين .

الحسين : أنا ماض للنساء الباكيات فاستخيروا الله فيما اخترتموا حتى أعود نحن ماضون إلى خصم عنيد مفسد يدفع عما في يديه بدماء الأبرياء و الذي يبقى معي و الله يختار طريق الشهداء .

سعيد : (يستوقفه) نحن باقون معك

بشر : ليت لي فوق يدي ألف يد تضرب دونك

سعيد : ليت لي من فوق عمري ألف عمر يفتدونك
إنني باق و لو جاهدت وحدي يا أمير المؤمنين .

برير : يا إمام الحق إأذن بالسفر .

الحسين : بعد أن يهدأ عنا نوح هاتيك النساء الباكيات

(يدخل الخيمة و تقابله زينب على بابها) .

زينب : يا أخي ادخل أنت للنسوة فأمرهن أن يسكتن قد يسمعن منك .

الحسين : و إلى أين ؟

زينب : أنا ذي ماضية أدفع عنك
لم يكن رأيي أن تأتي للكوفة لكنك جئت و أراهم خاذليك
أنا لن أتركهم كي يصنعوا مثلما قد صنعوه بأبيك .

سعيد : ما على النسوة يا أخت جهاد
ما عليكن جهاد يا أخيه .

(بعض الرجال ينسحب)

زينب : إننا و أسفا لا نشهر بالسيف و لا نملك غير الكلمات
ليتنا كنا تعلمنا أفانين الطعان
فلجاهدنا إذن بالسيف .. بالرمح .. بشئ يا أخي غير اللسان .

الحسين : لا تبالي فلبعض الكلمات مثل وقع الطعان (يدخل خيمة النساء) .

زينب : (واقفة على مكان مرتفع في عمق صدر المسرح أمام الخيمة)
أيها الناس ادفعوا عن نفسكم عار الأبد
يوم خالفتم عليا و خضعتم لابن هند
فغدوتم و هو المعطي و أنتم تتلقون العطاء (يسكت بكاء النساء)
و قصاراكم من النعمة منح وولاء نعمة لا يرتضي أثقالها غير الإماء
و دفعتم كل ما كان لديكم من إباء
فإذا ارتفعت رأس هوى السيف عليها فهوت

و إذا جمجم اختفت
سامكم سوم الإبل
و اقتضى أشرافكم بيعة ذل
إنه أحدث فيكم بيعة اللاهي يزيد بيعة
و الله لم يحكم بها أمر قد أنسقتم إليها صاغرين
غير أن ابن أبي سفيان ولي و مضى في الهالكين
و تهاوت دولة الفرد فهل نبني سواها من جديد ؟؟
فانفروا نستنقذ العرض و نحمي شرف الأمة من بطش يزيد
انفروا .... يا للرجال !
قسما بالله مبرورا لأن يشهر سيف فوق هام المفسدين الظالمين لهو عند الله أزكي من جهاد المشركين
قد أتاكم يا أيها الناس ابن خير المرسلين :
الحسين بن علي صاحب الرأس الأثيل
و هو ذو الحق الأصيل
و له من فضلة ما ليس يوصف
و له من علمه ما ليس ينزف
صاحب القلب الكبير
قد عرفناه عطوفا بالصغير
حاميا للدين قواما أمينا للسنن
أعلى الأرض فتي مثل الحسين .. ؟
فهو و الله إمام تجب الحجة به
و هو الراعي الذي تنعقد البيعة له
إن لم يقتل اليوم يمت
و الذي قد فر منكم لم يفت
فإذا قصر منكم أحد عن نصرة الحق فقد باء بذل أبدي
أذكروا ذلكم بعد علي
فاحذروا أن تعشوا الأبصار عنه و هو نور المهتدين
احذروا أن تضربوا في وهد الباطل و الحق المبين
و اغسلوا عاركم السابق يا قوم بتأييد الحسين .

الأعرابي : صفعتنا كلنا و الله .. لكنا بحق جبناء (ثم لرجاله) فاذهبوا أنتم ... سأبقى . (يذهب عدد من الرجال) .

برير : ويحكم .. ماذا تخافون ؟ و في أي عروض زائلات تطمعون ؟

بشر : إنكم أصحاب حق ... فلماذا تنكصون ؟

شيخ مذحج : نحن نرجو أن يعود العز فينا
غير أنا ينبغي أن نتشاور
و على العهد أن نتبع ما قد تنتهي الشورى إليه لا محالة .

سعيد : هكذا تنقلب الشورى غطاء للندالة .

زينب : ما عسي أن تنتج الشورى من آراء في ساعة خوف ؟

شيخ مذحج : إن هذا الأمر لا يصلحه أن نختلف

سعيد : لعنة الله على أشياخ مذحج .

شيخ مذحج : لا تهنا يا سعيد و دعونا نتشاور .

زينب : هكذا يلتبس الباطل بالحق و يبدو الجبن في ثوب الحكيم المتأمل

(يخرج بعض الرجال أيضا)

شيخ مذحج : نحن إن نحن تشاورنا فقد يجتمع الرأي علي تأييد مولانا الحسين .

(يخرج بعض الرجال)

بشر : الإمام المرتجي ليس وليا لجبان متخاذل !
برير : هكذا يا شيخ مذحج ؟؟ لم يكن هذا برأي لك في الكوفة إذ أزعمت تخرج
شيخ مذحج : يا برير أنت محرج إنما الحكمة يا شيخ و رب العرش أن ....
برير : (يقاطعه بمرارة) التَّعِلات التي ترجو بها الأطماع أن تلبس تيجان العدالة !!
زينب : تحت ظلال الخوف لا حكمة بعد أو دهاء
تحت ظلال الخوف لا حكمة إلا أن تغامر
إن ظل البطش يخفي الحق حتى عن عيون العقلاء
إن ما ترجو من العزة لن تدركه إن لم تخاطر !
شيخ مذحج : نحن ماضون بعيدا نتشاور .
الأعرابي : ما الذي يجعلني أبقى ؟ سأمضي بسلام .

(يخرج الرجال جميعا ووراءهم سعيد و لا يبقى إلا برير و بشر و ثلاثة آخرون ثم زينب)

(زينب تتأمل المسرح الخالي حزينة)

الحسين : (يأتي من الخيمة و يتأمل المكان الذي خلا من الرجال) أين الرجال ؟
إني سمعت لجاجهم من خلف أستار الخباء .

(سعيد الذي كان قد خرج مع آخر مجموعة من الرجال يأتي في فزع)

سعيد : يا للحسين !!
زينب : أسفاه قد هرب الرجال .
سعيد : هربوا بما أخذوه من مال و أنعام و ميرة
برير : أين الرجال القائمون على العهود ؟
زينب : فسد الزمان و لم يعد إلا الرجال الخائرون
أين الرجال الصامدون
ذوو الضمائر و الحجا أهل البصائر
خمص البطون من الصيام
صفر الوجوه من القيام حمر العيون من البكاء
زرق الشفاة من الدعاء ؟!
برير : أسفاه قد ذهبوا جميعا .
زينب : ذهبوا و قد فسد الزمان و لم يعد في الأرض إلا بعض أشباه الرجال .

-- تابع مسرحية الحسين ثائرا --

زينب : ذهبوا و قد فسد الزمان و لم يعد فى الأرض إلا بعض أشباه الرجال .

سعيد : أجسامهم مثل البغال .

برير : و عقول ربات الجمال .

زينب : سلطان دولتهم يزيد .

برير : ذهب الرجال فيا لعارهم المهين . يا ويلهم يتسكعون ببعض وديان الضلال .

بشر : يُقعون فى ذل الكلاب أمام سيدهم فهو يرمى إليهم بالفتات .

سعيد : ذهبوا يجوبون المسالك كالنساء الضائعات .

الحسين : (حزينا ثم منفجرا)

ما عاد فى هذا الزمان سوى رجال كالمسوخ الشائهات
يمشون فى حلل النعيم و تحتها نتن القبور
يتشامخون على العباد كأنهم ملكوا العباد
و هم إذا لاقوا الأمير تضاءلوا مثل العبيد
صاروا على أمر البلاد فأكثروا فيها الفساد
أعلامهم رفعت على قمم الحياة ..
خِرَق مرقعة ترفرف بالقذارة فى السماء الصافية
راياتهم مزق المحيض البالية
يا أيها العصر الزرىّ لأنت غاشية العصور
قد آل أمر المتقين إلى سلاطين الفجور ..
قل أى أنواع الرجال جعلتهم فى الواجهات ؟
قل أى أعلام رفعت على البروج الشاهقات ؟
أى الذئاب منحته السلطان و الملك العريض ؟
يا أيها العصر البغيض
يا أيها العصر الزرى و أنت غاشية العصور
العصر ينفث حولنا الغثيان مما أحدثته به أمية
عصر يثير تقزز النفس الأبية ..
يا أيها الشرفاء لا تهنوا إذا طغت الذئاب ..
سيروا بنا كى ننقذ الدنيا من الفوضى و من هذا الخراب
سيروا بنا نُعد للعصر رونقه القديم
و ننصر الحق الهضيم
لا ترهبوا طرق الهداية أن خلت من عابريها
لا تأمنوا طرق الفساد و إن تزاحم سالكوها ..
سيروا على اسم الله لا تهنوا فنحن بنو أبيها

سيروا بنا نستخلص الإنسان من عار العذاب

(انتهت مسرحية الحسين ثائرا)
(و تليها مسرحية الحسين شهيدا)

,, الحسين شهيدا ,,

عبد الرحمن الشرقاوى

شخصيات المسرحية
حسب ترتيب الظهور على المسرح

سعيد بن سعيد : من رجال الحسين

الحسين بن على :

بشر : من فتيان الحسين

برير : من شيوخ الكوفة و أتباع الحسين

الحر الرياحى : من قواد جيش الكوفة

زينب : شقيقة الحسين

شمر : من قواد الكوفة

عمر بن سعد : أمير جيش الكوفة

أسد : من شيوخ الحجاز و هو مالك كبير فى الكوفة

حبيب بن مظاهر :
زهير بن القين :
نافع :
ابن عوسجة :
رجال من الكوفة من أنصار الحسين

سكينة : **بنت الحسين**

زين العابدين : **ابن الحسين**

زيد بن أرقم : **من شيوخ الكوفة**

يزيد بن معاوية :

جارية يزيد :

زوجة يزيد :

المختار الثقفى : **من أنصار الحسين**

نساء و أطفال – نادبات – رجال حاشية – جنود و قواد و حراس – تجار و عرفاء – فتيان

زمان المسرحية : **سنة 60 هجرية**

المنظر الأخير : **نحو سنة 65 هجرية**

مكان المسرحية : **بادية فى العراق – كربلاء – دمشق – بادية الشام**

المنظر الأول

(بادية بجنوب العراق على مقربة من كربلاء تتناثر فيها التلال .. الحسين و رجاله و فتيانه يتفرقون فى المكان على المرتفعات و المنخفضات .. سعيد يقف على أعلى المرتفعات و هو يتأمل الأفق البعيد تحت الشمس المتوهجة التى تغمر المكان كله) .

سعيد : (على أعلى مرتفع) الله أكبر ..

الحسين : الله أكبر . فيما تكبِّر يا سعيد ؟

سعيد : أوَ ما ترون الكوفة الغراء تظهر من بعيد
حيث الصحاب هناك ينتظرون
فى العُدد المنيفة و العديد ؟ !
أوَ ما ترون من التلاع ذرا النخيل ؟
أو ما ترون وراءها شم المآذن و القباب !

(يذهب بشر إلى مرتفع آخر و يدقق النظر)

بشر : بل إنها سمر الرماح تلوح فى دَرَهَج الخيول
بل إنها قطع الحديد على صدور الدارعين

(صوت خيل تقترب و برير ينظر إلى حيث كان سعيد ينظر)

برير : تالله ما ذاك النخيل و لا القباب و لا الصحاب
بل هذه لو تعلمون هى الأسنة و الحراب
هم لا مراء رجالنا قد أقبلوا يا ابن النبى .

بشر : (و هو ينظر) بل إنها راياتهم .. ما هذه راياتنا ..
هى ذى هوادى الخيل تطلع تحت رايات كأجنحة الطيور

الحسين : (يتأمل) رايات مملكة الفجور
رايات سلطان ذليل يستذل بها الرقاب !

(الحر الرياحى يظهر من الصدر فى عدة حربية كاملة مع بعض رجاله)

الحر : أنا ذا الحر الرياحى أتيت

الحسين : أعلينا أم لنا .. ؟

الحر : بل عليك

سعيد : ما على الأعمى حرج

الحر : لست أعمى يا سعيد بن سعيد

الحسين : إنما تعمى قلوب فى الصدور

برير : كيف لا تبصر نور الحق يا حر و هذا الحق أبلج أم ترى أغريت يا حر كما أغرى من قبل صديقى شيخ مذحج ! ؟

سعيد : أيها الحر الرياحى أتمشى فى ركاب ابن الدعى أنت يا أشجع أهل الكوفة الأحرار يا أحكم من فيها .. تضل ؟ كيف بالله يصير العيش إن كان الفتى الحر يذل ؟ !

الحر : قد سألت الله ألا أبتلى يوماً بأمر للحسين

الحسين : فلماذا عمرك الله أتيت ؟

الحر : جئت كى أقدم للكوفة بك

الحسين : كيف هذا ؟ .. أى مقدم ؟

الحر : (مستمراً و هو يوجه نظراته بعيداً عن الحسين و عنهم جميعاً)

و لكى أحبسكم عن أن تعودوا قبل أن أنتزع البيعة منك

الحسين : فهى الحرب إذن ! ؟

الحر : (لنفسه) أعفنى يا رب من هذا القتال

الحسين : كلكم يعرف أنى جئت كى أنقذكم من ظالميكم
كلكم يعلم أنى جئت كى أهدم أركان الضلال !

الحر : إننى أعرف هذا

الحسين : فلتكن حراً كما سُميت حراً .. أنا ما جئت إلى الكوفة إلا بعد أن كاتبنى مستصرخوكم

الحر : ألديكم ها هنا ماء ؟ فإنا قد جهدنا عطشاً ..

بشر : قسماً بالله لن تشرب منه قطرة واحدة حتى تنادوا للحسين

الحسين : نحن لا نمنع ماء الله عمن يطلبونه

بشر : أصبح الماء قليلاً عندنا

الحسين : كم ترى عدتكم ؟

الحر : نحن ألف يا حسين

الحسين : و رجالى كم تبقى منهم يا بشر .. كم ؟ !

بشر : إننا و الله ألف و لدينا بعض أطفال صغار و نساء و همو للماء أحوج

الحسين : فى غد يا بشر أو فى فجر هذا اليوم نغدو من جديد للفرات . (الحسين هاتفاً) وزعوا الماء عليهم و علينا بالتساوى و غداً يأتى الفرج

(يخرج بشر من اليمين)

الحر : أحسن الله إليك

الحسين : أين أصحابك .. ؟

الحر : خلف التل .. خروا عطشاً .. أحسن الله إليك

الحسين : و هداك الله للحق و وقاك الضلال

الحر : أنا عطشان و قد أجهدنى سيرى فى ذا الوهج

الحسين : أحضروا قربة ماء ها هنا . (مبتسماً) أطفئوا للحُر حره

(أحدهم يحضر قربة ماء فلا يستطيع الحر أن يشرب منها إذ يتصبب الماء على الأرض)

الحر : ما لهذا الماء لا يدخل جوفى ؟

الحسين : اعطف القربة هوناً . (الحسين يساعده و يسقيه) هكذا

الحر : لا عرفتَ العطش الحارق يا سبط الرسول

الحسين : و سقانا الله يوم العطش من ماء النعيم

سعيد : (للحر) أفتدرى يومها من سوف يسقينا على الحوض العظيم ؟ هو و الله الإمام المرتضى .. هو و الله على ..

الحسين : (ينظر إلى السماء) حانت الآن صلاة الظهر . (للحر) قل لى .. أتصلى برجالك ؟

الحر : بل نصلى كلنا خلفك يا سبط النبى

(يدخل بشر من الصدر)

بشر : قد منحنا ماءنا جند العراق

سعيد : (ضاحكاً) شرب الجند جميعاً يا إمام . شربوا الماء ليستقووا علينا فى القتال .. !

الحسين : (هاتفاً) فليؤذن للصلاة

(يرتفع الآذان و الحسين يخرج و وراءه الرجال من جهة اليمين . بشر و سعيد يتوقفان قبل أن يخرجا و يدور الحوار التالى و الآذان يرتفع)

بشر : نحن باقون هنا نحرسكم

سعيد : لك حق و أنا باق معك

الحر : أنا لا أفتك فى وقت صلاة يا سعيد . لم أصل بعد إلى هذا الدرك !

سعيد : أنت قد أصبحت فى جند يزيد . و أبوه و هو خير منه قد جزَّ رؤوساً لرجال صالحين إذ هم فى حضرة الله ركوع ساجدون

الحر : (و هو ينصرف) أترانى أشهر السيف على وجه الحسين ؟ . اعفنى يا رب من هذا البلاء ..

سعيد : (لبشر) أفتدرى يا فتى ؟ إن من بين رجال الحر من بايع من قبل لمسلم ؟ . عجباً يذهل عقلى ! كيف مالوا ليزيد .. ؟ !

بشر : لا تفتش فى قلوب الناس عن هذا .. و فتش فى الخزائن !

سعيد : ربما ترشا القلوب

بشر : كل إنسان بما يطمع فيه مرتهن !

سعيد : اسقنى يا ابنى .. فقد جفف ريقى ما رأيته

بشر : انتهى الماء

سعيد : (صارخاً فى فزع) انتهى الـ .. .. ماذا تقول ؟ !
شربوا الماء جميعاً .. ..
انتهى الماء ؟ ! مصيبة ! !
كيف يا بشر انتهى الماء ؟؟ انتهينا .. ! !
آه يا للداهية !

بشر : بعضهم أهدر فوق الرمل من لهفته
ضعف ما أفرغه فى جوفه
إنهم قد شربوا هم و الخيول !

سعيد : ليتنى كنت حصاناً عندهم .. أو كنت رملة !
أفنسقيهم ليستقووا علينا
و نعانى نحن من نار العطش ؟ !
كيف هذا يا إمام الحق ؟ و الله عجيبة ! !

بشر : فى غد نبلغ شطآن الفرات

سعيد : (مقاطعاً) إيه .. ما أبعد غد

بشر : (حزيناً) قد تولى الناس عنا بالألوف

سعيد : (عصبياً) فليروحوا لجهنم
ما تولى غير أولاد الأفاعى .. غير أولاد الزنا
أفلا ماء هنا ..

بشر : (شارداً) آه لو أن الإمام المرتجى أخفى عليهم قتل مسلم !

سعيد : إنه أفطن للسر الذى يخفى علينا و هو أدنانا لربه
إن أولى بإمام الحق أن يخلص فى النصح لصحبه
هكذا يتبعه الناس على نور يقين و هدى

بشر : هكذا صرنا مئات بعدما كنا ألوفاً . . !
أنا ما قلت أمام الحر كم نحن بحق
إننا سبعمائة !

سعيد : يا أخى ما قيمة الكثرة فى أمر كهذا ؟
الحمير اليوم أضعاف البشر !
و النساء اليوم أضعاف الرجال !
(فجأة) آه .. ما أعظم شوقى للنساء !

بشر : غير أنا يا سعيد بن سعيد ..

سعيد : (يقاطعه) لا تكلمنى لأن الرغى قد جفف ريقى !

(الحسين يدخل و معه الحر .. و برير .. و بعض رجال الحر)

الحسين : (صائحاً) إن رأيتم أننا أولى بهذا الأمر ممن سار بالجور .. قدمنا
فإذا قدمتم الكره لنا و الجهل بالحق انصرفنا

الحر : أنا مأمور بأن أقدمك للكوفة قسراً كى تبايع

الحسين : دون هذا الموت يا حر .. (صائحاً فى رجاله) اركبوا ..

الحر : (معترضاً) إنكم لن تركبوا

الحسين : ثكلتك أمك ما عساك تريد منا ؟

الحر : لو أن غيرك فى مقامك قالها لذكرت بالسوءات أمه
لكنها بنت الرسول فلا سبيل سوى الخشوع لذكرها

الحسين : اسأل رجالك أيها الحر الرياحى
(على مرتفع لرجال الحر) .. انطقوا
يا للرجال .. تكلموا
لم تسكتون و قد بعثتم لى رسائلكم تحملنى ذنوب الصمت عنكم ؟!
أوَ ما بعثتم تصرخون من المظالم ؟
أوَ ما بعثتم تخلعون يزيد شبل معاوية ؟ !
أوَ ما بعثتم تلعنون الطاغية ؟ !
أو لم تقولوا أنكم بايعتمونى بالخلافة كى أشيع العدل فيكم ؟! لم تسكتون ؟!
أوَ لم تقولوا أنكم لا تعرفون سوى ابن فاطمة إماماً ؟
هى ذى رسائلكم محملة بصيحات الأرامل و اليتامى
لم تسكتون ؟ تكلموا .. يا للرجال !
أإذا أتيت أسد أبواب الضلال
شرعتم دونى الرماح ؟
أنا لم أرد إلا الصلاح ..
أنا لم أردها فتنة عشواء بل رمت الهداية و السلاما
أنا ما أتيت هنا لألقى بيننا سيفاً و رمحاً بل كلاما
(أصوات النساء من ناحية اليسار)
وا وحدتاه وغربتاه .
وا ويلتاه لمن تغرب ! وا وحدتاه لمن تكذب !

برير : لعنة الله على من روع النسوة و الصبية من آل الرسول

زينب : (خارجة من اليسار صائحة) لعنة الله على من حمل الرعب لنا

برير : فلتغضوا يا عباد الله من أبصاركم ! !

زينب : (تتقدم) لعنة الله على من روع الأبرار من آل محمد

(رجال الحر يحنون رؤوسهم)

الحر : (فى أزمة) أأنا روعت أبناء رسول الله منى .. ؟
أسأل الله تعالى المغفرة
يا إلهى إننى أطلب منك العافية
(للحسين) .. إننى أطلب منك المعذرة !

زينب : (للحسين) إن كان كذَّبك الرجال فلا ملام و لا عتاب
خانوا العهود و تلك شيمتهم .. جزاؤهم بها يوم الحساب
فاذهب بنا لنعيش فى كهف بعيد ..
كالفتية الأبرار حين تبجح الزيف المعربد
كيلا نرى الوجه الكذوب و لا ابتسامات المنافق
كيلا نرى البهتان يعبث فوق أشلاء الحقائق
ماذا عسى يجدى الإباء اليوم فى سوق الإماء ؟
و بأى أسلحة تذود عن الحقيقة فى مواجهة الألوف الدارعين ؟
و الصدق مغترب وحيد لا يصدقه أحد ؟!
و الحق منبوذ مشرد ؟!

برير : (حزيناً) يا للرجال المنجدين تقودهم أقدارهم نحو الحتوف !
و يسوقهم كرم الشمائل للهلاك
(للحسين) ها أنت ذا قد جئت تنجدهم بصحبك أجمعين
فاستقبلوكم بالسيوف
هم هكذا خدعوا أباك و هكذا باعوا أخاك ! !

زينب : يتلمسون ليخرجوه إليهم كل الوسائل
و يلاحقون أخى بآلاف الرسائل
فإذا أتاهم منجداً قلبوا له ظهر المجن
يا للرجال الغادرين .. و يا لآلام الحسين !

الحر : (حزيناً ممسكاً رأسه) و إذن يا ابن رسول الله فأذهب فى طريق يجهلونه
لا يؤدى بك للكوفة أو ترجع منه للمدينة

الحسين : أنا ماض فى طريق الحق .. لن أرجع .. أو أهلك دونه !

(يقبل شمر من الصدر قبل أن يرد الحسين)

شمر : أيها الحر لقد جئت بآلاف من الفرسان كى أدعم جندك

الحر : أنا لا حاجة لى الآن بأجنادك يا شمر فعد

الحسين : (لزينب) أدخلى أنت إلى الخيمة يا أختاه عودى للنساء

(تدخل زينب)

شمر : (صائحاً فى الحر) الأمير ابن زياد يأمرك ..

الحر : (مقاطعاً) يا ابن ذى الجوشن لا تصرخ كيلا يصدق القول عليك ..

شمر : (فى غطرسة) أى قول يا رياحى بربك ؟!

الحر : آية الله تعالى : و هى بالمعنى تقول : " أنكر الأصوات أصوات الحمير "

شمر : أبهذا تتلقانى أنا .. و أنا مبعوث مولاك الأمير ؟ فاستمع لى فأنا أحمل أمراً لا يرد ..

الحر : بلغ الأمر أمير الجيش .. بلغه ابن سعد ..

شمر : (يخرج ورقة من صدره)
إنه أمر إلى الحر الرياحى و أمر لابن سعد :
(يقرأ) عندما تلقى الحسين بن على فأقمه فى العراء
دونما حصن و ماء !
فإذا بايع فاحمله أسيراً ببنيه و نسائه
و إذا لم يعطك البيعة فاقتله و أوطئ صدره الخيل و ظهره
فإذا خالفت فى أمرنا هذا فاعتزلنا
و تخير لك قتلة
و دع الجند لشمر .. فتح الله عليه ..
(يدس الورقة فى صدره)

الحر : إنه و الله لن ينزل عن أمر أمية !
فله نفس أبية

شمر : إننى أبلغتك .. اللهم فاشهد
أنا ماض لابن سعد

(يخرج مسرعاً)

الحر : لعنة الله عليه و عليك

الحسين : إن من شايع سلطاناً على الجور فقد أجرم مثله ، هكذا علمنى جدى رسول الله مذ كنت صغيراً .. فتخير أيها الحر طريقك

الحر : صلى الله عليه و سلم

صلى الله على آله
اسمع يا ابن رسول الله
انزل على حكم ابن زياد

الحسين : يأبى هذا لى دينى .. و حجور طابت يا حر

الحر : أنت المقتول إذا قاتلت

الحسين : أترى بالموت تهددنى ؟!

الحر : إذا قتلوك فلن يرعوا شيئاً من بعدك و الله . لا تحرجنى يا ابن رسول الله و بايع .. ثم اذهب و اصنع بعد كما ترغب !! أنا مأمور بقتالك

الحسين : أتريدون سوى موتى ؟!

الحر : فسأنزلك بأرض قفر . بلا ماء .. و بلا زرع .. و بلا حصن ..

الحسين : (متجهاً للسماء) حملى قد أنقض ظهرى
فخفف يا رب وزرى
يا رب اشرح لى صدرى
احلل عقدتها ربى

الحر : (ضارعاً) يا ربى

برير : (للحر) ما عسى تكسب فى أخراك مما تصنع الآن إذا صرت أداة للعذاب ؟
أيها الحر و أنت الحر فلتخش عذاب الله فى يوم الحساب
أوَ ما فكرت فى الموت ففكر إن هلكت ..

سعيد : (مكملاً) حيث لا تنجيك أبراج و لا دور منيعة

الحسين : ما لكم إن قام فيكم رائد ..
و دعا الناس إلى المعروف روعتم طريقه
إننى أكتسح الأشواك من نهج الشريعة
عن طريق الصالحين التائبين القانتين
إننى أهتك أستار الخديعة
أنا مندوب لهذا الأمر من يوم وعيت
أننى أقشع ليل الزيف عن وجه الحقيقة
فلماذا أيها الحر تعادينى بربك ؟

الحر : (حزيناً) أنا مقهور على أن أقهرك

الحسين : فعزائى بعض ما لاقاه جدى من شقاء و عناء

الحر : (خاشعاً) إنه نعم العزاء !

الحسين : و لهذا قال جدى أنت منى يا حسين

الحر : قد سمعنا أنه صلى عليه الله .. قال :

برير : (يكمل) قال لا تؤذوا الحسين ابن على فهو ابنى
أنا منه و هو منى .. إنه قرة عينى

سعيد : أفتدرون على من تشهرون السيف يا حر إذن ؟

الحر : أنا لم أشهر عليه السيف .. مهلاً
(حائراً مأزوماً) إننى بايعت من قبل يزيداً
إننى أعطيت عهدى ليزيد
ابن هند أخذ البيعة منى ليزيد
و هى و الله إذن دين على
أإذا مات ابن هند رحت ألوى بالعهود
إن هذا ليس يأتيه فتى حر أبى !

سعيد : و الفتى الحر الأبى
(ساخراً)
جاءنا يرهب أولاد النبى
طاعة للفاسق الفاجر مولاه يزيد و هو طاغوت الفساد
أوَ لمولاه الدعى بن المدعى ابن زياد ! !

الحر : قد سألت الله ألا أبتلى يوماً بأمر للحسين

المنظر الثانى

(فى كربلاء .. صحراء جرداء قاسية .. و عراء كامل تتوهج فيه الشمس فى قرص أحمر و هى تهبط للغروب و ترسل على كل أنحاء المكان لوناً قانياً ..

المسرح مستويان : المستوى الأول منخفض من ناحية مقدمة المسرح و به أشجار .. هو معسكر أعداء الحسين من وراءهم على جانب يبدو نهر الفرات من بعيد .. حيث يقف الحر صامتاً أمام باب خيمة .. و المستوى الثانى مرتفع فيه صخور و رمال حيث يقف الحسين و صحبه و هذا المستوى الثانى يحتل النصف الأبعد من المسرح حتى عمقه على يساره باب خيمة النساء)

الحسين : أهكذا ينزلنا الحر هنا ؟
دونما حصن و لا ماء و لا مأوى لنا ؟

برير : أنا حزين القلب يا ابن المصطفى
فى كبدى النار و فى حلقى الشجى

سعيد : قهرونا .. إنهم عدة آلاف و أما نحن ..
كم نحن ترانا الآن ؟!

الحسين : نحن كنا ها هنا عدة آلاف
فصرنا .. كم غدونا ؟

بشر : مائتان .. !

الحسين : فيهم سبعون من أهلك .. أطفال صغار و نساء

بشر : أكاد أبكى جزعاً مما جرى

سعيد : و أنا أيضاً حزين يا فتى

الحسين : (حزيناً) ما الذى تتركه قافلة
تمضى بأحباب لنا
غير أحزان غلاظ و حنين و صدى
و تراب يملأ الأعماق ضيقاً و جوى .. ؟!

سعيد : أنا عطشان

الحسين : أين نحن الآن

برير : هذى نينوى

الحسين : ما اسمها الآخر ؟

برير : أرض الشط

سعيد : و تسمى كربلاء

الحسين : هى كرب و بلا ..
أنا مقتول هنا ..
قدرى خط لى الموت هنا

سعيد : بأبى أنت و أمى لا تقل هذا فديتك

برير : بل يموت الكل دونك

بشر : أنا عطشان

الحسين : أوَ ما نحن على شرعة ماء ؟

بشر : إننا قرب الفرات

الحسين : فاستقوا و اسقوا الخيول

سعيد : إنهم قد منعونا الماء يا سبط الرسول

الحسين : كيف ؟ هذا مستحيل
(ينادى متجهاً إلى الحر)
أيها الحر الرياحى لماذا تمنعون الماء أهله ؟
(يظهر الحر من ورائه الفرات من بعيد)

الحر : ليس من ماء لكم عند الأمير ابن زياد

الحسين : أنا عطشان و أولادى عطاش و نسائى و رجالى

الحر : إنه أمر الأمير ابن زياد
أعطنى البيعة و اشرب كيف شئت
و اشربوا أنتم جميعاً ما أردتم

الحسين : هو لا يملك هذا الماء كى يحكم فيه
إن هذا الماء ماء الله يا حر فكن حراً بحق

سعيد : ليس حراً عندما يقضى الأمير ..

الحسين : لا سقاك الله يوم العطش الأكبر إن أعطشتنا

الحر : لا تلمنى فأنا المرغم لا أمنعه و الله إلا رغم أنفى

الحسين : لعن الله رجالاً خالفوا الله كى يرضوا سواه بالمعاصى

الحر : (خائفاً) لا تحملنى .. هذا ..
أنا لا أحتمل اللعنة من سبط الرسول

بشر : أوَ ينسى الحر أنا قد سقيناه و صحبه ؟

سعيد : فلو أنا منعناكم لظل الماء موفوراً لدينا

برير : إن هذا الماء تُسقاه الخنازير فهل يُمنعه آل الرسول ؟

(تخرج سكينة شاحبة من باب الخيمة إلى اليسار)

سكينة : أنا عطشى يا أبى

أصوات من بعيد : العطش .. .. العطش

(يظهر شمر من تحت شجرة أخرى من المستوى الأول)

شمر : قسماً بالله لن يشرب منكم واحد حتى يذوق الموت غصة

الحر : (ناحية) اعف عنى يا إلهى
(معرضاً بشمر) إنه عين علىَّ ..

برير : عندما حاربتَ فى صفين يا حر ألا تذكر شيئاً عن على ؟
كان فى مقدوره أن يمنع الماء عن الأعداء حتى يهلكوا ..
فأبى هذا .. ألا تذكرها ؟
و سقاهم كلهم حتى ارتووا

الحر : (صارخاً) يا ابن سعد يا أمير الجيش أقبل

عمر بن سعد : من هنا يصرخ ؟ .. من أنت ؟ تكلم ..

الحر : أنا ذا الحر الرياحى يناديك فعجل ..

(يظهر عمر بن سعد خارجاً من خيمة فى يسار مقدمة المسرح .. فى المستوى الأول حيث الأشجار على جانبى المقدمة .. و القمر يتسلق السماء من بعيد ليطلع على المرتفعات حيث الحسين و رجاله و خيمة النساء و وراءه الصحراء الشاسعة و قد غربت الشمس الآن)

عمر : أقبل أنت .. هنا جنات و نـهَر

(أصوات النساء و الأطفال من خيمة الحسين)

الأصوات : العطش .. .. العطش .

(تتداخل بعض أصوات الرجال) العطش .. العطش ..

(الحر يذهب إلى ناحية عمر و القمر يعلو .. و ما زال فى الأفق لون أحمر من الأصيل تخالطه الزرقة الداكنة .. تخرج زينب من الخيمة و تقف على بابها تتأمل الأشجار حيث اتجه الحر إلى عمر ثم تنظر إلى الحسين و ما زال الأنين و الصراخ بالعطش يتوالى)

أصوات نساء : وا عطشاه .. .. وا عطشاه ..

زينب : (وحدها للحسين) لقد أصبحت وا أسفاه
بين الناب و المخلب !

الحسين : (لرجاله) أذنت لكم فانطلقوا الآن
فأنتم فى حل منى
أنتم فى حل من بيعتكم
ليس عليكم من حرج
هذا الليل يغشيكم فاتخذوا منه رواحلكم
سيروا فى هذا الليل
و ليأخذ كل منكم بيد صغير من أهلى

سعيد : و لماذا نبقى من بعدك ؟!

برير : و ماذا نفعل يوم الحشر إذا ما قابلنا جدك ؟

بشر : أنقول تركنا قائدنا لم نطعن معه بالرمح
و لم نضرب معه بالسيف .. ؟!

(من الصدر يقبل أربعة رجال فى سيوفهم يحملون قرباً من الماء و يلقونها أمام الحسين .. و الرجال هم حبيب بن مظاهر و زهير بن القين و نافع بن هلال و ابن عوسجة)

برير : (يعانق أحدهم) الحبيب بن مظاهر

سعيد : (يعانق رجلاً آخر) و زهير ؟ .. إيه يا ابن القين .. أهلاً

الحسين : (يصافحهم جميعاً بحرارة و يقف عند أحدهم) مسلم بن عوسجة .. ؟
كيف تركت الناس يا ابن عوسجة ؟

ابن عوسجة : اشرب يا ابن رسول الله ..

الحسين : بل أنا آخر من يشرب ..
فليشرب من هم أولى

(يشرب سعيد و بشر و برير و بعض الرجال)

الحسين : و اسقوا النسوة و الأطفال

(سعيد و رجال يحملون بعض القرب متجهين إلى خيمة النساء على اليسار حيث وقفت زينب .. بشر يحمل بعض القرب إلى اليمين حيث تجمع رجال الحسين)

(النساء و الرجال يتخاطفون القرب .. تختفى القرب فى الداخل)

الحسين : حمداً لله سيشرب كل الناس الآن و لو قطرة ..

ابن عوسجة : (يقدم شيئاً يشبه الزجاجة الصغيرة من جلد إلى الحسين) اشرب أنت رعاك الله

الحسين : أشرب الكل ؟

زينب : (من مكانها) شرب الكل بحمد الله .. فاشرب أنت ..

الحسين : (يأخذ جرعة و يعيد الإناء إلى ابن عوسجة) حسبى هذا .. فلتحفظه فقد نحتاج إليه غداً

ابن عوسجة : تدخر الجرعة بل و القطرة كى تشربها فيما بعد !
و ها هو ذا ماء الأنهار يسيل أمامك ؟! يا للعنة ! !

الحسين : كيف تركت الناس وراءك .. ؟

ابن عوسجة : تركتهم فى أسوأ حال ..

الحسين : كيف حال الناس فى الكوفة ؟ قل لى يا زهير .. ؟

زهير : حال ذل .. حال غدر ..
عظمت رشوة أهل الرأى فى الكوفة فانفضوا عن البيعة لك
و سواد الناس مقهور فلا رأى لمن لا حول له

حبيب : غير أن السيف فى أيديهم أشهر ضدك

ابن عوسجة : فقلوب الناس لك
و حراب الناس و الله عليك

الحسين : كيف هذا .. و قلوب أشربت بغض يزيد
لم تزل و الله منهم فى الجوانح
و هى و الله قلوب
خفقت بالحب و العدل و أحلام الخلاص ..
إنهم لم ينزعوها بعد من أبدانهم
و هم لم يفقدوا بعد الجوارح
فلماذا شهروا السيف علينا ؟!! لعداء أم قصاص !؟

ابن عوسجة : آه لو أقدر أن أدفع هذا الضيم عنك ..
ليت لى ألفاً من الأرواح كى أبذلها فى نصرتك ..

الحسين : هكذا قد أصبح الأنصار فى الكوفة يا ابن القين أشواكاً بظهرى ؟!

زهير : (متألماً) شرفاء الناس فى الكوفة صاروا كلهم إلباً عليك ..

الحسين : هكذا تغدر بى الكوفة يا نافع .. فيم أنت صامت ؟!

نافع : فقراء الناس ما زالوا معك

الحسين : غير أن الفقر يا نافع إذلال .. فما يقوى فقير أن يجادل

نافع : أنا لا أعلم ما فى نفس غيرى
فهم ما بين طماع و ملتاع و شامت
غير أنى وطنت نفسى أن أقاتل
و سأمضى فى قتالى دونكم حتى أموت ..
لست أبغى بقتالى غير ما عند الذى ليس يموت

(من أمام خيمة عمر بن سعد يقف عمر بن سعد و الحر و شمر و أسد ، متناثرين بعرض المسرح فى المقدمة)

عمر : جاء الحسين ثلاثة من خير أعلام البلد

شمر : بل أربعة

عمر : و هم ذوو رحم بقادة جيشنا
و لهم نفوذ فى السواد
فيفسدون على جيشى

الحر : هو ذا ابن عوسجة الذى قاد الجيوش بأذربيجان قديماً
رجل له فضل علينا كلنا

شمر : و حبيب بن مظاهر

أسد : و زهير بن القين أشهر لاعب بالسيف فى ساح الوغى

عمر : و هناك نافع

الحر : إنكم لا تجهلون مقام نافع فى الجنود

أسد : إن لم يبالوا بالحسين فلن يراعوا ما لغيره !

عمر : لا تستهينوا .. إنهم بصلاتهم قد يفتنون رجالنا

شمر : أنا أكفيك عدوك

عمر : (بازدراء) اكفنى نفسك إن تقدر عليها
فلتحاصر طرق الكوفة .. اذهب يا شقى
فعسى تحبس عن جيش الحسين ابن على
كل من يخرج كى ينضم له

(يتحرك شمر مسرعاً ليخرج)

سكينة : (تأتى سكينة من الخيمة فتقف إلى جوار عمتها زينب فى المستوى الأعلى)
قطرات الماء هيجن العطش
أفلا ماء لنا بعد هنا ؟

أصوات من الداخل : العطش .. العطش ..

(رجل على كتفيه قربة متجهاً إلى معسكر الحسين)

الرجل : (لرجال عمر بن سعد)
أيها الكفار قد و الله أصبحتم و أكبادكم مثل الصخور
أنا ذا ماض لكى أسقيهم

(شمر و هو ينصرف يضرب القربة بسيفه فيسيل الماء على الأرض ثم يدفع الرجل بحد سيفه و يخرجان معاً و يسمع صوت سقوط الرجل خارج المسرح مختلطاً بصرخته)

الحر : (متألماً) مات شهيداً .. فله الجنة ..
و سنحيا نحن فى اللعنة

أسد : إنا من شرفاء الدولة
لا ترهقنا أبداً ذلة !
و نحن أولو تقوى يا حر و يوم الروع ذوو صولة

الحر : يا للشرفاء الملعونين !

برير : (من المرتفع) ويلكم يا أهل الكوفة ويلكم
كل شراب منذ اليوم
سيغدو ناراً فى جوفكم

عمر : (من السهل) لن يشرب هذا حتى يهلك

برير : ماذا تطلب منه الآن ؟ دعوه يعد ..

عمر : إما البيعة أو رأسه

ابن عوسجة : و إذن فتذكر وحشياً قاتل حمزة يا فاسق ..

عمر : قاتل حمزة تاب و أسلم ..

زهير : بل ظل يعب الخمر و يمشى تحت ظلال اللعنة
يطارده فى حيث مضى
صدى من غضب رسول الله
فكيف بكم بعد الإسلام
منعتم ماء النهر الجارى عن أهله ..
و أعطشتم قرة عينه

عمر : أسكت .. أسكتك الله .. أسكت

زينب : (منتفضة) لا تذكر بعد اسم الله
فإنك ويحك قد أقبلت لتطعن فى قلب رسوله
يا عمر .. انظر ..
يا أسد انظر
أنظر يا حر
الأفق الداجى يحمر ..
و على أعراف الأفق رسول الله يطيل النظر لكم
إنى أسمع رجع بكائه

وا جداه !! .. إنى أسمع خفق دعائه
يا لله .. !
أرى دمعات من عينيه الطاهرتين
تخضل لحيته القدسية ..
أنظر يا عمر .. ألا تبصر ؟!
وا جداه !! صلى الله عليه و سلم ..
ماذا يا ابن أمين الأمة سوف تقول لجدى يوماً
حين تراه
أتقول له جئنا كى نستأصل أهلك ؟
صلى الله عليك و سلم ..
جئنا كى نقتل ولدك
صلى الله عليك و سلم
إنا أعطشنا طفلك ..
صلى الله عليك و سلم
جئنا كى نهتك حرمك ؟؟
صلى الله عليك و سلم .. !!

(رجال من معسكر عمر بن سعد يملأون الآن مقدمة المسرح)

رجال عمر : صلى الله عليه و سلم
صلى الله على آله ..
(مشيراً إلى زينب)

عمر : ستخذل عنا جيش الكوفة ..
(ينادى زينب) عقيلة بيت رسول الله ..

زينب : عنى يا من خان أباه ..
يا من باع جهاد الأمس
و جاه الدين
و عز الدار الأبدية
بعَرَض فانٍ من دنياه ..

(الحسين يأخذ أخته و يحاول أن يدخلها إلى الخيمة)

الحسين : عودى الآن يا زينب ..

زينب : (و هى تتجه معه إلى الخباء و معها سكينة)
لقد أصبحتَ وا أسفاه بين الناب و المخلب !

(تدخل زينب و سكينة إلى الخباء .. الحسين و صحابه الذين كانوا على المرتفع يتفرقون الآن و لا يبقى إلا عمر بن سعد و رجاله فى السهل فى المستوى الأول فى مقدمة المسرح - يتهامس بعض هؤلاء الرجال من معسكر عمر بن سعد .. ثم يتقدم منهم رجل إلى عمر .. و الرجل هو

التاجر الأول أو العريف الأول و معهم الشاب الذى وشى بمسلم بن عقيل عند ابن زياد و هو الآن فى ملابس قائد)

التاجر (1) : يا ابن سعد قل لنا ..
نحن إذا متنا هنا فعلى أى الديانات نموت ؟

عمر : (مروعاً) أجننت ؟

الشاب (1) : بل أتينا لنـُميت

عمر : هو ذا يا أيها القائد .. قد أصبحت و الله رشيداً
إيه .. ما أحكم ما قلت على أنك ما زلت صغيراً ..
و جديداً ..

التاجر (1) : (بازدراء للشاب (1) موجهاً الحديث للآخرين)
كان هذا القائد المغوار من عدة أيام صبياً فى محلى ..
يخسر الميزان للناس و يسطو من ورائى بالبضاعة

الشاب : (صارخاً) أنت جندى هنا .. لا تقل هذا لمثلى ..
لا تقل هذا لقائد

التاجر (1) : (لعمر) فإذا ما انتهت الحرب و قد أصبحت سفاحاً بأنياب و ظفر
قد ألفت القتل و التخريب ؟! .. يالله .. قل لى يا عمر ..

عمر : (مقاطعاً) أنت مجنون .. غريب .. ما ازدجر

التاجر : أنا مدعو لكى أقتل مَن لا أعرفه
دونما أدنى عداء سابق بينى و بينه !
فإذا عدتُ من الحرب و قد أصبح هذا القتل عادة
و على كفى هذا الدم حتى المرفقين
دم إنسان له مثلى قلب
و أمانى و أحلام و أطفال و زوجة
و مودات عذاب و له ماضيه كله
و له مستقبل يبسم له
كيف بالله إذن أشعر أنى أحمل الحب لطفل أو لطفلة ؟
كيف أقوى بعد أن أهجع فى أحضان زوجى
أنا من مزق بالسكين لحماً بشرياً !!؟؟
ليس لحم الناس كالجبنة كى أعمل فيه حد سكينى .. ويحى
أو لكى أفرى هذا اللحم فرياً

الحر : (بمرارة) هكذا تصبح من أبطالنا !
أنت لو آمنت بالحرب لما فكرت فى ذلك قط

عمر : (جاداً) قاتل الواحد مجرم
قاتل الآحاد سفاح حقير مبتذل
غير أن الحرب شئ مختلف
قاتل العشرين فى الحرب بطل
و الذى يقتل عشرين و عشرين .. أجلّ
و الذى يقتل فى الحرب مئات هو أبطل
و الذى يقتل فى الحرب ألوفاً
فله الهيبة و العزة و المال
و تقدير الرجال

الحر : (مريراً ساخراً) و لهذا أيها التاجر لا تجزع من القتل .. فسر ..
انطلق فى الأرض فاقتل فإذا أنت بطل ..
قدر ما تقتل منهم أيها التاجر يغدو لك قدر من بطولة ..
فلتـُمتهم أجمعين ..
(يكتم صراخه) إن هذا قدر الإنسان فى الحرب ..
فمن ذا يا ترى يهرب منه !؟

التاجر : و إذا مت أنا ؟ و إذا ما نحن متنا يا أسد ؟

أسد : (حائراً) و إذا ما نحن متنا .. ؟

التاجر : فلتجبنى يا عمر ..

عمر : فسنقضى شهداء

التاجر : مسلمين ؟!

عمر : دون ريب .. مسلمين !
شهداء مسلمون

التاجر : أكما مات شهيد الحق حمزة ؟

الشاب : (صارخاً بصبيانه و يده على مقبض سيفه)
من هنا يذكر حمزة !!؟
من هنا يجرؤ أن يذكر أسماء بنى هاشم .. من ؟

الحر : بعض هذا أيها الطفل الغرير ..

الشاب : إننى مثلك قائد ..

الحر : (مستمراً) فلذكرى حمزة فى كل قلبٍ مؤمنٍ و الله هزة !

عمر : قلت و الله صواباً يا صديقى

التاجر : و إذ نحن قـُتلنا شهداء
فسنبقى عند رب العرش أحياء حياة الشهداء السابقين ! !

أسد : (متنهداً) هيه .. أحياء لديه يرزقون

التاجر : و أمام الله قد نبصر حمزة
ما عسانا سنقول ؟
و رسول الله يا ويلاه إذ القاه ويحى .. ؟
ما عسى أصنع إذ ألقى الرسول
كيف ألقاه و قد ضرج كفى دم أهله ؟
أفلا يبعد عنا نور وجهه ؟

(الحر فى أزمة يستدير لكيلا يواجه الرجل و كأنه يخشى أن ينفجر .. و عمر تسيطر عليه العصبية هو و أسد)

الحر : يا إلهى .. يا إلهى .. رحمتك .. !

عمر : (للتاجر) فلتغيِّب وجهك الفاجر عنى ..

التاجر : هكذا قال نبى الحق و الله لوحشى قديماً يا عمر
فرسول الله لا ينظر فى وجه رجال قتلوا خير الأحبة ..
إننا نطعن قلبه !

الحر : (يصرخ) امض كى تسأل عن هذا الأمير ابن زياد
إنه يدفعنا للأمر دفعاً

التاجر : هو لن يملك يوم الحشر نفعاً
(لعمر) فلتسله أنت مُلك الرى أو جرجان سله هبته ..
و سآوى لمكان لا ينال الناس فيه سطوات ابن زياد أو يزيد
(صارخاً فى الناس) إن من آمن بالله و من خاف الحساب
فليسر عن عصبة البغى إلى ركب الحسين
إنه نور محمد
فإذا لم يستطع فليعتزلهم ثم فليهرب بدينه
قد أوى الفتية للكهف قديماً عندما ساد الفساد
(خارجاً) فعسى أن ينشر الله علينا رحمته

تاجر (2) : (يتقدم جهة معسكر الحسين) و أنا ماض إلى جيش الحسين

شمر : (يظهر مسرعاً و يعترضه بسيفه) لن تمر ..

عمر : شمر دعه .. فهو لن ينقصنا و الله شيئاً
و هو لن يقوَى به جيش الحسين

إنه إن سار عنا فأنا أطرح عبئاً !!
نحن آلاف كثاف و همو بضع مئات لا تضر
و غداً يأتى إلينا مدد عدتهم عشرون ألفاً

أسد : مثل هذا إن تركناه هنا
خذل العسكر عنا
دعه يذهب يا ابن ذى الجوشن دعه
فهو لن يشهر سيفاً

(صرخات من ناحية خيمة النساء) : العطش .. العطش

شمر : (ضاحكاً متشفياً) إيه فلتصرخن أيضاً ..
قسماً بالله لن تشربن حتى تهتك الأعراض
أو يسقط رأس ابن على

الحر : (صارخاً) عرض مَن تهتك يا أدنأ خلق الله طرا
أى عرض ؟!!

أسد : (حزيناً) هكذا قد سلط الله علينا بأس بعض

زينب : (تخرج من خيمة النساء مندفعة)
يا أهل الغدر و أهل الكيد
ما ثأر نبى الله لديكم يا أهل الكوفة
لكى تقتصوا من أهله ؟
بأية أقدام تمشون إلينا يا أهل الكوفة ؟
أى إباء يدفعكم لقتال بنات نبيكم
و لترويع الأطفال ؟
و قتلهم فى نار العطش

صرخات : العطش .. العطش
نكاد نموت بنار العطش

زينب : صرخات الصبية تتعالى تهتز لها أركان العرش
و يذوب لرقتها الصخر
أختم الله على الأسماع
أطبع الله على الأفئدة

(يدخل الحسين و رجاله و يتناثرون على صخور فى المرتفعات فى المستوى الأعلى)

الحسين : عودى يا زينب و احتسبى لله صغارك و صغارى

زينب : وا غربتاه .. وا وحدتاه ..
و يا لأخى بين أنيابهم يدافع فى الله حكم القضاء ..

الحسين : لا يذهبن بحملك الشيطان يا أختاه ..
عودى للخباء
و أجملى فينا العزاء
و كفكفى دمع النساء

عمر : يا حسين بن على .. فلتبايع ليزيد
و اشربوا الماء كما شئتم جميعاً ثم عد

الحسين : أوَ ما أنت ابن سعد ؟
(عمر يكاد يتوارى)
يا ابن سعد فلتواجهنى .. لا تستخف منى يا عمر

عمر : (من المنخفض محرجاً منفجراً)
أنا لا أخشاك يا هذا فأمسك .. لا تزد

الحسين : ليست الخشية ما أعنيه بل بعض الحياء

عمر : فلتبايعِ ليزيد
و علىَّ العهد أن أترككم تمضون عنا سالمين
فلتبايع ليزيد
و لتعد من بعد هذا للحجاز

الحسين : أنا لن أذعن إذعان العبيد
أنا لن أعطى إعطاء ذليل يا عمر ..
لست و الله جباناً لأفر

شمر : فلنحاصره . أألتف بهم من خلفهم

الحسين : (لرجاله) احفروا حول خيامى خندقاً
و املأوا الخندق ناراً لا تجاز ..

(يذهب بشر و سعيد و رجال فى ناحية اليمين بينما تقبل سكينة من ناحية الخباء من اليسار)

سكينة : يا أبى خذنى إلى منزل جدى فى الحجاز

أسد : يا حسين بن على لِمَ جئت ؟

الحسين : (بجوار عمر) سل رجالاً كتبوا لى أمس كى أنجدهم
و هم فى يومهم هذا سيوف البغى فوقى ..
ويلهم !!
(يتقدم على المرتفع مقتحماً نحو عمر و رجاله
و هو يشير إلى عدد من رجال عمر الواحد بعد الآخر)

أنت قد كاتبتنى
(يشير إلى آخر) ثم أنت
(و يشير إلى ثالث)
أنت أيضاً طالما حملتنى ذنب قعودى عنكم ..
ثم أنت
(الرجال يديرون وجوههم)
كلكم كاتبنى

رجل 1 : أنا ما كاتبته و الله .. إذ لا شأن لى يا قوم إلا بالتجارة

رجل 2 : بل كاتبته .. و أنا أيضاً فعلت ..

الحسين : ما الذى غيركم عن طلب العدل إذن ؟
أهو ما أطمعكم ظالمكم فيه من العيش الرغيد المطمئن ؟
(و هو على المرتفع يتجه لواحد منهم على المنخفض)
أنت قد كاتبتنى .. فلماذا أيها الشيخ نكلت ؟
أهو الخوف .. و لكن يا صديقى فلتفكر فى الثمن

رجل 1 : قد سئمنا الخوف و الفقر فدعنا آمنين

رجل 3 : فلتبايع ليزيد ثم قل ما شئت قل

الحسين : فلماذا لم تقولوا كل هذا لى و السيف مشيم لم يُسل ؟

أسد : فلتبايع .. و انصرف عنا و لا تحرج صدور الشرفاء

رجل 2 : إنما تسعى لكى تسلبنا ما تحت أيدينا من المال .. فدعنا

الحسين : يا عبيد المال سحقاً بل تداعيتم على الدنيا الغرور
كفراشات تداعين على ضوء السعير
لا تكونوا عصبة الآثام فيها ينفث الشيطان حقده
لا تكونوا كالذى يشعل ناراً
ثم يصلى من لظى النار وحده
و سواه آمن من حرها ينعم منها بالضياء
ارحموا أنفسكم يرحمكم رب السماء

(بعض الرجال ما زالوا يتوارون خجلاً)

رجل 3 : قد خدعناه بحق

رجل 4 : نحن معذورون و الله أمام ابن زياد

رجل 5 : أرجال نحن ؟ بل و الله أشباه رجال جبناء ..

الحسين : إنكم لا تبلغون اليوم ما ترجون إلا أن تخوضوا
لجج الباطل نحوى ..
خبرونى إن يكن ما زال فيكم رجل حر كريم
كيف بالله رضيتم بالذى يحدث منكم ؟
تمنعون الماء عنا ؟!
ترفعون السيف يا قوم علينا ؟!
أنتم استصرختمونا والهين
و فزعتم لحمانا سائلين
أإذا نحن أتينا منجدين
أطلقتم شهوة الدنيا عليا ؟
أنظروا فى عاركم .. !

الحر : (لعمر) فلتدعه يعد إلى حيثما شاء كفانا
الرحمن عقبى قتاله
(لنفسه) آه لو أنه يعود بآله ..

شمر : أيها الحر أتهذى .. ؟

الحر : (منفجراً) لست أهذى أيها الشائه يا ابن الفاعلة ..

شمر : أيها الحر لماذا نتشاجر ؟

(يتهامس عمر و الحر و أسد)

(الحسين و صحبه على المرتفع يتشاورون)

نافع : فلنقاتل هؤلاء الآن فالأمر يسير

زهير : (مكملاً) فسيأتى بعدهم حشد كبير

برير : فلنقاتل قبل أن ينهكنا طول العطش

ابن عوسجة : فلنقاتلهم و هم مختلفون

الحسين : ما كنت لأبدأهم بقتال

عمر : (من المنخفض ضاحكاً لشمر)
إيه يا شمر .. أما كنت قديماً واحداً من شر قطاع الطريق ؟!

شمر : ثم تبنا

عمر : (مستمراً) فاقطع الآن طريق الفقراء

قبل أن يأتوا من الكوفة أرتالاً إلى جيش الحسين

(يخرج شمر مسرعاً)

الحسين : (صارخاً من على المرتفع)
أفلا يخاطبنى ابن سعد ؟
(صوت من معسكر ابن سعد) :
بل قد يخاف فإنه قد صار عبداً لابن هند !

عمر : (للحسين) ماذا تريد ؟؟ هو القتال فما تريد ؟؟

الحسين : أذكر مواقف سعد يا عمر بن سعد
أذكر أباك
أذكر بسالته هنا فى القادسية يا رجل
إذ كان أول هاتف بنداء جدى : الله أكبر
أذكر أباك .. أذكر مواقفه الجليلة فى أحد
أذكر أباك و لا تكن عاراً على ذكرى البطل
أذكر أباك و لا تكن نجساً على قبر الرجل

(عمر بن سعد يتأخر على هذه الكلمات بعيداً متجهاً إلى خيمته)

عمر : (صارخاً) فلتسكتوه فلن أدين بطاعة لبنى على !

برير : (لعمر) لكنه سبط النبى ..

ابن عوسجة : و أبوك أول من رعى بالسهم فى الإسلام ؟ ويحك من غوىّ !

زهير : (لعمر) يكفيك فخراً أن تدين بطاعة لابن الدعىّ

الحر : (لعمر) أأنت تقاتل هذا الرجل بإذن الله ..

(عمر صارخاً بمرارة يخالطها الفزع كأنه يهرب)

عمر : أى و الله قتالاً لا يهدأ يا حر
أيسره أن تسقط رأسه !

الحسين : (لعمر) أتقتلنى زلفى لله .. ؟
أدفاعاً عن حق الأمة .. ؟
أتكشف فى قتلى غمة .. ؟
أدفاعاً للظلم الناطح
فى أحشاء المطحونين
أم تزعم أن يمنحك الفاسق مُلك الرى و جرجان ؟
أى هوان .. أى هوان ؟ !

فاصنع ما يدفعك إليه الطمع القاتل يا مجنون
فلن تفرح بعدى بالدنيا يا مسكين
و كأنى بك قد قطعوا رأسك هذا المثقل بالأطماع
و قد نصبوه على قصبة

عمر : (صارخاً) أسكت .. أسكت .. لن أسمع منك !

الحسين : (مستمراً) رأس تطمسه حكمته أحلام المُلك
يشمخ فى طرقات الكوفة منتصباً فوق العيدان
و يُطرح بعد على الأرصفة لكى يتراماه الصبيان
و يُلقى بعد إلى الأوحال لكى تتعاوره الديدان

عمر : ماذا تنتظرون عليه ؟ شدوا كلكم شدوا

الحر : لم تؤذِن بقتال بعد
(صارخاً فى الناس) لا يطلق أحد منكم سهماً !

عمر : فها أنا ذا يا حر أذنت ..

الحر : لا تصنع هذا فى غضبك
قابله غداً فلقد يكفينا الله تعالى شر الفتنة
و الآن تعال بنا نتشاور
جنبنا الله طريق الشر

(عمر و الحر و أسد يدخلون إلى خيمة عمر فى المستوى الأول و يبقى الحسين و صحبه فى المستوى الأعلى .. و الليل يفيض)

الحسين : أسرعوا الآن لكى نعمل فى خندقنا

زهير : نعم هذا الرأى
قد و الله دافعنا وراء الخندق المشهور عن حرمة يثرب

ابن عوسجة : كان و الله علىّ بطل الخندق فى ذلك الزمان

برير : و هزمنا المشركين

ابن عوسجة : هكذا نهزم أحزاب الضلال

(يتجهون إلى اليمين ليخرجوا ثم يتوقف زهير و معه الآخرون)

زهير : قل لنا يا ابن رسول الله
ما يكشفه الله تعالى لك عما نحن ماضون إليه ؟

الحسين : أأنا .. ؟ (يتوقف)

ابن عوسجة : قل لنا فالله قد أعطاك سره

نافع : قل لنا بعض الذى تعرف عن أخفى الأمور القادمة

الحسين : أنا لا أعرف ما لا تعرفون
أنا لا أعرف خيراً منكم لو تدركون

زهير ابن القين : إنما تخفض للناس جناح الذل من عزة علمك

الحسين : ليس لى علم بما لا تعلمون

برير : إن ما ضاق علينا من مدى ..
لفسيح عند مثلك

ابن عوسجة : أنت أدنى الناس لله تعالى
و رحاب الله ممدود لديك

حبيب : و جناح الله مبسوط عليك

زهير : أنت مرسى الصالحين

حبيب : قل لنا ماذا عسى نصنع بعد ؟

بشر : أنت مَنجَى الناس فى المسرى العظيم !

نافع : قل لنا بعض الذى تعرف مما خصلك الله به

ابن عوسجة : إنما تعرف ما لا نعرفه

الحسين : إننى أعرف أن الخير مصلوب على باب المدينة
و حواريوه من ذعرهم لا يندبونه
إنهم تحت ظلال الشوك يبكون .. و لكن ينكرونه
إننى أعرف ما يغشى النجوم
عندما تزحف أرتال السحاب الجهم فى الليل البهيم
إننى أعرف أن الشمس ما عادت تنير
عندما تعمى قلوب فى الصدور
مثلما تعمى العيون !!
إننى أعرف أن الرجل الباسل لا يعطى الدنية
فى خيار بين ذل العيش أو عز المنية
إننى أعرف أن الزيف قد أصبح سلطان الجميع
فاتك يغزو و ما من قلعة تثبت دونه

مهَّد الخوف له الأرض و أغراه الخنوع
ملك مستهتر يثخن فى الأرض و من يثخن فيهم يعبدونه
تاجه الغدر و أسراه الدموع !

(يخرجون جميعاً من المرتفع و يقبل رجل من جيش عمر هو أحد عرفاء الكوفة و تجارها)

العريف : (ينادى) يا سعيد بن سعيد
يا ابن عمى يا سعيد

(يعود سعيد مسرعاً و يقف على المرتفع و العريف فى المنخفض فى المستوى الأول)

سعيد : يا ابن عمى لمَ تزعق

العريف : أنت قد أوحشتنى

سعيد : أى و ربى أنت قد أوحشتنى جداً فما حالك ؟
ما أحوال بيتك .. ؟
و عيالى يا ابن عمى كيف هم .. ؟
كيف ليل الكوفة الصافى الجميل ؟
و جواريك الحسان الفارسيات ؟ و تلك الرودسية ؟
أيغنين كما كن طوال الليل ؟ قل لى ؟ و التجارة ؟!

العريف : يا ابن عمى لم تنحاز إلى جيش الحسين ؟

سعيد : يا ابن عمى خيبة الله عليك
ألهذا جئت تدعونى و تزعق
أنا مشغول فدعنى

(يسرع ليخرج من حيث خرج الحسين)

العريف : و بماذا أنت مشغول فديتك ؟!

سعيد : إن عندى حفر خندق (ما زال يسرع ليخرج)

العريف : يا ابن عمى لم تجبنى
لم تنحاز إلى جيش الحسين ؟

(سعيد يتوقف و يصمت قليلاً ثم يعود إليه)

سعيد : و لمن ينحاز من كان له قلب و عين ؟

العريف : أنا لا أجفو الحسين
و أنا و الله لا أرفع السيف عليه .. غير أن ..

سعيد : (يقاطعه) أفلا تحمل لى قربة ماء ؟

العريف : دون هذا الموت .. فالماء عليه ألف سيف !
ما لهذا جئت يا ابن العم بل جئت لكى ..

سعيد : (يقاطعه) لكى .. ماذا ؟
لكى تسألنى الآن :
لماذا أنا فى جيش الحسين ؟

العريف : إننى أرجو لك العزة و المال الوفير
و نعيم الدهر .. إن جئت إلى جيش الأمير

سعيد : (صارخاً) أنت مجنون بلا ريب .. انصرف
رح تمتع بالفتاة الرودسية !

العريف : لا تصح لا يسمعونا
لا تبالغ .. إنما الأمر يسير
كل ما فى الأمر أن تخطو خطوة
خطوة تجلب حظوة
و إذا الدنيا بما فيها لديك
و إذا أنت كأهليك غنى
و إذا أسرتنا باتت و ما فيها فقير
يا أخى اهبط نحونا
إنها و الله خطوة

سعيد : خطوة واحدة لكنها كمدى الأرض لدى
إنها مفرق ما بين خلودى فى النعيم السرمدى
أو خلودى فى الشقاء الأبدى

العريف : لا تفلسف كل شئ إنما الدنيا فرص
فاهتبلها و اقتنص !

سعيد : إننى لا أتفلسف
أنت أوجعت دماغى بالذى تهذى به فلتنصرف

العريف : يا أخى اصنع لبنيك ..

سعيد : و لهذا اخترت صف الحق لا در أبيك

العريف : فإذا متَّ فماذا يصنع الأولاد بعدك ؟

سعيد : ورثوا من رفعة السمعة و الذكر الحسن

كل ما يغنيهم بعدى على طول الزمن

العريف : (ساخراً) هو لن يغنيهم إلا قليلاً
ثم لا ينفعهم بعد فتيلاً
أم ترى تطمعهم من سمعتك ؟
ما الذى ينفعهم إن مت و استمتعت فى الجنة فى
فى قصر كبير من ذهب ؟
ثم ما خلفت إلا حسن ذكرك ؟
(ساخراً) و إذن .. فليأكلوا من حسن هذا الذكر شهداً
إنما ينفع أولادك أن تحيا و لو فى عقر دار من قصب
و أنا أدعوك و الله إلى مُلك كبير ليس يبلى
و الجوارى و احترام الناس إذ تصبح ذا مال و منصب

سعيد : (مذعوراً يكاد يجرى)
أيها الشيطان قد أوشكت أن تفتننى ..
اذهب الآن و دعنى
امض عنى

العريف : (يتوقف) سعيد .. تعال
(فى استعطاف) تعال بربك .. فلتتبعنى

سعيد : جف القلم بما هو كائن
قضى الأمر فلا تظلمنى

العريف : ما كتب القلم عليك الموت
أتراك غداً ستبارزنى ؟
أفتقتلنى أم أقتلك ؟
ألا تعقل ؟

سعيد : أترانى أدفع عن باطل ؟

العريف : أعرف أن الحق معك (يتنهد)

سعيد : ألا تنتفع بمعرفتك ؟

العريف : (بخفة) فمن بعدى سيضاحك ويحك هذا السفاح ابن زياد
و من يأخذ من ذهب يزيد حتى يرضى
أنا لا أنزل عن شئ
لكنى أطلق كلماتى ضد علىّ و حسين
و لقد أفحش أحياناً و بهذا أضمن دنياى

سعيد : و دينك ؟ دينك يا ابن العم ؟

العريف : لكن الدنيا أضمن (ثم يتلعثم)
و أنا و الله مريد حسين .. لكنى ..
أفهم منى ..
أنا مع ذلك متدين
أصلى و أزكى بالمال
و أقوم الليل و أستغفر
و أصوم و أعطى الصدقات
و بهذا تمحو حسناتى
ما أرتكب من الهفوات
للحسنة عشرة أمثال
و السيئة لها مثل
فأحسب .. أحسب ..

سعيد : (ضاحكاً) أتبيع على الله الحسنات ؟
أتتاجر حتى حين تعامل من خلقك ؟

العريف : افهم مثلى روح العصر
لا تهلك نفسك فى حرب خاسرة نعرف عقباها
إنكمو سبعون فحسب جئتم تنتزعون الثروة من أيدينا
كى تعطوها للفقراء
أما نحن فنحن هنا بضعة آلاف
كلهم تجار مثلى أو عرفاء .. مثلى أيضاً ..
قد سلطهم حب المال عليكم و الحرص الأعمى
و حتى الفقراء الأوغاد و قد جئتم من أجلهم
منهم من خرجوا معنا و غدوا ضدكم يا ابن العم
فانضم إلينا .. انضم .. انضم

سعيد : الفقر جبان أحياناً يورث صاحبه الذلة

العريف : انضم إلينا فإذا انقشعت ..

سعيد : (مقاطعاً) ألزم نفسى تقواها !! ..
إنى أعرف منطقكم

العريف : (مستمراً) تنل الدنيا و الآخرة .. فما يدريك من الأظلم ؟

سعيد : لكنك تعرف يا ابن العم من الأظلم

العريف : الأسد الميت خير منه كلب حى لو تعقل
أم سوف تموت كما قد عشت غرير القلب و ذا غفلة
فلتصح قليلاً يا أبله

سعيد : بل أنت مغفل

العريف : (يجر سعيداً) فلتتبعنى فلتتبعنى .. أفلا تعقل ؟

سعيد : (يتخلص منه صارخاً) انصرف عنى .. انصرف

العريف : أنا ذا انصرفت و فى غد سأفيد مالاً فوق مالى
(و هو ينصرف) سأفيد مالاً ليس يحصى

سعيد : أتفيد عمراً فوق عمرك يا غبى ...
لتنفق الأموال فيه
(يذهب مسرعاً)

(يأتى عمر و الحر و أسد من خيمة عمر)

عمر : أنا لا طاقة لى الآن بأن أمكث فى الخيمة بعد
أتركانى ها هنا وحدى قليلاً فى الخلاء

الحر : (لنفسه) رب جنبنا قتال ابن نبيك

أسد : ليس هذا ما يريدون فلا تسأل محالاً
إن رأس ابن على هو ما يرجو يزيد
(بضيق) لم لا يحشد فى حرب الحسين بن على
بعض أجناد أمية ؟

الحر : أجنود الشام تعنى ؟
فلدينا من جنود المصر ما فوق الكفاية

أسد : ليس هذا ما أريد
إنما أعنى جنوداً لا يسلون سيوفاً أو يصبون نبالاً

عمر : (يدرك الإشارة و يقول بحذر)
أى جند يا أسد ؟

أسد : أوَ ما كان ابن هند حين يستدنى الأجل
يبعث السم إلى من يصطفيه فى إناء من عسل ؟!
و يغنى " إن لله جنوداً من عسل "

عمر : (هامساً) ربما كان هنا شمر قريباً .. لا تزد !

الحر : إن فى الجيش عيوناً لا تُـعد

أسد : شمر ؟ من هذا .. ؟ و هل آبه به ؟؟
خارجى قاتل محترف

عمر : كان من أخطر قطاع الطريق

الحر : فغدا أخلص أعوان الأمير ابن زياد
و غدا خير عيونـه

أسد : إن فى سيفى شفاء لسعاره
(يتحرك و يذرع المسرح إلى الناحية الأخرى)
قسماً بالله لو صادفته يسترق السمع علينا لقتلته
(يخرج و يبقى الحر و عمر وحدهما)

الحر : (لعمر) يا أخى هل أنصحك ؟

عمر : قل و أوجز أيها الحر فقد أرمضنى قول الحسين

الحر : إنما التقوى ربيع الفقهاء
و امتحان لغلو الأغنياء

عمر : (بضيق) و هى زاد الفقراء
ثم ماذا ؟ قل فديتك

الحر : أفلا ترضى بأن يرجع عنا ؟

عمر : سل أميرك !
(صمت) و الحسين بن على قد يرى العودة جبناً

الحر : فلنوجهه إلى حيث تريد
و عليه موثق بالصمت أن يسكت عن أمر يزيد !

عمر : صمته .. ؟ إنـه مثل كلامه
و هو مسئول عن الصمت كما يُسأل عما قد يقول
إن هذا الصمت قد يخلع قلب ابن زياد
و يثل العرش من تحت يزيد
فلهذا الصمت يا حر دوى كالرعود

الحر : و إذن يا ابن ولى الله ماذا أنت صانع ؟؟

عمر : فليبايع

الحر : إن هذا ..

عمر : (مقاطعاً) و بهذا يُستذل
(بمرارة) إنـه الآن بطل

و أنا .. لا .. أى فرق بيننا ؟!
فإذا بايع صار الناس يا حر سواء فى المذلة !
(ساخراً بمرارة) إنها أحدث أنواع العدالة !

الحر : فإن لم يعطك البيعة ؟

عمر : إذن فلتعطنى رأسه

الحر : أنا بُشِّرت بالجنة
و ليست جنتى فى قتل أولاد النبيين
فما هذا سوى اللعنة

عمر : ما كنت ترى هذا .. فماذا جد يا حر ؟

الحر : على ضوء لهيب النار فى قلبى
رأيت الزيف من حولى
لقد ضاقت بى الدنيا أنا الضارب فى الليل
فيا ويلاه .. يا ويلى من ربى !!

عمر : ستـُذبح أيها المجنون إن لم تعطهم رأسه

الحر : لاح الصبح للمبصر

عمر : و لكنا مساقون لكى نضرب فى الليل

الحر : سأمضى الآن فى صحبى و فى أهلى

عمر : إلى أين ؟

الحر : بعيداً عن لظى الفتنة
(شارداً) لقد بُشرت فى الأحلام بالجنة

عمر : ستمضى دونما طائل

الحر : (فجأة) سأحمل كل أصحابى على الحق
و أرمى موكب الباطل

عمر : أيها الحر تدبر فى الذى تمضى إليه

الحر : بل تذكر أنت عدل الله إذ تمثل ما بين يديه

عمر : (صارخاً) أنا راض يا أخى عن سيرتى !

الحر : فلتدعنى و الرضا الأحمق عما أنت صانع

عمر : أين تمضى أيها الحر من البيعة أين ؟
أنت بايعت يزيداً
عندما كان أبوه داعياً بالمال و السيف معاً

الحر : (غاضباً) بعض هذا يا ابن سعد !

عمر : (مستمراً) سيقول الناس قد بايع خوفاً
و نفاقاً لابن هند
سيقول الناس ما للحر عهد
و لهم و الله حق
فهو ذا أنت نكثت
أنت ذا من بعد ما مات ابن هند قد نكلت .. !

الحر : أنا بايعت على التقوى و لكن ملك الفاسق فينا فاستبد
أنا ما بايعت و الله على قتل برئ
أو على رأس الحسين
لم أبايعهم على الفتك أو الغدر و اهدار الدماء ..

الحر : أنا بايعت على الصدق و هذا كاذب يقتل بالظن و يبطش
حوّل الشورى إلى تاج و عرش
إنه يحكم فيما منذ شهرين كقرنين من الهول علىّ
حسبه أن أرهب الناس بطغيان الدعى ابن الدعى
لم أكن أعلم هذا كله
حينما بايعته
غير أنى بعد أن ....

عمر : (مقاطعاً) فابق فى الجيش إذن
ثم لا تضرب إذا شئت و لن يلحظها و الله عين من عيونه
هكذا تغدو و لم تغضب أميراً
أو تخن عهد الضمير
ثم تغدو أيها الحر أثيراً عند كل المتقين
و ولياً لأمير المؤمنين
هكذا يرضى عليك السيدان .. !

الحر : (مستنكراً) لست ممن يخدمون السيدين ..
فعلى الآن أن أعمل إما لضميرى أو أميرى ..

عمر : إننى أفهم يا حر الذى يضنى رجالاً من طرازك
يا صديقى لا تطاوع ألمك !
إن آلامك عقباها الندامة ..

الحر : إن آلامى عظام ..
إنها نوع من الآلام موفور الكرامة
ألم فيه اعتزاز و إباء !

عمر : هكذا تقضى عليك الكبرياء

الحر : إنها ليست هى العزة بالإثم .. و لكن عزة الحق المعذب
و انتفاض الكبرياء المنتهك

عمر : هكذا تـُهلك نفسك

(صمت .. و الحر يمشى ثم يواجه عمر و يسأله بغتة)

الحر : يا ترى ماذا عسى أن يذكر التاريخ عنا يا ابن سعد ؟

عمر : (صائحاً و لكن فى ذعر)
لا تعد لى ذكر هذا الشئ بعد !

الحر : هو لن يذكرنا
و إذا نحن احتللنا صفحات منه سوداً ..
فلكى يلعننا

عمر : الغِنَى يصنع طيب الذكر للحى فإن مات فسيان لديه كل شئ
الغنى قد يشترى التاريخ .. فالتاريخ ملك للغنى
إنما التاريخ عبد للقوى
(و قد تمالك نفسه)
مع هذا فأنا و الله ما أعبأ به
إنما فاز بطيب العيش من مُتع فى دنياه حقاً و هو حى !

الحر : إنكم قد تشترون الحمد من بعض عبيد الشهوات
إنكم قد تستذلون رقاب الطامعين الأقوياء
إنكم قد تخنقون الكلمات
إنكم قد تسجنون الريح فى عرض الفضاء
إنكم قد تطمسون النور فى جوف الشعاع !
لكن التاريخ أقوى منكم التاريخ حر لا يباع
(يتحرك بعيداً)
أنا ذا أنجو إلى التاريخ منك !

عمر : أنت ماض لهلاكك ..

الحر : لى سؤال قبل أن أذهب عنك ..
يا ابن سعد .. يوم لا شافع للإنسان إلا ما نواه
من ترى يشفع لك .. ؟

عمر : (بيسر) النبى المصطفى صلى عليه الله يا حر و سلم

الحر : و بماذا .. ؟

عمر : (بثقة) إننى من أقربائه ..

الحر : ثم ماذا .. ؟

عمر : و لقد كان أبى من آثر الناس لديه !

الحر : (بمرارة) و لهذا اصطنعوك

عمر : (ثائراً) لا تقل ذلك لى

الحر : (منتفضاً) فتذكر آل نوح يا عمر

عمر : أنا ما زلت على دين محمد

الحر : أنــُرجِّيه و ها نحن أولاء اليوم نغتال بنيه .. ؟
لكأنا نرفع السيف على وجه النبى !!
قسماً بالله لن يشفع لك !
فلتسر أنت إلى النار بجندك
فأنا ناج إلى التاريخ منك
إننى ناج إلى ربى منكم أجمعين ..
إننى أهرب لله بدينى
(ينصرف الحر مسرعاً و صوته فى الخارج يتردد بالجملة الأخيرة)
إننى تبت إلى ربى مما تصنعون
أنا ذا أنجو إلى التاريخ منك ..

(عمر يروح و يجئ بينما يرتفع من بعيد صوت وحشى)

وحشى : (من الخارج) و قتلت حمزة فى أحد !
(يدخل وحشى و هو يترنح متهالكاً من السُكر وراءه بعض رجال عمر بن سعد)
و دفعت جثته لهند و هى ترقص فى النساء
و رأيتها فى فرحة هوجاء تنتزع الكبد
(يدور فى المكان)
و وقفت منتظراً لعلى أقتضى ثمن الدماء

عمر : (صارخاً) يا للشقى ! أغرب و غيب وجهك المنحوس عنى

وحشى : (مستمراً) دفعت مكافأتى إلىّ فما انتفعت بما أخذت
و غدوت حراً غير أنى صرت عبداً للندم

عمر : (بمرارة و أسى و خوف) يا للندم !!

وحشى : (مستمراً) حتى إذا ما كان يوم الفتح جئت إلى الرسول
و وقفت أبكى لا أقول و لا يقول
و بكى الرسول و تذكر سيد الشهداء حمزة
و وددت لو أنى أجود له برأسى كى يحزه
ثم انحنيت فما التفت
عفرت رأسى بالتراب فما التفت
خذ ثأر حمزة يا نبى الله منى و التفت لى
حطمت صدرى بالحديد و بالصخور فما انتفعت !
أدميت رأسى فوق جدران الصوامع و الجوامع
أذريت حبات الفؤاد على المدامع
و ذرعت أرض الله لكن ما هربت
ما زال صوت المصطفى كالرعد فى أذنى أيان اتجهت :
" أنا لن أرى وجه الذى قتل الأحبة ! "
يا للشقاء الدنيوى و يا لخوفى من عذاب الآخرة
أنا ذا أعيش اليوم فى طوفان خمر
و تظل فى الأعماق نار تستعر
هول من الندم المعذب يتقد
لم لا إذن لا تسحق الكبراء يا ربى بصاعقة الندم ؟
أوَ لا تراهم يعدلون عن الحسين
إلى ابن آكلة الكبد ..
أواه لو أنى أصول مع الحسين
لكننى ناديته فأشاح عنى مرتين ..
يا للحسين .. !

عمر : (يصرخ فى بعض رجاله)
فلتطرحوا هذا بعيداً ..
أخمدوا صوت الشقى
أخفوه فى قاع الفرات ليستريح من العذاب الدنيوى

(يسرع عمر إلى خيمته - يتجه الرجال إلى وحشى و لكنه يهرول مسرعاً مترنحاً و يخرجون وراءه)

رجل (لآخر) : كيف الخلاص من العذاب الأخروى !

وحشى : (و هو يخرج) لمَ يعدلون عن ابن فاطمة إلى أبناء آكلة الكبد ؟

(ترتفع أنات من ناحية خيمة نساء الحسين)

الأصوات : العطش .. العطش ..

(تخرج زينب و سكينة من باب الخيمة)

سكينة : جف يا عمة حلقى .. أو لا ماء هنا ؟!
(تنبش الصخر)
أنا ذا أنبش فى الصخر و لكن دون جدوى

زينب : آه ما أفظع أن أسمع هذا حين لا حيلة لى
فلتمصى حصوات الرمل يا بنت أخى

سكينة : آه .. من يرجعنى الآن إلى منزل جدى !

زينب : لم تعد تنفعنا آهاتنا الحرَّى بشئ يا سكينة

سكينة : قد غدونا فى العراء
و بنات ابن زياد فى القصور الآمنة

(الحسين قادماً من المقدمة من ناحية اليسار متجهاً إلى معسكر عمر .. زينب تتأمله و هى على المرتفع)

زينب : (صائحة) ويلاه .. إنك سائر للموت رغماً عنك ويلى ..

الحسين : (صائحاً و هو يتوقف ملتفتاً) ويل لغيرك يا أخية

سكينة : أبتاه كيف العيش بعدك إن مضيت ؟

الحسين : لا تـُشمتى الحساد فينا يا بنية

سكينة : (تكتم نحيبها) ويلاه من نوب القضاء

الحسين : عندما يستحكم الطغيان يهذى العقلاء
فإذا لم يعصم الله تذل الكبرياء
فاسكتا كيلا تقولا بعض ما يزرى بنا
(يمضى إلى خيمة عمر)

زينب : (فى دعاء و هى تتابعه بنظراته)
نجِّه يا رب ممن ملئت أفواههم مكراً و كيداً
نجِّه يا رب ممن عهدهم زيف و كذب و رياء

سكينة : (فى دعاء) نجنا يا رب ممن غلظت أكبادهم
حتى غدت مثل الصخور

زينب : (مستمرة) نجه يا رب ممن أصبحت أجسادهم مثل القبور
نجه يا رب ممن ذبلت منهم قلوب فى الصدور

يا إلهى أنت إن لم تحفظ الدنيا بعدلك
فهى لن يجديها أن يسهر الحراس بعدك
(تدخلان الخيمة)

الحسين : (على باب معسكر بن سعد) يا ابن سعد .
أفلا تخرج كى تسمع منى ؟
(منادياً) يا عمر . .

عمر : (خارجاً) أنت قد أغلظت لى منذ قليل
فلماذا جئتنى .. ؟

الحسين : كان موسى يطرق الباب على فرعون فى كل نهار
بضع مرات عساه يهتدى !

عمر : (بغلظة) أترانى مثل فرعون .. ؟

الحسين : و أنا لست كموسى
إنه أفضل منى و هو أزكى الرسل !

عمر : و أنا أهون من فرعون شأناً يا رجل !

الحسين : (برقة) يا ابن سعد إنما عز على مثلى أن يبغى مثلك

عمر : أأنا باغ إذن !!
أترانى باغياً !
(برقة) يا للحسين !

الحسين : يا ابن سعد نحن حاربنا معاً
و قهرنا الظلم فى كل مكان
و رفعنا راية الإنسان فى وجه القدر
و مضينا فى ركاب واحد
نرفع الآلام عن روح البشر
نحن حاربنا معاً ، و تعذبنا معاً
كم حلمنا عندما كنا صغيرين معاً
و تعلمنا معاً
و عملنا كى يسود العدل فى الناس معاً

عمر : (فى أزمة) كان هذا عندما كنا كما نرضى و كان الدين ديناً

الحسين : ما الذى يجعل هذا الدين شيئاً غير ما كان قديماً يا عمر ؟

عمر : حاجة الدولة و العبء الذى زاد علينا يا حسين !

الحسين : إن هذا كله ليس هو العزة إن قام على إهدار حق

عمر : إنما العزة لله جميعاً يا حسين بن على !

الحسين : لم تزل تذكر قول الله .. مرحى .. أفأنسيت النبى ؟

عمر : أنت ذا تحكم بالكفر علىّ
إننى لست كفرعون و ربك

الحسين : ما أنا قاضيك لكنك قد تظلم نفسك
و أرى من واجبى أن أهديك
أنت مأخوذ بفعلك

عمر : إنما تصنع ما تصنعه اليوم لإشباع غرورك !

الحسين : لا .. معاذ الله مالى و الغرور
(صمت) إنما المغرور من غرَّ بكم

عمر : إنما تشعل ما نام من الفتنة كى يرضى ضميرك

الحسين : إن عين الله لو تعرف تـُدعى بالضمير

عمر : فتذكر واجب الله عليك

الحسين : أإذا أديت لله ديونى فأنا أشعل فتنة !

عمر : دع ديونى و ديونك

الحسين : قد قضى الله علينا أن نجير المستجير
ليس للمؤمن أن يسكت عن طغيان سلطان يجور
هكذا نحن تعلمنا معاً

عمر : إن أهل الرأى راضون جميعاً
فلتقل لى بعد هذا ما الذى تخرج له ؟!

الحسين : (متصاعداً فى ثقة) سد أبواب الضلال
استغاثات العدالة
انتشال الحق من غاشية الظلم المخيفة
شرف الإنسان جاه الدين ، نصر الضعفاء

عمر : (ساخراً) أأمين الحق فى الأمة أنت ؟
أمناراً لهدى الخلق جُعلت ؟

الحسين : (جاداً) إن هذا واجب الإنسان فى دنياه أياً كان قدره

عمر : كل إنسان و أمره

الحسين : فليكن منكم رجال يتناهون عن المنكر فيما بينكم

عمر : لم يعد فى هذه الأرض رجال يطلبونك
أنت من عصر قديم قد تولى و انقضى ..

الحسين : (حزيناً) و أتى عصر البدع !

عمر : (مستمراً) جئتنا من خارج التاريخ كى تـُرمضنا
جئت كى تنتزع الثروة منا
ها هم الناس كما تبصرهم أسرى لخوف أو طمع
فسيوف الطامعين اليوم قد سُلـَّت عليك

الحسين : و سيوف الخائفين !؟

عمر : إنها تهتز فى أغمادها مرتعدة

الحسين : فإذا هم شهروها حذراً من بطش حكام عتاة ظالمين
فعلى من يقع الوزر ؟ عليهم أم عليكم

عمر : (منفجراً) كنتَ فى أرض الحجاز
آمناً فى ظل جدك
و مهاباً كملك

الحسين : (مقاطعاً) أنا لا أطلب مُلكاً أو ولاية
إننى أنشد إصلاحاً و رشداً و هداية

عمر : (مستمراً) كل شئ فى يديك :
احترام الناس و الإجفال منك
الرضا و الحب و النعمة لك
و قلوب الناس و الأحلام حولك
ثم ميراث النبوة ..
أى جاه بعد هذا أو مفاز ؟!
فلماذا جئت تستل سيوفاً تطلبك ؟

الحسين : (فجأة) أنت .. هل تنفس ما لى فى قلوب الآخرين ؟

عمر : (مضطرباً) أنا ؟! .. لا .. لا أكرهك
غير أنى .. ليس فى مقدور مثلى أن يحبك
أنت قد أحرجتنى .. أثمَّتنى

أنا إن طاوعت نفسى فلقد أخسر دينى ..
و إذا راعيت دينى فلقد أخسر نفسى
و لقد أفقد رأسى
إنما تحرمنى الرى و جرجان و طيب العيش إن أحن عليك
إنما تفسد لى ما أنا موعود به إن لنت بك ..
ثم إنى .. أو لا تفهم منى ؟!!
إنها أمنية العمر .. ألا ترحمنى ؟

الحسين : أنت بين النار و الجنة فاختر ما يروقك

عمر : ليس لى بعد خيار فيك يا سبط النبى
ما خيار بين حد السيف أو عرش الولاية !!؟
إن هذا لهو القهر بعينه .. !

(عمر لا يواجه الحسين .. و هو يحول عنه عينه دائماً)

الحسين : (الحسين يحاول أن ينظر فى وجه عمر و لكن عمر يدير وجهه)
إن تخيرت طريق الله فالله لطيف بعباده

عمر : (هارباً) و أنا أطمع فى رحمته يا ابن على
سأصلى بعد أن أظفر بالرى و جرجان و أبكى
و أصلى فعسى يغفر لى

الحسين : هكذا .. ؟؟ بيع على الله تعالى ؟
أنت أصبحت غشوماً

عمر : (مستخفاً) لم يكن موسى إذا ما جاء فرعون غضوباً
كان و الله حليماً
(ضاحكاً فجأة)
أفتدرى لم أسموه كليماً ؟

الحسين : أنت و الله كفرعون و قد تلقى مصيراً كمصيره

عمر : (منفجراً) أنت منذ اليوم لن تضبط مُلكاً بصلاة و صيام
و قيام و تعبد

الحسين : فلتواجهنى بعينيك ففى أغوار عينيك عذاب

عمر : (مستديراً بكبرياء) تـُحكم الدولات منذ اليوم
بالسيف على هام الأباة
و بإحناء الرقاب
و ببذل المال للراغب فى جاه الحياة
ثم يأتى بعد هذا كله أمر الصلاة !

فهى فى بعض قصور الملك حلية
و على أية حال فهى ليست لقصور المُلك لكن للمساجد
هى ليست لأمير قادر .. بل عجز زاهد
المساواة التى تدعو لها أحلام عابد .. !

الحسين : إن هذا القول ما نادى به حتى أشد الناس بطشاً فى أمية
هكذا أصبحت ؟!
يا للعار !! قد ضيعت و الله أباك !!

عمر : انصرف عنى فلا حيلة لى فى كل أمرك
ليس فيما بيننا و الله منذ اليوم إلا ساحة الحرب .. فقاتل
قسماً بالله لن ألقاك إلا فى القتال
و هو و الله قتال تسقط الهامات فيه
و يطيح السيف فيه بالأنامل
أنا لن أبقى منكم واحداً حتى الصغار
و سيغدو نسوة البيت ثكالى و أرامل

الحسين : (فى أسى) تدبر إلى أين تمضى إذن .. ؟

عمر : قد حسبنا حساب كل الأمور

الحسين : إلى كم من الماء تحتاج بعد
لتغسل عن مرفقيك الدماء ؟

عمر : (هادئاً متحدياً) قطرات من بحر جود الأمير !

الحسين : و أى القلاع ستمنع أذنيك
أن تسمعا لعويل الأرامل ؟

عمر : قلعة فى الرى أو جرجان .. أو ما شئت من دولتنا

الحسين : و كيف ستنزع رجع النواح
إذا هو جلجل فى مسمعيك !
و كيف ستخفى مرائى الأسى إن غشت ناظريك ؟

عمر : (ساخراً متحدياً أيضاً) بعزف الجوارى و رقص القيان
و قرع الكئوس و ضحك النديم

الحسين : و كيف تواجه عين البرئ و بؤس اليتيم ؟

عمر : (ساخراً) لماذا أواجه !! لا .. لن أواجه !

الحسين : (حزيناً) إلى أين تهرب من نظرة
تجمد فيها شعاع النجوم ؟

عمر : (ساخراً) سأدفن قتلاى تحت التراب
فآمن من نظرات العيون
و ما يطفئ النار مثل التراب

الحسين : ألست تصير لهذا التراب
و إن نلت ما هو فوق السحاب
ففكر إلى أى ذل تصير ؟

عمر : و فيما انشغالى بأمر المصير .. ؟

الحسين : (منفجراً فى ألم) ما كنت لأعرف من قبل
أن ضمير الرجل يموت
و يبقى الرجل مع الأحياء
إنك تعرف أنك تدلج فى الباطل
أنقذ نفسك
حطم سجنك
قل كلمة حق مرة
لا تجعل صدرك قبر الكلمة
الكلمات تموت هنا فى صدرك هذا يا ويلك ..
لتصبح قبراً يتحرك
و يسيل الدود على جسدك
يقتات بأنبل ما عندك
و تحسب نفسك حياً بعد ؟
ما أنت بحى
سبحان الحى .. الحى .. الحى :
(يفلت مسرعاً و يعاود الصعود إلى المرتفع و يدخل عمر إلى خيمته بينما تخرج زينب و سكينة و النساء من على المرتفع)

زينب : (تدعو الله و عيناها على الحسين)
يا جدى الغالى سل الرحمن يكلؤه بعين رعايته

سكينة : و بنفحة من لطفه فى هذه البيداء .. حيث يجف من عطشى دمى
يا ماء زمزم قد عطشنا ها هنا .. هل قطرة من زمزم !

(الحسين بلغ درجات المرتفع .. حيث يسرع إليه صحبه بشر و سعيد و برير و حبيب و ابن عوسجة و نافع و زهير و رجال آخرون و زينب و سكينة جالستان بعيداً أمام الخيمة)

سعيد : قد فرغنا من حفر خندقنا الآن و فاضت أعرافه بالهشيم

الحسين : أوقدوا النار لا يخوضوا إلينا بعد الأخلال هول عظيم

بربر : (صائحاً فيمن وراء المسرح) أوقدوا النار ..

ابن عوسجة : (صائحاً) أوقدوا فى الهشيم ..

زينب : (فى دعاء) يا إلهى يا رب إبراهيم فلتجعل النار برده و سلامه

(يتصاعد دخان و لهب من بعيد .. فيقبل بعض رجال عمر من المنخفض من شمر و الحر)

شمر : يا حسين .. أتوقد النار .. ؟ مهلاً ..
لا تعجل بالنار قبل القيامة

الحسين : من هذا الناعب وسط التيه ؟
من هذا الناعب فى الليل ؟

شمر : أنا ذا شمر من يقتلك بإذن الله
لكى تصلى النار الكبرى

الحسين : سيصلاها منا الأشقى

شمر : فستصلاها أنت إذن
يا من شق عصا الطاعة

الحسين : أنت الأولى .. أنت الأولى

عمر : بل أنا مُرسلك بإذن الله إليها

سعيد : (لشمر) بإذن الله ؟ يا ابن المعزى

زهير : لا أذِنَ الله لمثلك إلا بجهنم

بشر : أبشر بالخزى و بالنار

سعيد : أتقتله يا ابن البرصاء ! فلا أبيك الفـرَّار

الحسين : سعيد .. أمسك

سعيد : (لشمر و هو ما زال منفعلاً) هل جاءت بك أمك من قرد
أم من تيس أم خنزير .. ؟
يا ابن البوال على عقبة

الحسين : حسبك حسبك يا ابن سعيد
جئنا نهدى لا نشتم

ابن عوسجة : (للحسين) الأبرص فى مرمى سهمى
أفتأذن أن أرميه بسهم ؟

الحسين : أكره أن أبدأ بقتال

زهير : الأبرص جبار فاسق

نافع : هو شر الأعداء جميعاً

ابن عوسجة : فإذا سقط انهزم الجند

الحسين : ما كنت لأبدأهم بقتال و أنا لم أعذرهم بعد

(الحر يتحرك إلى المرتفع فى اتجاه الحسين)

شمر : (مهازلاً للحر) عساك ستبدأه بالحرب

الحر : (مرتعداً) دعنى .. دعنى
أغرب عن وجهى

عمر : (لنفسه) لكأنك محموم يا حر
شريد النظرة منذ الأمس
أتذهب كى تسقى فرسك ؟
(متمسحاً به)
إن كنت مريضاً فلترقد ..

(الحر صامت لا يتحرك .. شمر يخرج)
(الحر بدأ يصعد المرتفع متقدماً نحو الحسين)

ابن عوسجة : (صارخاً) لا تدنُ منه فأنت كافر

الحسين : الله أعلم بالضمائر

الحر : (يتوقف وحيداً) اللهم إليك أتوب
الله إليك أنيب

أصوات النساء : العطش ... العطش

الحر : (لنفسه مرتعداً) أنا روعت بنات نبيك فلتغفر لى
أنصت لبكائى يا ربى ..
و بظل جناحيك استرنى
أصبحت مخيفاً للأطفال رهيباً مثل وحوش الغاب

زينب : (صائحة من أمام الخيمة) أيها الجبار
عد من حيث جئت
ابتعد عنا ابتعد

الحر : (مستمراً و هو يرتعد)
دفعتُ بقرة عين نبيك بين المخلب و الأنياب
يا رب اغفر لى ذنبى
و اجمعنى بابن الزهراء
فى واسع رحمتك القدسية يا ربى
و رغائب مذخور ثوابك
(يقترب من الحسين)

ابن عوسجة : أنت يا أشجع من يضرب فى الكوفة بالسيف لماذا ترتعد ؟

سعيد : (يشهر سيفه) ابتعد يا أيها الذئب ابتعد

الحسين : اتركوه يقترب

الحر : (للحسين فى خشوع)
أنا ذا الحر الذى جَعْجَعَ بك
أنا من أنزلك الأرض التى ترتهنك
لم أكن أحسب أن القوم يبغون هلاكك
فأنا ذا تائب لله ما بين يديك
أترى لى توبة إن أنا جاهدت معك ؟

الحسين : رحم الله امرؤاً تاب و أصلح

ابن عوسجة : (يهبط إليه مسرعاً) يا مرحباً بالحر أهلاً
يا قائدى المغوار فى كل المعارك ضد أهل الشرك .. أهلاً

الحر : أنا ذا أعود لكى أقاتل يا ابن عوسجة وراءك من جديد

الحر : (يعانقه و يكون سعيداً قد أغمد سيفه تماماً)

سعيد : (يعانقه أيضاً) يا مرحباً أهلاً و سهلاً
اليوم أشعر أننى حقاً سعيد

الحر : ادع لى ربك يا سبط الرسول (ينحنى أمام الحسين)

الحسين : فلتدعُ أنت فلن يرد الله دعوة من يتوب و من ينيب
و لأنت مثلى عند رب العرش منذ أتيت تدفع عن جلال شريعته

الحر : الله جاد على العصاة برحمته
أتراه يدركنى بلطف رعايته ؟
(صراخ خافت من خيمة النساء)
العطش .. العطش

الحسين : الله يرحمنا جميعاً ما بذلنا جهدنا فى طاعته

ابن برير : (محبباً للحر) و بذاك يكتمل الرفاق على الطريق

الحسين : عاد و الله فتانا الحر حراً

الحر : أترى تأذن لى فى كلمات لبنى قومى عساهم يهتدون

الحسين : قل كما شئت هدى الله بأمثالك من ضل السبيل
(يدخل خيمة النساء)

الحر : (و هو يتجه إلى مرتفع ينادى) :
أيها الناس .. تعالو أقبلوا كى تسمعونى
يا بنى قومى .. تعالوا ..
أنا ذا الحر الرياحى يقول

(همهمة وراء الستار و حركة خافتة تتزايد بين أصحاب الحسين يتجه سعيد إلى بشر الذى يجلس صامتاً حزيناً .. صراخ النساء يخفف قليلاً)

الصراخ : العطش .. العطش

سعيد : (مداعباً) ما الذى يشرد بك ؟
ما الذى استولى على أقطار لـُبِّك ؟

بشر : قد غدونا الآن سبعين فحسب !
بعد ما كنا الوفا يا سعيد

سعيد : (مستمراً مداعباً) أم ترى تحلم لو أنك فى مخدع زوجك ؟
ربما خفف برد من ثناياها تباريح العطش !
(بألم) آه يالى و العطش ..

بشر : يا سعيد ليست الساعة هزلاً ..
إنها ساعة حزن و أمل ..

سعيد : أأنا صاحب هزل ؟

الحر : (ينادى قومه من ناحية أخرى) :
أيها الناس أنا الحر الرياحى ..

و لى عندكم حق و عهد
(لا يظهر له أحد)
أفلا يظهر لى منكم أحد ..

سعيد : (لبشر) أى شئ هو أدعى لسرورى الآن مما نحن فيه ؟

بشر : ليس فيما حولنا شئ يسر ..
إنه للعطش المهلك .. و الموت النكد !

ابن عوسجة : إننا إن لم نمت فى حربنا ..
برز الموت إلينا فى المضاجع

نافع : أترانا نتقيه ؟

سعيد : (مكملاً لبشر و الحسين يخرج الآن من الخيمة)
بل أرانى الآن قد هيأت نفسى
لعناق الحور فى الجنة وحدى
فاحسدونى
ليس ما بينى و بين الحور إلا أن يميل القوم
يا بشر علينا فنميل ..
فإذا بى ضارب ما أمسكت يمناى بالسيف ، إلى أن يقتلونى
هكذا يا بشر و الله العظيم ..
و إذا بى زائط ما بين ولدان و حور
و نخيل و نهَر (يضحكون)
فأروِّى عطشى بالخمر فى الجنة أو قل برحيق الكاعبات

(يضحكون و الحسين يقف بعيداً عنهم وحده)

الحر : أيها الناس .. بنى قومى .. اسمعونى
(يظهرون و معهم شمر و عمر)

الحسين : (ضارعاً لله) يا رجائى فى كل كرب و شدة
أنت لى فى كل أمر عُدة ..

(تخرج زينب و سكينة من خيمة النساء و تقفان بالباب)

زينب : (للحسين من مكانها)
أنت يا أروع ما خلفه الماضى لنا
أنت يا أنبل ريح هب من حاضرنا
أنت يا ريحانة البيت و يا ركن المنى
أنت يا إشراقة الرحمة و العدل
على شطآن مستقبلنا
أنت يا نفحة لطف الله رفَّت فى هجير حولنا

سكينة : ليتنا ... لكن متى قد نفعتنا ليتنا ؟

الحر : (من ناحية أخرى)
أيها الناس اسمعونى .. ثكلتكم أمهات زانيات فاجرات ..

الحسين : (صائحاً للحر) لا .. أبيت اللعن لا تشتم ..
فما من أجل هذا قد خرجنا

الحر : إنهم يا ابن رسول الله لا حرمة ترعى عندهم
(للناس) قد دعوتم رجلاً ليس على الأرض فتى أصلح منه
جاءكم يرفع عنكم ربقة الذل و أغلال المظالم
أنتم استصرختموه
أإذا جاء لكى ينصركم أسلمتموه !؟
أنتم أخرجتموه من بلاد كان فيها آمناً بين ذويه
و زعمتم أنكم بايعتموه
و زعمتم أنكم لن تهنوا إن جاء حتى تبذلوا الأرواح دونه
ثم ها أنتم أولاء اليوم جئتم تقتلونه ..

شمر : أنت قد أبرمتنا يا حر فأسكت

حبيب : فلماذا تأخذون اليوم يا قوم بكظمه ؟!

زهير : و لماذا قد أحطتم ببنيه و نسائه !؟

برير : فغدا مثل الأسير المرتهن ..

الحر : اتركوه يمشى فى الدنيا العريضة

ابن عوسجة : لهف قلبى يا حسين .. !

برير : لعنة الله عليكم يا عبيد الشهوات

الحر : هو ذا ماء الفرات العذب يجرى سائغاً للشاربين
تلغ الحيتان فيه و الخنازير و حتى الكلب لا يُدفـَع عنه

برير : (يغالب البكاء) و بنو بنت رسول الله تشويهم تباريح الظمأ

الحر : (مسترسلاً) فلماذا تمنعون الماء عنهم ..
لعنة الله عليكم

شمر : قسماً بالله لو أصبح وجه الأرض ماء
و أنا مالك أمره

ما أصابوا منه قطرة

الحر : لا سقاك الله يوم العطش الأكبر إلا بشراب من حميم

عمر : فليبايع ليزيد ثم يشرب

أصوات النساء : العطش ... العطش

شمر : فليسر لابن زياد فيرى مولاى رأيه

الحر : (لقومه) ثكلتكم أمهات زانيات
إن مشيتم خلف هذا و حشرتم للجحيم

شمر : لن يذوق الماء إلا غصة من بعد غصة

الحسين : ما عساكم تطلبون اليوم منى ؟

شمر : نحن لا نطلب شيئاً غير رأسك

عمر : أو فسر فى ركبنا نحو الأمير ابن زياد

الحسين : فإذا استسلمت للموت أتعفون صغارى و نسائى و الرجال الآخرين ؟

عمر : فلتستسلم

الحسين : أنا ذا أمامكم خذونى عنوة إن تستطيعوا
فلتقتلونى إن قدرتم
و اسقوا النساء الظامئات
و أطفئوا عطش الصغار الأبرياء

زينب : (منتفضة) لا بل فداؤك كل ما فى هذه الدنيا الدنية
من صغار أو نساء
إنا احتملنا فوق ما يتحمل الجبل الأشم
لكى نصونك
لا بل يموت الكل دونك
أتموت أنت ؟
لا بل فداؤك كل ما طلعت عليه الشمس يا رجل الحقيقة
من ذا إذن يمشى بنور الحق فى سود الليالى الداجية !؟
من ذا يهب إذا ادلهمت غاشية .. ؟!
فى كبرياء الشر يحترق المساكين الضعاف و يصرخون
فمن يجير ؟
لا كانت الدنيا و لا كان الزمان إذا انتهيت
بالله ما طعم الحياة و ما انتفاع الناس بالدنيا

إذا قتلوك أنت ؟
لا بل تعيش على المدى ..
و تظل أنت إمامنا المرجو أنت
(تكاد تبكى)
من ذا لأهل البيت بعدك ؟
من يطعم الفقراء خبزك ؟
لا كانت الدنيا و لا كان الزمان و لا الوجود إذا فنيت !
(باكية) لا بل نموت جميعنا عطشاً و صبراً يا أخى
و تعيش أنت !

الحسين : لِمَ تبكين رعاك الله يا أختى ؟ اسكتى
أدميت قلبى ... (صمت)
لن أسلِّم

زينب : دمعات أطفأت لى يا أخى حر جهنم ..

سكينة : و أنا جفت دموعى يا أبى من ظمأى
آه لو ترجع بى الآن إلى منزل جدى

عمر : فلتستسلم

سكينة : يا أبى قد يبست منى عروقى
و أنا أحلم بالماء .. لقد كدت أجن ..

زينب : فلتمصى هذه (تعطيها حصاة)

سكينة : قد مصصنا حصوات الأرض يا عمة لكن دون جدوى

عمر : أنت إن أسلمتنى نفسك تسلم يا حسين

أصوات النساء : العطش .. العطش
نحن ظماء .. نحن ظماء
جف الحلق و ما من ماء
فى جوفى اللهب .. أما من ماء ؟!
العطش .. العطش !!

عمر : (للحسين) فلتستسلم !

صوت طفل : أنا عطشان
أنا عطشان

النساء : العطش .. العطش ..

سكينة : جرعة ماء أمنح فيها نصف حياتى

عمر : فلتستسلم نسقِ صغارك و النسوة

الحسين : يا رب العرش
(صارخاً مندفعاً فى التيه) ... العطش ... العطش

عمر : أنت المسئول عن الأطفال إذا هم ماتوا فى العطش

سكينة : حفرنا الصخر
و بعض الصخر يلين فيخرج منه الماء !

زينب : قلب الظالم ليس يلين
أقسى من كل الأشياء

سكينة : أما فيهم رجل مسلم ؟

زينب : (صارخة) وا جداه !! وا جداه .. !

الحسين : مهلاً أخية فالبكاء طويل

النساء : العطش .. العطش

عمر : فلتستسلم نسق صغارك و النسوة ..
سيموتون هنا عطشاً
و تأبى أنت و تستكبر
أنت المسئول أمام الله إذا هلكوا

سكينة : يا أبى قد صار قلبى كشموع
يتساقطن على وهج الظمأ
فلتعد بى يا أبى الآن إلى منزل جدى

الحسين : لا تقولى بعد ما ينقص قدرك ..
(لزينب) أسكتيها يا أخية

زينب : سترانا مثل ما تطلب منا و نحب

سكينة : لسانى يلتصق بحلقى ... عروقى يبست يا عمة

الحسين : (ضارعاً) يا رب اكشف عن أهلى تلك الغمة
يا رب لمياه الراحة أوردنى
لمراع خضر أربضنى
فلترحمنى ...

عمر : (صارخاً) فلتستسلم

الحسين : أما بعد فقد أعذرت

عمر : لن نسمع شيئاً يا ابن على

الحسين : ختمت مطامعكم على أسماعكم
ملأ الحرام بطونكم

عمر : فلتبايع ليزيد ثم قل كيف تشاء
نحن بايعنا جميعاً فلماذا لم تبايع أنت وحدك ؟
ألتمتاز علينا ؟
لستَ أغنانا و لا أفضلنا
إنما أنت فقير
و لهذا ثرتَ كى تنتزع الثروة منا
إنما تخرج عما شرع الله لنا ..
إنما تدعو إلى تعطيل أحكام كتاب الله فينا يا رجل

الحسين : أأنا عاص لرب العرش ؟ فيما جئت أدعوكم إليه
من صلاح و مساواة و عدل ...

عمر : رفع الله بنى آدم بعضاً فوق بعض
درجات يا حسين
فلماذا قمت تدعو للمساواة إذن ؟
هكذا نغدو جميعاً فقراء ...
و يصير الكل فى البؤس سواء ..

رجل : كيف يغدو و هو يدعونا إلى هذا إماماً و أمير المؤمنين ؟

الحسين : يا عصبة الأثام كيف تحرِّفون ؟
يا نابذى الكلمات يا من تسقطون على المنافع كالذباب
أوَ بعد ما قد حرر الإسلام روحكم فسرتم فى الهداية
تستعبد الشهوات قلبكم و تدفعكم إلىِ طرق الغواية ؟
سحقاً لكم من غادرين مكذبين مضلـِّلين مضلـَّلين
أنا ما أتيت سوى لأنصركم ..
فهل أنتم بهذا خاذلىِّ ؟
و لكى أزيح عن الرقاب الشم أغلال الطغاة
أنا ما أتيت سوى لأملأ كل دار بالمحبة
و لأملأ القلب المفزَّع بالمودة و السكينة
ما جئتكم إلا لأرفع عنكم حيف الولاة
إنى أتيت أزيل آزفة الخطوب عن الضمائر
و أزيح أطباق الظلام عن البصائر

إنى أتيت لكى أرد الهول عن باب المدينة
إنى أتيت لأنقذ البسمات قد خُنقت على وجه الصغار
فلتنظرونى من أكون و من يكون مضللوكم ؟
يا خاذلىَّ و قاتلىّ لكى تقووا قاتليكم
أدعوتمونى كى أقوى ظالميكم ؟
أدعوتمونى كى أزل و كى أبيع حقولكم ؟
أدعوتمونى كى أبايع للظلوم المستبد ؟
يأبى علىَّ الله هذا و الحجور الطيبات
و دعوة الحق المصونة
و مصارع الشهداء من آبائكم
و ملاحم السلف العظيم
عهدٌ علىَّ إلى أبى و إلى النبى و لن أخونه
أن آخذ الحق الهضيم و أقهر الجور الغشوم
ألا أنام عن المظالم
أن أنصر العدل المطارَد
أن أحمى الضعفاء من بطش العتاة الأقوياء
أن أفضح الزيف المهين و إن تحصن بالعروش
و إن تقنــَّع بالغمام
أن أسحق الكذب المعربد
فإذا أبيتم أن تموتوا فى الكرامة و الإباء
و رضيتم عيش الذليل المستضام
فالله فيكم ..
رب فاحبس عنهمو قطر السماء

عمر : ها نحن نشرب يا حسين و أنت ظامئ

الحسين : مزقهم إرباً .. كما مزقت عاداً أو ثموداً

شمر : بل إننا لـَمُمزقوك

الحسين : فرقهم يا رب تفريقاً
و لا تجمعهم إلا على نهج الصواب

عمر : لا بل تفرق عن أبيك رجاله
و مبايعوك مُسَلِموك

أصوات النساء : العطش .. العطش

عمر : فلتستسلم

الحسين : أنا ذا أمامكم .. فماذا تبتغون سواى
فلترموا علىَّ نبالكم
و اسقوا النساء الظامئات

اسقوا الصغار الأبرياء

عمر : و جدك ليموتن جميعاً من ظمأ إن لم تستسلم ..
فاستسلم !

الحسين : أنا أستسلم ؟ يا للكلمة .. !!
أنا أستسلم .. !!

زينب : (صارخة فى فزع) أبداً .. أبداً .. لا تستسلم

الحسين : ما يبغى القوم سوى رأسى
و أنا الميت .. أنا ذا الميت .. فامضوا عنى
فأنا سأحاربهم وحدى
و انجوا أنتم

زينب : لا تستسلم

سكينة : إنى أستحلفك بجدى .. لا تستسلم

زينب : بجرح أبيك يؤج دماً فى أرض الكوفة لا تستسلم
بشرف الكلمة لا تستسلم
بعمك حمزة لا تستسلم
بعزة دينك لا تستسلم
بذكرى جدك لا تستسلم

عمر : فلتستسلم
سيموت صغارك فاستسلم

شمر : سيموت نساؤك من عطش .. فلتستسلم

سكينة : (مفزعة) أبتِ كلا لا تستسلم

(زين العابدين يأتى مندفعاً شاهراً سيفاً)

زين العابدين : أو لسنا نحن على الحق ؟ ..
سنموت فداءك يا أبتِ

الحسين : أنت مريض .. عد لفراشك يا ولدى

عمر : سيموت صغارك يا مسكين
فإن أسلمت لنا أمرك

شمر : سقينا النسوة و الأطفال

عمر : و عدتم من حيث أتيتم

زينب : (للحسين) أَلِنَسْلَمَ نحن تستسلم ؟!
فإذا استسلمتَ فمَن يَسلم !؟

الحسين : (وحده فى التيه) إنى أعوذ به تعالى
أن أضل على هداه
أو أن أحس بحاجة و أنا أعيش على غناه
أو أن أضام و أمر هذا الكون له !!
(يأخذ بيد ابنه زين العابدين و يتجه إلى الخباء)
(مسرعاً) ابنىَّ زين العابدين .. أدخل فنم ..
و الله يرعانا بلطفه

زين العابدين : قد كان جدك يا أبى يحمى رسالته بسيفه ..

(يدخلان إلى خباء النساء)

عمر : سلِّم .. سلم

أصوات النساء : لا تستسلم

زينب : بشرف الله خرجت بنا لتدافع عنه لا تستسلم

أصوات النساء : لا تستسلم

الحسين : (يعود منفجراً شاهراً سيفه)
هذا سيف رسول الله تقلدته
سيف زلزل ركن الباطل
سيف فجر عصر العدل

(يسقط سهم على المرتفعات)

عمر : إنى لأول من رمى فلتشهدوا عند الأمير
(لشمر)
أبلغه أنى جاهِد فى أن أبيد بنى على

برير : و أبوك أول من رمى بالسهم فى الإسلام
يا لك من شقى

زهير : قـُضى الأمر أتأذن لى فأبارز يا ابن رسول الله

الحسين : لن نبدأهم بمبارزة حتى يدعو داعيهم

(تتوالى السهام على المرتفعات)

ابن عوسجة : توالت رسل القوم إليك فرد تحيتهم بالمثل !

برير : يا ابن سعد لِمَ أرسلت النبالا ؟

نافع : هكذا استعجلتَ و الله القتالا

الحسين : كفَّ هذا النبل عنا يا ابن سعد فنصلى
أم ترى تمنعنا حتى الصلاة ؟

شمر : صلِّ كما شئت فلن يقبلها الله تعالى

سعيد : و صلاتك تُقبَل يا خمَّار
أصلاة إمام الحق الصالح
لا تُقبَل يا ابن المعزى ؟

زهير : أترى تأذن لى يا ابن رسول الله أن أبرز له ؟

الحسين : (حزيناً) احتسب نفسك لله و سر
(فجأة صارخاً)
يا صديقى لا .. انتظر .. لا .. انتظر

برير : بأبى أنت و أمى لِمَ هذا الانكسار ؟
لِمَ هذا الحزن من فوق محياك النبيل ؟

الحسين : أخاف عليكم إذا ما ذهبتم
و أنتم هم القلة الصالحون
أخاف على النور أن ينطمس
أخاف على الحق أن يندرس

ابن عوسجة : ألسنا على الحق يا ابن الرسول ؟

الحسين : بلى و الذى خلق الكائنات
و ما من ملاذ سوى رحمته

برير : إذن لا نبالى بما قد يكون
و نحن نصير إلى جنته

الحسين : لا بل دعونى وحيداً هنا
و عودوا إلى أهلكم سالمين
لكيلا يبيد رجال الحقيقة

لكيلا يضل مريدٌ طريقه
فيخلو بعد طريق الرشاد من العارفين
و يقفر بعد رحاب العدالة من جندها الخلـَّص الحارسين
دعونى وحيداً أواجه قضائى
و ألقَ مصيرى رضىًّ الضمير
فأول أيامى الصالحات كتاب علىَّ كيومى الأخير

برير : فكيف نواجه أولادنا و هجس العقول
و ومض العيون ؟

سعيد : نـُسـَلـِّم رأس الإمام التقى و نمضى لأولادنا و النساء ؟

بشر : فلا و أبيك إلى أن نخوض إلى المعتدين
بحار المنون

زهير : فلا و شموخ النفوس الأبية

نافع : فلا و إباء الأنوف الحمية

سعيد : فإن لم نصنك بأسيافنا
و إن لم تحصِّنك أجسادنا
منعناك منهم بأشلائنا

ابن عوسجة : فإن جهادهم عند ربى مُثاب لديه بأجر الجهاد

الحسين : فلتذهبوا لقتالهم ... فلتذهبوا ..
نادوا الرجال و قاتلوا

(ينصرفون و يبقى وحده)

الحسين : (مستمراً على ربوة وحده) :
فأنا الشهيد هنا على طول الزمان
أنا الشهيد
فلتنصبوا جسد الشهيد هناك فى وسط العراء
ليكون رمزاً دامياً
للموت من أجل الحقيقة و العدالة و الإباء
قطراته الحمراء تسرح فوق أطباق السحب
كى تصبغ الأفق الملبد بالعداء
ببعض ألوان الإخاء
من قلبى الدامى ستشرق روعة الفجر الجديد
من حَر أكباد العطاش سينبع الزمن السعيد
طوبى لمن يعطى الحياة لقيمة أغلى عليه من الحياة
طوبى لأبناء الحقيقة أدركوا أن الإباء

هو الطريق إلى النجاة
و تذكرونى دائماً
فلتذكرونى كلما استشرت طواغيت الظلام
و إذا عدت كسف الجوارح فوق أسراب الحمام
و إذا طغت نـُوَب الحروب على نداءات السلام
و إذا تمطــَّى الوحش فى الحقل الندى
يلوك أحشاء الصغار
و إذا طغت قطع الغمام
على وضاءات النهار
و إذا تأجج فى النجوم بريقها تحت العواصف
و إذا تمزق آمن تحت المخاوف
و إذا مشى الفقهاء مخذولين
يلتمسون عطف الحاكمين
و إذا انزوى العلماء خوفاً من صياح الجاهلين
و إذا أوى الضعفاء للأحلام يقتاتون بالأمل الحزين
و إذا دجا ليل الخطايا
و إذا تبجحت الدنايا
و إذا الفضائل أصبحت خرساء عاجزة و صوت الشر صداح مبين

(يندفع خارجاً بسيفه)

المنظر الثالث

(المنظر السابق نفسه . يوم جديد فى كربلاء و الشمس تتوهج على الصحراء و التلال و الرمال تتوقد و فى الجو شئ كالدخن من عنف الحرارة)

شمر : (متجهاً إلى خيمة عمر) أين بالله عمر ؟
يا أمير الجيش فكر و تدبر
قل لنا ماذا عسى نصنع فى جيش الحسين ؟
إنـهم كالجن لا يبرز منـهم واحد للحرب إلا صرع العشرين منا

أسد : (يقبل خلفه مذعوراً) إنـهم مثل الأسود الضارية
تحطِم الفرسان منا عن يمين و شمال
تثب الآن على الموت كأمثال الفحول النازية
فهى لا ترغب فى المال و لا الأمن و لا ترضى بما دون المنية

شمر : ما رأينا مثل هذا فى قتال

(يخرج عمر من خيمته و يقف تحت الظلال)

عمر : إنـهم سبعون لا غير .. خسئتم !

شمر : مع هذا فهم قد قتلوا منا مئات شر قتلة

عمر : ليس فيهم من فتى إلا و فى أحشائـه
من برحاء الظمأ الحارق جمر

أسد : إنـهم قد روَّعونا .. فتدبر يا عمر

شمر : إنـهم لو بارزونا هكذا فرداً لفرد
لأبادوا الجيش كلـه !

أسد : إنـهم قد ضعضعوا الجيش و قد فر الكثير

من رجال طالما قد نـُزعت أسيافهم
من قبل حتى لا يسلوها على جبارهم !
و لهذا ألفوا ترك السيوف
ألفوا أن يُقهروا

عمر : إنكم جيش كبير

أسد : إنه جيش كبير ليس يجديه الكبر
كل صنديد بهذا الجيش لا يرجو سوى أن يرجع الآن فينجو بحياته
فهو جيش جمعته سورة الأطماع و الخوف و قادت خطواته
هو جيش من دروع و سيوف و رجال كالخـُشـُب
إنهم آلات تدمير فحسب
إنها آلات تدمير و لكن .. لا رجال
مثل هذا الجيش لا يصلح يوماً لقتال أو نضال

عمر : إنه و الله آلاف عديدة

أسد : إنما ينقصهم ما تطلب الحرب من الإقدام ..
و الإقدام لا توجده غير عقيدة

عمر : كيف بالله إذن تأتى العقيدة ؟
(متقدماً إلى اليمين ليقف خطيباً فى الناس)
أيها الناس لأنتم ها هنا عدة آلاف و هم سبعون
من أهل الورع

أسد : إنهم سبعون من أهل البصائر
يستميتون على الحق يرون الموت غاية

عمر : (مستمراً) إنهم سبعون لا غير فهم صرعاكم

أسد : غير أن السيف من أسيافهم أضحى بألف

(يتقدم من كل أنحاء المقدمة رجال فى سيوف و دروع و رماح هم من جيش عمر .. عمر يقف على جذع شجرة خطيباً فيهم)

عمر : ويحكم لو أنكم بضعة ألف من خراف أو معيز
أو نعاج
لنطحتم هؤلاء العشرات
(آمراً) لا يبارزهم أحد
إنهم صرعى و إن لم يتلقوا منكم غير الحجارة
فارضخوهم بالحجارة
فهم القتلى جميعاً فى النهاية
(آمراً أيضاً) لا يبارزهم أحد !

احذروا أن تلتقوا فرداً لفرد
اقذفوهم من بعيد بالنبال
أمطروهم بالسهام
حاصروهم بالحراب
ارضخوهم بالحجارة

(يخرج بعض الرجال و وراءهم عمر)

شمر : احرقوا الخيمة يا قوم بمن فيها
فإن خفوا إليها منقذين
جئتموهم خفية من خلفهم

أسد : إن فى الخيمة أطفالاً و نساء
كلهم آل الرسول

شمر : لا تبالوا .. أحرقوها
هكذا نشغل أصحاب الحسين

الحسين : (يتقدم من عمق المسرح وحده ليقف على الهضبة بسيفه مسلولاً)

الحسين : (لشمر) ثـُكلت أتحرق بيت الرسول ؟
فتلك لـَعَمْر أبى خيمته !

أسد : أتحرق بالنار وجه الرسول ؟

شمر : و ما ضرنى أننى أحرقه ؟

(يتزايد عدد رجال عمر الذين فى عمق المسرح يحاصرون الهضبة التى عليها معسكر الحسين)

أسد : (لشمر) أتكفر ؟ ويحك ماذا تقول ؟

الحسين : (لشمر) أتحرقه ؟ لا رزقت الشفاعة
يوم تذوق عذاب الحريق

شمر : (صائحاً فى الناس)
سأحرق خيمة آل الحسين ..
فمن ذا يرافقنى فى الطريق ؟

(يخرج زيد بن أرقم من خيمة عمر مندفعاً إلى شمر بسيفه)

زيد : (يعترض شمر بسيفه) تأخر لـُعِنتَ ..
و هان المراد و شق الطريق و ذل الرفيق !

شمر : يا زيد دعنى
سأحرق خيمة أهل الحسين على أهله ..
فاصرفه ساعة عن قتالى
و أخلص بعد على قتله

(رجال مسلحون من جند عمر يحيطون بالهضبة و رماحهم مشرعة من على الهضبة .. يخرج النساء من الخيمة صائحات)

النساء : وا ويلتاه وا غربتاه .. وا وحدتاه
أنُحرَق أحياء فى دارنا ؟

زينب : (تتقدم النساء) أما فيكم مسلم ذو ضمير
يدافع عن حرمات النبى
أما فيكم واحد ذو إباء
يدافع عن حرمات النساء

أسد : (صارخاً فى شمر)
أأصبحت نذلاً يخيف النساء
ألا تستحى

(يخرج شمر)

زيد : (صائحاً وراء شمر) .. لا .. يا جبان ..
سيرضى بما دون ذاك الدعى

(رجال من معسكر عمر يصيحون و يدخلون فرحين على رأسهم الشاب 1) ..

الشاب : قتلنا ابن عوسجة يا ابن سعد فأبشر بهذا
قتلنا ابن عوسجة يا عمر
قتلنا ابن عوسجة يا رجال ..
(يخرج الشاب 1)

زينب : (و هى على مرتفع أمام الخيمة تتأمل المعركة بعيداً)
أما من معين .. أما من مجير ؟
أما من ولىٍّ .. أما من حمى ؟

زيد : (للرجال الفرحين) .. أيقتل فيكم فتى مثله
و أنتم لمقتله تفرحون و لا تستحون ؟
بماذا إذن يفرح المشركون ؟
فكم من مواقف قد خاضها و أعلى بها راية المسلمين

أسد : (حزيناً خافتاً) ..

و ما زلت أذكر أذربيجان و قد خاضها مثل ليث العرين
و كيف أتاها فدكَّ الحصون
فوا رحمتاه

رجل : (مستقبلاً فرحاً) قتلنا شباب بنى فاطمة
قتلنا بنى زينب أجمعين
قتلنا بنى حسن و الحسين
أفضنا عليهم سيول النبال
رضخنا أسُودهم بالصخور

(زينب تدخل الخيمة مسرعة و صرخات النساء تتعالى)

الصرخات : يا غربتاه .. وا ذلنا بعد قتل الرجال
وا حمزتاه !! و يا جدنا .. دماء بنيك سقين الرمال ؟

(و من ممر آخر يدخل رجل من معسكر عمر ثم يدخل العريف)

صوت رجل : و سعيد بن سعيد هو أيضاً قد سقط

(يدخل سعيد إلى الهضبة متهالكاً يكاد يسقط مستنداً على بشر)

العريف : يا ابن عمى يا سعيد .. آه لو طاوعتنى

سعيد : (لابن عمه العريف) .. هل عرفت الحب قط !
اسقنى جرعة ماء إن قدرت ..

العريف : أسفاه إن هذا الماء لا يُسقاه منكم أحد
إلا بأمر ابن زياد ..
أوصنى فيما تريد

سعيد : (و هو يسقط) .. أنا ؟ .. أوصيك بمن ؟
لست أوصيك بأولادى و زوجى
أو أبى الشيخ و لا أمى العجوز
أنا أوصى بحسين قائدى
و إمامى الصالح البر العزيز

العريف : (خارجاً) .. أسفاه (يكتم بكاءه)

بشر : أوصنى إن عشت بعدك

سعيد : أنا أوصى بالحسين

(يسقط على المرتفع و يتدحرج إلى خارج المسرح)

بشر : (صارخاً) .. أفلا جرعة ماء
فتقوينى على هذا القتال ؟

(يخرج شاهراً سيفه بينما يدخل رجل إلى المقدمة)

الرجل : قـُتل الحر الرياحىّ .. و نافع ..

شمر : (فرحاً) قد قتلنا كل أصحاب الحسين
بعدما أن قتلوا منا زهاء المائتين !

عمر : لم يعد إلا الحسين بن على و بنوه و النساء

شمر : بل قتلنا كل أولاد الحسين بن على
غير طفل واحد هو و الله مريض ..
لست أدرى ما اسمه

رجل 2 : إنه يا شمر زين العابدين

صوت الحر : (من وراء الهضبة) .. أنا ذا الحر الرياحى أموت
أوفَيْنـَا يا حسين

صوت الحسين : (من الخارج) رحمة الله عليك
أنت حقاً قد وفيت (صوت بكائه)
(يدخل النساء النادبات إلى الهضبة منفوشات الشعور)
على الشهداء يا قلبى تفطر
على الشهداء يا زمنى تحسر
على أولاد فاطمة و حيدر

عمر : (يدخل قائلاً لرجاله بزهو) :
احملوا جرحاكم و ادفنوا موتاكم
و دعوا صرعاكم أشلاء فى هذا العراء
اتركوهم للوحوش الضارية
اتركوهم للرياح السافية
و الطيور الكاسرة
و استريحوا لحظة .. ثم استعدوا للحسين
إنه جيش بأسره

أسد : (مقبلاً فى ذعر)
لمَ يا حسين خرجت .. ؟ قد أشـَّمتنا
إنى نصحتك فى المدينة يا حسين فما انتصحت
إنا قتلنا خيرنا
إنا ذبحنا الحر و هو منارة فى عصرنا

قد عاش يحلم بالعدالة و السكينة
قد كان رمزاً للمروءة و الوفاء
إنا سحقنا كل أركان الهداية ها هنا
سنعيش ملعونين من شهدائنا
يا ويلنا كيف الفرار و هذه لعناتهم حاقت بنا ؟!
يا ويلنا يا ويلنا من كل هاتيك الدماء

عمر : ماذا تقول أأنت تهذى يا أسد !

أسد : قـُتل الفتى بشر فو أسفى عليه
قتل الفتى بشر و فى أحشائه سبعون طعنة !
قد كان بشر خير فتيان المدينة لو علمت ..
إنا قتلنا شيخنا ابن مظاهر .. يا شَقوتاه !
أو لا تحس لظى الفجيعة يا ابن سعد ؟ ويلتاه !
أنا ذا قتلت برير و هو معلمى القرآن
يا عمر بن سعد
أو ما بكيت على ابن عوسجة ؟ .. أما ..

عمر : (مقاطعاً) يا شيخ أرح لا تهذِ بعد
إنا سنحمل .. فاستعد ما عاد بعد سوى الحسين

أسد : (حزيناً جداً تمزقه الأزمة)
إنى قضيتُ العمر متبعاً أباه ..

عمر : و غدرتَ بعد أبيه به
فغدوتَ أدنى الصالحين إلى بلاط معاوية

أسد : (منفجراً) قد كنت أحسب أننى سأفيدهم
لكننى أغرقتُ فى آثامهم !
و اليوم ها أنذا أراكم تقتلون ابن الصديق
و لا سبيل لنجدته
اليوم أتركه ليُقتــَل .. ويلتاه !!
(يتحرك ليخرج و عمر يتبعه محاصراً)
أنا فى المدينة قد نصحته

عمر : (حاسماً) قسماً برب العرش
لن يجتز لى رأس الحسين سواك أنت ..
أم سوف تنجو أنت من دمه الزكى
لكى أبوء به أنا .. ؟
لا بل سيلعننا الجميع على السواء فلست وحدى إن لـُعنتُ
أأكون وحدى حين تـُجزَى السيئات ؟
لا بل أكون أنا المميَّز يوم أخذ الأعطيات
(فى اختيال و شراهة و عصبية تتزايد)

فأنا أمير الجيش وحدى ها هنا
سيكون مُلك الرى أو جرجان لى وحدى أنا
سيكون لى وحدى خراجهما معاً
إنى سأجعل منهما مُلكاً كبيراً رائعاً ضخماً بحق
مُلك سيقصر دونه أحلام من غصبوا الإمامة و استبدوا فى دمشق
مُلك جديد مستقل
و أنا عليه أنا ابن سعد
و الكل يعرف قدر سعد فاتح الدولات ركن الدين
سيف الله ذى المجد المؤثل

النادبات : (يعبرن المسرح على الهضبة و زينب و سكينة تظهران أمام الخيمة)
يا ويلاه على ابن على يا ويلاه
يا وحدته وسط عِداه
يا ويلاه
بيده سيف رسول الله
يحاصره أعداء الله
يا ويلاه
يا ويلاه على العطشان
و الماء يسيل بكل مكان
يا ويلاه

سكينة : يا غربته وسط رجال يملك قلبهم الشيطان

زينب : (مولولة) .. يا غربته وسط عِداه
فلتحرسه عين الله
يا ويلاه
يا ويلاه على عطشان أبوه على الحوض الأعظم
يا ويلاه .. يا ويلاه !

النادبات : ارحمنا .. يا رب ارحم
يا ويلاه .. يا ويلاه
نحن عطاش يا ويلاه

(الحسين يدخل و سيفه مسلول متجهاً إلى الخيام و هو منهك ، معذب من الألم)

الحسين : (لزينب) .. أسكتيهن بحق الله

زينب : يا ويلاه .. و وا بعداه ..
وا جداه .. يالله

الحسين : أسكتيهن بحق الله
(للنساء اللواتى خفتت أصواتهن قليلاً و أسرعت ايقاعاته الفاجعة)
أسكتن قليلاً .. و ستبكين كثيراً ..

النادبات : يا ويلاه .. يا ويلاه
ارحمنا يا رب ارحم

(يخرجن و قد خرج الرجال من المستوى الأول و لم يعد فى المسرح كله إلا الحسين و زينب و سكينة على المرتفعات .. ثم الوهج)

زينب : قد نشأنا يا أخى فى الحزن .. فالحزن كتاب العمر كله

الحسين : إنما الحزن طويل و ثقيل و وبيل

سكينة : أنا لا أعرف و الله
لماذا كلما حلـَّت بنا الأحزان
زاد الله أفراح أمية ؟

الحسين : حكمة لله دقت يا أخية !

زينب : كان جدى هو أيضاً مبتـَلـَى بالحزن
حتى عندما ينصره الله بإحدى الغزوات !
لم يكن يشرب كأس النصر إلا مترعاً بالدمعات ..
يوم بدر يوم تلك الفرحة الكبرى ابتلاه الله فى أحد بناته

الحسين : (حزيناً جداً) .. يومها ماتت رقية !

سكينة : إننا بيت حزين يا أبى ..
فلماذا كـُتِبَ الحزن على بيت النبوة ؟

الحسين : إن هذا لقضاء الله فينا
و بهذا طهَّر الله القلوب المؤمنة ..
إن جدى لم يكن يعرف زهو المنتصر
كانت الحكمة أن يشغله الله تعلى بالعِبَر
فهو مهما يغدق الله عليه فهو من بعد بَشَر

(يظهر عمر فجأة و معه رجاله)

عمر : اهجموا الآن فهو مشغول بأهله ..
فهو إن يفرغ لكم لا يعرف الواحد منكم كيف ينجو ..
أمطروه بنبال لا تـُعَد ..
إنكم و الله آلاف كثاف و هو فرد !

(يخرج بعض رجال و تتساقط النبال على الهضبة)

الحسين : (منتفضاً)

يا ابن سعد .. يا ابن سعد ..

أسد : فلتكفوا النبل عنه
ربما استسلم يا قوم و جُنــِّبنا قتاله

الحسين : يا ابن سعد قطع الله تعالى رحمك ..
أنا أدعو الله أن تـُذبَح بعدى فى فراشك

عمر : أفلا استسلمتَ لى ؟ يا ابن على ؟
كل أصحابك ماتوا
كل إخوانك .. أبنائك .. أبناء أخيك
كلهم ماتوا .. و ما عاد سواك !
يا حسين .. أنت فرد
ما عسى يصنع فرد واحد واجه آلافاً كثيرة ؟

الحسين : أنا أدعو الله أن يمسخكم
أأنتم يا أجرأ الناس على الله قروداً
و خنازير حقيرة
سلط الله عليكم ظالميكم

أسد : اتركوه لحظة ..
(لعمر) أتركه قد يستسلم الساعة لك
(للحسين) أفلا تنجو بنفسك ؟
فلتبايع و لتعد من حيث جئت
فلتعد .. لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد
إنه الموت كما شاهدته الآن فعد ..

الحسين : " سأمضى و ما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً و جاهد مسلماً
و داس الرجال الصالحين بنفسه
و فارق مثبوراً و خالف مجرماً
فإن عشتُ لم أندم و إن متُ لم أُلــَم
كفى بك ذلاً أن تعيش و تــُرغَمَا " (1)

عمر : (للرجال) اذهبوا عنه إلى أن تسمعوا أمرى إليكم
فأفيضوا بسهام و نبال و رماح

(يخرج عمر و أسد و الرجال و لا يبقى إلا الحسين و زينب و سكينة على الهضبة)

الحسين : (شاهراً سيفه) .. إيه آل البيت قد آن الرحيل
حان و الله الوداع

سكينة : فهو و الله فراق لا يُرجَّى بعده العمرَ لقاء !!

زينب : هكذا تـُسلِم للموت حياتك (تتماسك بجهد)

الحسين : فإلى مَن أتكل ؟ (يتحرك)

سكينة : (صارخة مروعة) أبتِ لا .. كيف ترحل ؟

الحسين : لِمَ لا يذعن للموت فتى ليس له مَن ينصره ؟

زينب : (تنهار فجأة) .. وا حمزتاه .. وا حمزتاه ..
وا أبتاه .. وا أبتاه !

الحسين : (مستمراً) أمِ ترى أستسلم الآن فتسلمن و أسلم ؟
إنما يأبى عليَّ الله هذا يا أخية

زينب :
وا جداه .. و وا غربتاه
سكينة :

الحسين : لا تبكيا .. إن البكاء طويل

سكينة : أبتاه إنك سائر للموت مقهوراً عليه

الحسين : هو ذا مصيرى يا بنية لا فرار من المصير

سكينة : ارجع بنا لمقام جدى و انجُ يا أبتِ بنفسك

الحسين : هيهات " لو تـُرك القطا ليلاً لناما "

زينب : هيهات لو دُفِعَ المُريد عن الطريق لما استقاما ..

الحسين : (متجهاً إلى السماء) يا رب ليس لنا سواك
أنا لن أضل على هداك
أنا لن أضيع و هذه الدنيا ملاءة رحمتك
أنا لن أذل و كبريائى نفحة من عزتك

(زينب تقف ضارعة)

زينب : هو ذا يسير إلى عدو الله باسم الله معتمداً عليك
فلا تـُضِعه
ما فوق وجه الأرض من أحد
هو ابن نبيك المختار غيره

و لأنت أعلم أنهم إن يقتلوه
فلن يهابوا بعدها شيئاً .. فصُنه
هم يجسرون على الحياة
و كل ما فيها و من فيها
دعوتك .. فلتـُعِنه
يا رب ليس لنا سواك

الحسين : (مستمراً فى مناجاة الله) :

أنا ذا أخوض المستحيل إلى جلاء حقيقتك
فأضئ طريقى من أشعة حكمتك
أنا ذا شهيد الحق ضِعتُ
لكى أصون من الضياع شريعتك
لا تـُخفِ عن وجهى وضاءة نظرتك
فالمعجزات يصرن طوع يد الضعيف
إذا استعان بقوتك
إنى التجأتُ إليك يا ذا الحول و الجبروت
فارزقنى الرشاد و شُد أزرى
إنى نهضتُ أسد أبواب الضلال
فلا معين و لا نصير سوى رضاك
و لا ملاذ سوى حماك
فلا تـُضِعنى
إنى لِنور هُداك قد أسلمتُ أمرى
قد مات صحبى كلهم
و قضى بنىَّ جميعهم
و بنو أخى .. و جميع إخوانى قضوا
و بقيتُ وحدى
أنا ذا الشهيد
دعوتك اللهم ألا تـُقفِر الدنيا العريضة
من جنود الحق بعدى
(يتحرك مسرعاً إلى الخارج)

سكينة : أبتاه .. لا .. لا ..
فلتعد لى يا أبى

(يتوقف الحسين مهموماً)

الحسين : (لزينب) فلتأخذيها يا أخية ..
اذهبا إن الرحيل
(بقوة) .. قدماى ثـُبـِّتتا على قصد السبيل

زينب : (و هى تدخل بسكينة)
أسكتى لا تكسرى قلب أبيك

لا تزيديه كروباً فوق كربه
حسبه ما اعتمل الآن بقلبه
و كفاه يا ابنتى تأييد ربه

(زين العابدين شاهراً سيفه يندفع من خيمة النساء)

زين العابدين : أنا آتٍ يا أبى أدفع عنك

الحسين : إيه زين العابدين
(لزينب) أبعديه يا أخية
فعسى لا يـُقفِر العالم من نسل الرسول

الحسين : (يعانق زين العابدين)
لم يعد غيرك من نسل الرسول المصطفى يا ابنى فعد

(زينب تأخذ زين العابدين و هى تكتم بكاءها .. و الحسين يبتعد . سكينة تجهش بالبكاء)

سكينة : إنه يمضى وحيداً
سيلاقى هذه الآلاف من ذؤبان هذا الليل وحده
هو لن يرجع من بعد فكيف العيش بعده ؟
(تنفجر بالبكاء)

الحسين : (يتوقف) صبراً على الموت .. أنا ماض إلى منيتى
أخوضها مدافعاً عن أمتى
و حامياً عقيدتى
فكفكفى بنيتى
و أجملى أخيتى
(ينصرف مندفعاً شاهراً سيفه)

---

(1) أبيات قديمة ورد فى المراجع التاريخية المحققة أن الحسين استشهد بها فى أكثر من موضع .

المنظر الرابع

(الليل على كربلاء .. التيه و العراء و التلال الجرداء .. الحسين وحده يذرع المكان الموحش تحت الليل .. و القمر يضئ)

الحسين : أنا وحدى ها هنا ..
أنا وحدى و ظلام الليل و الهول و فى الأعماق
ما زال شعاع من رجاء ..
لم يعد غير الدم المسكوب فوق الصحراء
لم يعد غير الأفاعى
و فحيح الجرح و الويل الثقيل المدلهم
لم يعد إلا رياح الموت تعوى فى العراء
و سعير الظمأ المجنون فى التيه الأصم
أين أنتم يا أحبائى جميعاً أين أنتم .. ؟
أين فتيانى .. أما عاد ها غير الضياع ؟
(يذرع المكان صارخاً)
ظلمات .. ظلمات .. ظلمات
(حزيناً جداً) ها هنا يذوى الشعاع
ها هنا يُهتك عِرْض الكلمات .. !
الأفاعى ها هنا أقوى من الإنسان أياً كان فضله !
ها هنا الذئب أمير عنده السلطان كله !!
(يبحث فى التيه)
أين أنتم يا رجالى أين أنتم ؟
ما لكم لا تستجيبون و قد كنتم سراعاً إن دعوتُ
يا سعيد بن سعيد أين أنت ؟
يا برير أين رحت .. ؟
كيف يا بشر قضيت ؟!
أيها الحر الرياحى .. حبيب بن مظاهر ..
يا زهير .. يا أخى مسلم .. يا مسلم يا ابن العوسجة ..
أين أنتم .. ؟ أين رحتم ؟
أين أبنائى و أبناء أخى ؟

و بنو أختى .. ؟ و إخوانى جميعاً ؟
أين أنتم أيها الفتيان .. فتيان الطريق ؟!!
لم يعد منهم سوى لفحة حزن كالحريق
لم يعد إلا الدم المسكوب فوق الصحراء
و رءوس عمرت بالعلم و الحكمة و التقوى
و أحلام العدالة
تتهاوى فى العراء
و قلوب نبضت فيها النبالة
نثروها للوحوش
آه كم يحتمل الإنسان فى دنياه هذى و يعيش !!
يا لهذا الهول كله !!
كيف تقوى هذه الأرض على حمل كهذا
و هى لم تندك بعد ؟
يا لهذا الليل يستلقى على صدرى بثقله !!
كل هذا الروع يا ربى
و لم تسقط على الأرض السماء ؟!
(بمرارة شديدة) كل هذا يا إلهى
و يظل القمر الباهر يلقى بالضياء ؟!
و نسيم الليل يسرى ..
و النجوم الزرق تلمع ؟!
و تظل الشمس تسطع ؟!
(يتجول)
يا إلهى .. كل هذا الدم و الناس عطاش ؟!!
آه يا ضيعة من عاش لكى يبكى كل الأصدقاء !
آه يا وحدة من مات محبوه و عاش !
(يتجول أيضاً) أين أنتم كلمونى ..
أين أنتم .. ؟
أنتم يا أحكم الناس حديثاً عندما يعلو الغناء
حدثونى أنتم يا من ملأتم هذه الدنيا ابتساماً
و عزاءً و سلاماً و حنيناً و كلاماً
أه من بعدكم للعدل و الحكمة و الحق و وا حزن
اليتامى و الأيامى !
يا سعيد أيها الضاحك قم ..
لِمَ ما عادت تدوى ضحكاتك ؟
أين راحت حكمتك ؟
أصبحت حكمتك الباسمة الشماء قوتاً للبلى
أيها الحر الرياحى الجسور
أنت ذا صرتَ لـَقـَى
و غداً تمشى على هامتك الحرة أسراب الهوام
يا حبيب .. يا برير ..
شيخ قـُراء العراقين ألا تسمعنى ؟!
يا زهير .. مسلم انهض ..
أيها الشيخ الذى شاهدر بدراً و حُنيناً

بشر ! وا ويلاه إذ أندب بشراً ..
(بسرعة مذهلة و هو يدور فى التيه)
يا سعيد .. يا برير .. يا حبيب .. يا زهير ..
كلمونى
مسلم انهض
نافع فلتنتفض
(منهكاً خافتاً جداً) كلهم قد غالهم غول الردى !!
و أنا وحدى هنا (يتهاوى باكياً)
ليت هذا الدم إذ سال على هذا الدجى
ليته يصنع للعالم فـَجْره !
(منتفضاً)
ما لهذا الدم لا يصنع فجراً !!
ليته يغدو على الأعداء طوفاناً و هولاً و ضراماً
ليته يصنع للدنيا السلاما
(خافتاً) يا أعزائى .. لقد أصبحتُ وحدى
أنا وحدى و ظلام الليل و الهول
و فى الأعماق ما زال شعاع من رجاء
لم يعد من بعدكم غيرى على هذا السبيل
(حزيناً) لم يعد من بعدكم إلا الرحيل
(صارخاً فجأة)
إيه يا أيتها الأرواح فى هذه الضنى الداجى الثقيل المترامى
أنت يا من تعبر الليل الحزين
إيه يا أيتها الهائمة الحيرى على جسر القرون
(متصاعداً) إيه يا أرواح آبائى و أسلافى العظام
اصرخى كى ينهض الغافون فى وجه المظالم
ارفعى فى كل أرض نالها الجور لواء الشهداء
اجعلى من هذه الأشلاء رايات لظى مشتعلة
تحرق الظالم و الراضى بالظلم معه
و تذكى النار فى قلب الخنوع المستكين ..
اجعلى صيحتنا بوقاً يدوى ليثير الغافلين
اجعلى أشلاءنا رايات حق دامية
تصبغ الدنيا بلون الدم من عصر لعصر
أنثرى الأشلاء فى وجه الرياح العاتية
تحمل النقمة للظالم و اللعنة للساكت عنه
و تبث الندم الفاجع فى أعماق مَن صفق له
فليكن هذا الدم المسفوك تياراً من اللعنة ينساب بموج كالجبال
كاسحاً من ضل عن عمد و صناع الضلال
اصرخى من شاطئ الأعراف بالباكين
فى وادى الدموع
لا تنوحوا .. بل خذوا ثأر الذى يـُظلـَم منكم
و الذى يُقتل ظلماً بينكم
فهو ثأر الله فيكم فاطلبوه
إيه يا أرواح كل الشهداء

ذكــرِّيهم أننى ما زلتُ ثأر الله فيهم
(فى عمق فاجع) أنا ذا عشتُ شهيداً
لِمَ لا أقضى شهيداً ؟
أنا ذا أمضى وحيداً
ليست العبرة فى قتل الحسين بن على
إنما العبرة فيمن قتلوه .. و لماذا قتلوه
أنا ثأر الله فيكم .. فاطلبوه !!
(يخرج مسرعاً بالسيف و نسمع صليل سيوف ثم يقبل رجال مفزعين)

الرجال : أنا مالى بالحسين
- إن من يقتل أبناء النبيين لكافر
- أنا لن أكفر فى آخر عمرى

عمر : (داخلاً فى فزع و وراءه شمر)
إنه يحمل سيف الله يا قوم
فلا حيلة و الله لكم ..

شمر : ما أرى فى الجيش مَن يثبت له !

(رجال آخرون من جيش عمر يقبلون مذعورين)

رجل : نحن لا نقوى على هذا فدعنا
و تقدم أنت له !

شمر : كلهم قد فر عنه
فتدبر يا ابن سعد .. إنه يفلت منا ..

عمر : (صارخاً فى فزع لشمر) قســِّم الجيش ثلاثاً
فرقة تقذف بالنار عليه

رجال : أنت تدعونا على قتل النبى

عمر : (مستمراً) ثم أخرى للنبال
ثم أخرى للرماح
(يروح و يجئ صارخاً فى رجاله)
لا يبارزه أحد
لا يبارزه أحد ..
اقذفوه من بعيد بسهام و نبال و رماح .. (يخرج الرجال جميعاً)

أسد : هكذا يصبح هذا الجيش و الله كوحشى
و يغدو هو حمزة ..

عمر : (مستمراً فى فزع) و ارضخوه من بعيد بالحجارة

شمر : أرسلوا النار عليه و الحجارة

أسد : (على مرتفع) إن فى أحشائه عشرين رمحاً
و هو يضرب
(يضع وجهه فى كفيه)

عمر : (للجيش) أرسلوا أيضاً سهاماً و رماحاً أخريات

شمر : عذبوه .. فليعـذَّب .. فليعذب

عمر : (منهاراً) فليعذب شر أنواع العذاب
ارشقوه برماح و حراب

(يدخل زيد بن أرقم منهكاً مروعاً)

زيد : (يتماسك بصعوبة) هو ذا يسقط فى الأرض
جريحاً .. أسفاه

الرجال : ويلتاه .. ويلتاه ..

زيد : كيف بالله سننجو من عذاب الله فى يوم الحساب

أسد : آه لو أقوى على إنقاذه الساعة آه

شمر : (شاهراً سيفه على أسد)
فلتحاول يا أسد

أسد : (يكمل) كيف بالله سننجو يا عمر
حين نأتى الله يا ويلى شفيعانا يزيد و الدعىّ
ثم يأتيه الحسين بن على و شفيعاه تـُقـَاه و النبىّ
ويلنا .. يا ويلنا أيَّان إذ ذاك المفر !؟

عمر : (صارخاً) بل لك الويلات وحدك
لا تـُعِد ذِكْر يوم الحشر .. ويحك

شمر : (فرحاً) الحسين بن على خر و الله صريعاً

زيد : هلك الناس جميعاً

أسد : (يخفى وجهه فى يديه) .. يا لعارى الأبدى ..
ليتنى أقوى على إنقاذه

عمر : (محتداً لأسد) اذهب الآن لكى تجتز رأسه !

أسد : (صارخاً) أفتنجو أنت من قتل الحسين بن على
عندما أؤخذ عند الله به ؟

عمر : اذهب الآن فعلـِّق رأسه من فوق حربة

شمر : (لأسد مشيراً لعمر) : إنما هذا أمير الجيش
يا شيخ امتثل إذ يأمرك

عمر : فإذا خالفتَ عن أمرى فلن أرحم رأسك !

(أسد يتجه إلى ما وراء المرتفع و يختفى مسرعاً .. و أنين الحسين يرتفع)

صوت الحسين : أأُقتـَل مظلوماً و جدى محمد ؟
و أذبح عطشاناً
أنا ابن الذى روى جميع عِطاش الأرض
أنىَّ رآهم ؟
و أترك مهتوكاً و أمىَ فاطمة

(تندفع زينب مفزعة على صوت الحسين .. و تخترق المكان إلى عمر ابن سعد فتواجهه و لكنه يستدير و لا يستطيع النظر إليها)

زينب : يا ابن سعد .. يا ابن سعد .. أفلا تسمعنى
فلتجبنى يا عمر
الحسين ابن نبى الله مقتول و هذا أنت تنظر !
أفلا تنقذه ! إنك أدنى الناس له ؟!

عمر : (صارخاً بانهيار للرجال وراء المرتفع)
وطـِّئوا أفراسكم صدر الحسين !
وطـِّئوا أفراسكم ظهر الحسين !
اقطعوا رأس الحسين .. فلتعجل يا أسد
لا تخر يا أيها النذل ! و لا ترجع لنا من غير رأسه !

زينب : (صارخة فى يأس هائل ..)
قتلتك الصاعقة
شردت أهلك من بعدك أهوال الرعود البارقة
سلـَّط الله عليكم نقمته

أسد : (يأتى مسرعاً مرتعداً) لا .. كفى
لا تـُشْتـرَى الدنيا بما فيها برأس ابن النبى !
إنه حدق فى عينى يا ويلى

فلم أبصر سوى عين النبى
قد نظرتُ الآن فى عينى رسول الله
لا .. لا يا عمر
لا .. معاذ الله أن ألقاه مأخوذاً لديه يا لحسين !

شمر : (لعمر مُعَرِّضاً بأسد) إن هذا خائر لا يؤتمن !

عمر : لم يزل فى قلبه الهش بقيات ولاء لعلىّ

شمر : فلتـُوَجِّه غيره

عمر : (للعريف الذى يقف أمامه فى مستوى أدنى مع بعض رجال)
فلتعجل أنت ..

العريف : أأنا ؟ أنا و الله عريف ..
تاجر حر شريف

عمر : أنت ؟

العريف : و أنا حتى إذا طـَّففتُ فى الميزان و الكيل
فإنى لستُ إلا تاجراً غير شريف
أو فقل غير نظيف
غير أنى لستُ و الله بقاتل !
لستُ جزاز نفوس بشرية !
ثم إنى أيها القائد لم أخرج لهذا أو لمثله
بل لكى آخذ مالاً من أمية
فدعونى .. إنكم فى هذه الحرب قتلتم
آثر الناس لدىّ
و أعز الخلق و الله علىَّ
وا شقائى بعد أن مات ابن عمى
(نائحاً) وا سعيد بن سعيد !

عمر : لك ما شئت من المال إذا جئت برأس ابن على

العريف : (وجلاً) ما انتفاعى بعد هذا بكنوز العالمين !

عمر : و إذن تـُقتـَل إن لم تمتثل (يخرج العريف)

زينب : (صارخة) أوَ ليس فيكم مسلم ؟ يا للرجال ..

(رجال يقفون أمامها بالرماح)

سكينة : يا ويلتاه أليس فيكم مسلم يحمى ابن بنت نبيكم من قاتليه ؟

يا ويلكم كيف الفرار من العقاب
إذا أتى يوم الحساب ؟

زينب : إنى فزعتُ إليك يا ربى فشُلَّ يد القضاء

سكينة : مَن لى على عطشى ببأس هائل كالمعجزات !
فأذود عنك أبى صروف العاديات

زينب : سطت الوحوش الناهشات على نبالات الحياة
يا ويلتا سطت الذئاب ..

عمر : فلتبعدوها ..

(يدفعونها بالرماح قرب صدرها فتتراجع)

(يأتى العريف مذعوراً)

العريف : إن فى عينيه نوراً هائلاً يصعق مَن ينظر له
آه من نظرته لى ! لا يا أمير الجيش .. لا ..

زيد : نظرات فاض منها من جلال الله
ما يجفل منه عارفوه
نظرات كشعاع الحق
تذكى الندم الخالد فيمن عنده إيمان صدق

عمر : (لرجل آخر) أفلا تذهب أنت ؟

الرجل : أعفنى من هذه قد خِرتُ و الله
فما يثبت سيفى فى يمينى
بل كفانى أن حرستُ الماء ..
حسبى أن منعتُ الماء عنه

شمر : ويحكم ماذا دهاكم ؟
إنها رأس رجل
إنها مهما تكن رأس رجل
(للرجل 1) أوَ لم تقطع طوال العمر رأساً لرجل ؟

العريف : إنها رأس ولىٍّ ما له فى الناس مِثل

أسد : (فى يأس) إنها رأس نبى الله لا رأس الحسين

زيد : أين تمضون من الله
و ها أنتم أولاء اليوم تهدون رءوس الأنبياء

للبغايا و الإماء ؟

عمر : أغدوتم جبناء .. ؟
أوَ ما فيكم فتى يقوى على رأس الحسين ؟

زينب : (فى يأسها الفاجع الهائل) يا ويلتا لك يا عمر
.. فلتسقط اللعنات فوقك بالجحيم المستعر
فلتصهر اللعنات روحك
فليهوِ لحمك فى التراب و أنت حى
قطعةً من بعد قطعة
(تنحى الحراب مندفعة)
يا أيها المجنون بالدم فليغيِّبك الجحيم
بل فلتعَذب كلما سألتْ على ذكرى شهيد الحق دمعة

زيد : ها أنت ذا تعدو على آل الرسول الآمنين
و أبوك يا عار البنين أمين أمته المكين .. ؟

عمر : (منهاراً فجأة) يا للشقاء فما احتيالى حين يأمرنى يزيد ؟!
هو ذا كتاب منه يأمرنى بقتل بنى على أجمعين
(يُخرج كتاباً من صدره و يلوح به)
يا للحسين .. و يا لآلامى ! .. و وا ندمى العظيم
إنى أُمِرتُ بأن أعود لهم به أو لا أعود
و لقد أتحتُ له النجاة بأن يبايع أو يفر
فلم يفر و لم يبايع !

زيد : لوددتُ لو أنى مكانك يا ابن سعد فأفتديته ..

أسد : يا للحسين و أهله ! يا للمصائر و المصارع !

زينب : يا أيها الملعون هل فكرتَ فيما أنتَ صانع ؟
أعرفتَ ويحك أية الحرمات يا ملعون تهتك ؟
أى الدماء الطُهر تسفك ؟!
زاغ الفؤاد فلستَ تدرك
الله أدعو أن يسوق إليك مَن سالمتهم
كى يذبحوك على فراشك

عمر : (يهرب إلى صراخ هائل)
فليُسكِت زينبَ ضبحُ الخيل
فليسكتها صوت النبل !
شدوا كلكم فوقه
شدوا و اجتزوا رأسه

رجل 2 : لن يقتله أحد منا ..

رجل 3 : نظرته شلت سيفى

شمر : لا ينظر أحد فى عينيه ..
أديروه .. فلتلقوه على وجهه ..
و سأذبحه من خلفه
(ينحدر مسرعاً و السيف فى يده و يخرج إلى ما وراء المرتفع)
أسد : (لعمر) أما و الله لو أعطيتَ مُلك أمية كله
لكان أقل مما تستحق بهذه الفعلة !!

عمر : (فى هيجان و اضطراب بين الفزع و القسوة)
أين أنجو من عذابى ؟
وطـِّئوا أفراسكم صدر الحسين
كيف أنجو ؟ .. أين .. أين .. ؟
وطـِّئوا أفراسكم ظهر الحسين ! (يخرج مُسرعاً)

زيد : فها أنتم قد قتلتم حسيناً ..
فيا ويلكم من عذاب السعير
عصيتم إلهكم ويحكم فى نفاق الأمير
قتلتم فتى هو خير الجميع
و نافقتم فيه شر الورى
قتلتم فتى جاءكم مُنجِداً
ليُصلِحَ من أمركم ما التوى
فلا و الذى بعث المرسلين بنور الهدى
لن تصيبوا هدى
فيا أمة الغدر لن تـُفلِحوا
إلى أن تتوبوا على ما جرى
(يقرع رأسه و صدره)

زينب : (مندفعة وسط الرماح)
يا ويلتا حُمَّ القضاء ! .. قتلتموه !

سكينة : (مندفعة وراء زينب) أبتاه ! وا أبتاه ..
وا جداه .. وا شهداءنا !
فلتعجلوا من كل أطباق السماء
هذا الحسين مجندل وسط العراء
عطشان ترويه الدماء
أكفانه التيه الرهيب
أبتاه .. يا ويلاه .. وا جداه ! يا ويلى عليه
ويلاه بعدك يا أبى !
(تدخل الخيمة باكية)

زينب : يا قاتلى بطل الحقيقة و التـُقـَى

يا خانقى أمل الخلاص المُرتــجَى
يا ويلكم .. أوطأتموا أفراسكم جسد الشهيد ابن الشهيد المُرتــضَى
أنتم دهستم ويحكم جسد الرسول !
و سفكتم دمه الطهور
دم الرسول المصطفى
(صارخة مروعة)
يا أيها الجسد الجليل اِصحَ .. انتفض
أبصق دماً فوق الوجوه المذعنات
و على النفوس الخاسرات
(فى أسى هائل)
يا نابشى قبر النبى و مُهْدِرى حرمات أهله
يا ماضغى كبد الشهيد
يا مطفئى نور الحضارة .. و الحقيقة و السلام
(متصاعدة) يا خانقى الأحلام ..
أشعلتم ضراوة الانتقام
يا رافعى علم النذالة
(متهالكة) يا ذابحى الإنسان و هو يعيش أحلام العدالة
(مريرة) هل فيكم مِن بعد هذا اليوم مسلم ؟
(باكية) لله يا عمر بن سعد ! (صارخة) أين رحت .. ؟
(متصاعدة) أين راح البربرى .. ؟
(مريرة) ماذا ستجنى عندما تــُهدِى رءوس الأولياء إلى البَغِىّ ؟
أخليتَ وجه الأرض ويحك من جميع بنى علىّ ؟
يا عارك الأزلىّ إذ تشرى رضاء ابن الدعىّ
بأن تريق دم النبىّ
(صارخة) جداه هل أبصرتَ قرة عينك استلقت على هذا التراب ؟
أكفانه هوج الرياح و قبره ظــُلــَل السحاب ؟
المؤمنون بما أتيت به الذين بك اهتدوا
قتلوا ابن بنتك
هى ذى الجبال تكاد تبكى دونه
لكن رجالك مزقوه !
إن الملائك يصرخون و يندبون و يلطمون
و الحور فى غرف الجنان مولولات
الطير تزعق باكيات
(للرجال) يا ويلكم من ذنبكم يا ويلكم
ويلى بكم
إن السماء تكاد تمطر بالدم
و خيولكم تبكيه و هى تدوسه يا ويلكم !!
إن الصخور تكاد تبكى بالدم المصلوب فوق ذنوبكم !!
هى ذى السماء غدت دماً و الأرض تصبغها الدماء
ماء الفرات غدا دماً
الرمل أصبح كله قطرات دم
لن تجلسوا لصغاركم و نسائكم
إلا و سال دم الشهيد أمامكم و وراءكم

جدران دوركم دماء
أركان مسجدكم دماء
أوتاد خيمتكم دماء
لحظات عمركم الزرىّ
خفقات صدركم الثقيلة
أحلام ليلكم الوبيلة
و نسائكم .. آفاقكم .. أيامكم ..
صارت دماء كلها .. يا للدماء !!
فى كل أرض أو سماء
لن تبصروا غير الدماء
سيجفف العطش المُذِل حلوقكم و عروقكم
و دم الحسين يسيل فوق رءوسكم
يغشى على أبصاركم و الثأر فى أعناقكم !!
ستظل ألوان الدماء فى الأفق
ستفيض أنهار الدماء على الشفق
سيظل من عطش الحسين صدى لهيب خالد
يأتى على الغبراء و الخضراء حتى تحترق
سيظل يلفحكم إلى أن تهلكوا
عطش الحسين سعيركم و عذابكم
و دم الحسين مصيركم
(تتهالك على آخر الكلمات) يا ويلكم .. يا ويلكم !!

(تأتى سكينة مسرعة من داخل الخيام مفزعة و وراءها نساء ممزقات الثياب منشورات الشعور)

سكينة : (صارخة) يا عمتا سطت الذئاب على الحُرم
يا عمتا إننا نـُنازَع ثوبنا عن ظهرنا
أخذ الرجال متاعنا و حُلـيَّنا
فلتنقذينى إنهم قد هددوا أعراضنا

زينب : كفوا أياديكم عن الحرمات يا شر البرايا
إن لم تكونوا مسلمين و لم تكونوا كالرجال
فلا تكونوا كالبغايا ..

زيد : (منتفضاً فى غضب رهيب)
كونوا إذن عرباً و عودوا للأصول و شاورها
أعراض آل محمد
هى بعد عِرْض قريش عِرْض معاوية
فالويل كل الويل
من غضب ابنه إن تثلموها !!

أسد : (فى رجاله) يالرجال المنجدين تقدموا
كى تنقذوا حرمات مولاكم أمير المؤمنين

أعراض مولاكم يزيد

زينب : (باكية) هل جاء يوم لم يعد فيه اسم خير
المرسلين به الكفاية للحماية ؟!
أعلَـى نساء البيت أن يتلمسوها من أمية ؟
(منتفضة للرجال)
لا تجرءون على نساء ابن الدعىّ
و هن فى غرف القصور العالية
و تهاجمون بنات خير المرسلين
و هن أدراج الضياع ..
أفتقتلون ابن النبى
و تنهبون نساءه ؟ قسماً لأنتقمن له !
ستجئ ساعة الانتقام

شمر : أنتن و الله السبايا يا بنات محمد ..
أنتن و الله المتاع
(يسوق النساء هو و بعض رجاله برماح و سيوف)

أسد : (مقتحماً برجاله شاهراً سيفه)
فلترفعوا تلك الرماح عن النساء الطاهرات ..
فإذا أبيتم يا أخس الناس إلا أن تكونوا أدنياء
فأنا و كل قبيلتى نحمى النساء

زيد : و أنا و كل قبيلتى نحمى النساء

(يتقدم أسد و زيد و رجالهما بين النساء و بين شمر و رجاله)

أسد : يا أشقياء إلى الوراء .. إلى الوراء
فمَن تقدم منكم ثكلته أمه

أصوات من الخارج : رأس الحسين يُطـَاف به ..

زينب : (تقف منهارة جداً) وا ضيعتا .. و وا ويلتا
وا ذلنا من بعد موتك !

(تدخل مجموعة من النساء ، و الرجال غير المحاربين من أهل الكوفة)

رجل : رأس الحسين يُطاف به !!

الرجال و النساء : يا ويلتا .. يا ويلتاه !!
لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
فالرأس مثواه بقلبى

زيد : (باكياً) أسفاه قد قُـتِلَ الحسين
و لم أدافع عن حماه !!

أسد : (منهاراً) أسفاه قد ذبحوا الشهيد ابن الشهيد
و نحن ننظر !

سكينة : يا رب إبراهيم أهلِكهم بنارك أجمعين

النادبات : يا رب

سكينة : يا رب إسماعيل فليُذبَح عدوك فى فراشِه

النادبات : يا رب

زينب : يا ساقى العطشان لا يروى العِطاش اليوم إلا بحر دم
إنى دعوتك فانتقِم يا منتقم
(عمر يصيح على المرتفع وحده فى عصبية)
فلتربطوا أيدى النساء لكى يُسَقنَ إلى يزيد كالإماء
فإذا صرخن و إن جرؤن على البكاء
فكمموا أفواههن
و الآن طوفوا بالرءوس على الحراب
فلتتركوا أجساد مَن سقطوا هنا فى التيه تأكلها الذئاب

(يدخل رجال و نساء آخرون يلطمون و يندبون و هم من أهل الكوفة و عمر يخرج مسرعاً كأنه يفر)

اللاطمون : لا تطلبوا قبر الحسين بشرقِ أرضٍ أو بغربِ
فالقبرُ مثواه بقلبى

سكينة : (فى مواجهة الباكين) أتبكون ؟ فلا جفت لكم دمعة
و لا رقئت لكم عبرة
لقد ضاع أبى فيكم
أتبكون ؟ فلن يطفئ دمع الأرض ما نلقاه من لوعة
فما جدوى البكاء اليوم
لا خفت لكم حسرة .. !

شمر : احملوا رأس الحسين بن على للأمير ابن زياد
فليُطـَف بالرأس فى كل الطرق
ثم فليُحمَل إلى قصر يزيد بدمشق
و لتسوقوا سائر النسوة و الأطفال لكن فوق أقتاب الجِمال

(زينب عيناها دائماً جهة الخارج حيث يطاف بالرأس تبكى فى صمت فاجع و هى منذ حين واجمة تماماً)

زينب : (من أعمق أغوار الحزن)
هو ذا يا جدنا قرة عينك
ويلنا يا ويلنا ..
أفلا ينتقم الله لنا ؟
سيضيع الدين إن لم ينتقم

شمر : أسكتوها .. أسكتوها ..

زينب : (صارخة بانهيار و هى مندفعة إلى بعيد إلى أعماق المسرح حيث يطاف من ورائه بالرأس و تتصاعد أصوات البكاء و اللاطمين و النادبات)

أخى .. أخى ..
ليت السماء كـُشِطت !
ليت الجبال سُيـِّرَت
ليت الرواسى دُكَّت
و لم تـَمُت و لم تـَمُت !!
ليت الجحيم سُعِّرت
ليت النجوم انكدرت ..
ليت البحار سُجِّرت ..
(منهارة تماماً) و لم تـَمُت .. و لم تـَمُت ..

المنظر الخامس

(الليل فى قصر يزيد بن معاوية بدمشق ، بكل مظاهر الأبهة و الغِنَى الفاحش ، إبريق خمر ذهبى و أقداح تلمع فيها الجواهر .. جارية شقراء جميلة جداً .. و يزيد يلهث كأنه يجرى ..

فى الصدر شرفة متقدمة تبدو من خلفها مناظر دمشق .. فى الحجرة عرش على درج مرتفع قليلاً

على اليسار باب عليه ستار فاخر و على اليمين باب مماثل)

يزيد : سابقينى من جديد يا فتاتى القبرصية

الجارية : لا .. أنا غاضبة يا سيدى
أنت فضـَّلتَ علىَّ الفارسيات و سمراوات مصر

يزيد : أنت و الله أحب الناس لى
(متودداً) لا تقولى سيدى
فلتنادينى يزيدى .. ! (أشد توددا ً)
إنما الليلة لكِ !

الجارية : لستُ إلا جارية

يزيد : سابقينى مثلما سابقتِ قردى

الجارية : أنت تعطى القرد أضعاف الذى تمنحنى
فلجامٌ ذهبى بفصوص باهرة
و على حُلــَّته أبهى الحُلىِّ النادرة
و أنا لا شئ عندى
و أنا ضيعتُ فى حبك زوجاً قبرصياً .. أم نسيتَ ؟

يزيد : (يُلقِى إليها بعقد يخطف الأبصار)
أتبيعين هداياكِ ؟ فهذى ثورة تكفيك عمراً ..أرضيتِ ؟

الجارية : و إذن أسقيك من كفى خمراً
(تـُدنِى القدح من فمه .. قدح كبير تمسكه بكلتا يديها .. يشرب يزيد ثم يقف فجأة)

يزيد : بل فقومى سابقينى .. (مهموماً متأملاً و مرتبكاً)
إننى أسبق قردى و أرى أنك إن سابقته لا تستبقيه
و صباح الأمس سابقتك فى البستان لكنك و الله سبقتِ
(بضيق شديد)
حِسبَة تشغل عقلى منذ أمس
(صارخاً) سابقينى .. سابقينى كى أحل المسألة
إنها مشكلة تشغل مولاكِ .. فحُلـِى المشكلة

الجارية : انتصِف لى أولاً مِن بعض أعوانك ممن حقرونى
إن فيهم رجلاً يلفح بالنظرةِ قــَدى

يزيد : كيف هذا ؟! مستحيل .. مستحيل !

الجارية : (مستمرة بدلال) و لقد يلمس نهدى

يزيد : إنما قام على أمثالهم مُلك أمية ..
إنهم أخلص أهل الأرض لى
إنهم مَن فتحوا قبرص أيام أبى ..
إنهم مَن خضدوا شوكة أبناء علىّ ..
أم هو الحقد الذى يعمل فى قلبك يا بنت الأمير القبرصى !
إن مَن حولى هم مَن أهدروا عزة قومك !

الجارية : لستَ و الله بمولاى يزيد
صاحب السطوة و الجاه إذا لم تـَحْمِنِى !
(بحذر) إننى محظية يا سيدى أو مُضحِكَة
غير أنى الآن إحدى حُرمك ..
فأنا مِلك يمينك ..
إننى مُذ ُ صرتُ فى قصرك قد أصبحتُ عِرْضك
إنهم و الله مِن خلفك يزرون عليك ..
(هامسة باستبشاع) بعضهم راودنى ..

يزيد : حددى أسماءهم

الجارية : واحد منهم يسمى أسد ..
كان يُزرى ليلة الأمس علىّ ..
بعد أن غنيتُ عندك

يزيد : أسد ؟ لا .. إنه شيخ وقور .. و وفىّ ..
جاء فى وفد العرافين برأس ابن على

الجارية : إنه طاردني .. إنه شيخ غزل
و هو و الله عدوك ..

يزيد : مَن سواه ؟
حددى أسماءهم (تعطيه ورقة)
فى غدٍ أرمى بهم فى السجن كى يلقوا من التعذيب .. ما لا يُتـَخَيـَّل
فإذا كانوا رجالاً من ذوى السطوة
(برنة خاصة) فلنبعث إليهم بجنودٍ من عسل
أرضيتِ ! فهلمى سابقينى ..

الجارية : (ضاحكة فى يُسْر)
إننى أسبق يا مولاى قردك
و على هذا فما من مشكلة
إننى أسبق مولاى و قرده
و لقد أسبق فهده !

يزيد : مستحيل .. مستحيل .. أين قردى ؟
(يصفق) .. يا غلام ..
سابقينى الآن فى حجرة عرشى
(يدخل غلام مسرعاً من باب اليسار)
أين قردى ..
نادِ لى سيدك القرد العزيز ابن قبيس

الغلام : (بصوت محايد) سيدى القرد
ينام الآن فى قصر الحريم

يزيد : انصرف يا أيها الأحمق و أكتم أمرهن
فإذا بُحتَ به فلتنعِ نفسك
أنت قرَّاد غبى ! قبح الله نديماً كان مثلك !

(يخرج الغلام جرياً من حيث جاء و يده على فمه كأنه يمنع نفسه من الكلام و يزيد يضحك)

يزيد : ما عسى يصنع فى قصر الجوارى

الجارية : (تضحك عالياً) بعض نسوانك يا مولاى يعشقن القرود !
و يفضلن لقاء القرد يا مولاى عن حب يزيد !

يزيد : إن عندى من جوارىَّ مئات
أنا لا قدرة لى وحدى أن أونس هذا الحشد كله !

الجارية : ليس كل القصر يا مولاى فى حبك مثل القبرصية
مع هذا فهى تقضى الليل فى رعب و ضيق

يزيد : إنما الليلة لكِ

الجارية : ها هنا فى قاعة العرش ؟!

يزيد : إن ترى ذلك .. أو فى مخدعك ..
بعد أن ألقى السبايا سأوافيكِ هناك
عطـِّرى لى حجرتك
اذهبى الآن إذا شئتِ ..
و إن شئتِ تسلى بالسبايا

الجارية : حجرتى فوق الطريق
و على مقربة من حجرتى رأس الحسين
فإذا ما جننى الليل تناهت لى أمواج الدجى
بأنين و بكاء
و تخايلتُ بأشباح عظام
و بطوفان دم يزحف نحوى
حاملاً أشلاء قـَتلـَى
و بصوت فاجع يهمس فى روعى : عطشان .. عطاش ..
و مع الصوت زفير كالحريق !

يزيد : (صائحاً)
اذهبى للقرد قد يُذهِب هذا الخوف عنكِ !

الجارية : (ثائرة) لا تقل لى مثل هذا فأنا بنت أمير
و أنا قد كنتُ زوجاً لأمير قبرصى
لستُ ممن يتصلعكن بساحات دمشق !

(يزيد يجلس إلى العرش متخذاً هيئته الرسمية)

يزيد : ما عسى يعنيكِ من أمر الحسين بن على يا امرأة ؟
(قاسياً جداً) صَرِّحى مَن يا تـُرَى قد دسكِ الآن علىّ ؟
أيهم أغراكِ بى
فأنا إن لم تبوحى قاتلكِ

الجارية : (مروعة) أنا ما شأنى بهذا كله يا سيدى ؟
إننى مذ علقتَ رأس الحسين
خارج الحجرة فى خوف رهيب متصل
فأنا طيلة ليلِى فى أرق
و نهارى ألم لا يُحتـَمَل
فلتـُغـَيِّر حجرتى تلك ..
و هذا كل ما أرجوه منك ..
(فزعة حقاً)

إننى أبصر طول الليل مِن حولى دماً
و أرى رأس حسين تتحرك

يزيد : (ثائراً) أيها الحراس .. يا حراس عرشى أجمعين
(يدخل عدد من الحراس .. و معهم الغلام القراد من باب اليسار)
سيدى

يزيد : (مشيراً للجارية) اسحبوا تلك .. خذوها !
و اسجنوها مع قطاع الطريق
و إلىَّ الآن بالنسوة من آل الحسين
أدخِلوا كل السبايا و رجالى المخلِصين

(بعض الرجال يسحبون الجارية .. و يخرجون من باب اليسار .. و آخرون يدخلون من باب اليمين بالسبايا منشورات الشعور يسوقهن رجال بالرماح و شمر على رأس الرجال . وسط السبايا زينب و سكينة .. النساء منهكات ممزقات)

الجارية : (و هم يسحبونها) إن رأس ابن علىّ تتحرك !!
هى ذى تعترض الآن طريقى و طريقك

يزيد : (متماسكاً) اقذِفوا تلك إلى البحر لكى تسبح .. حتى قومها
فعسى تنفعها رأس الحسين ابن على يومها ..

(يسحبون الفتاة إلى الخارج تماماً)

زينب : (تتأمل المكان فى عمق فاجع)
أينما تمشِ من الأرض فلن تبصر إلا قطرات من دمائه

سكينة : (تتأمل المكان فى رعب)
إن هذا العرش يا عمة يطفو فوق بحر من دماء الشهداء

يزيد : (يتأمل العرش فى تثاقل مصطنع و يذرع المكان ليتأمل السبايا)
أسكتا (للحراس) لا تُسمعونى هذيانات النساء

زينب : أنت لن تسمع طول العمر إلا صرخات و نذيراً

النساء : (باكيات) آه يا ويل الأرامل
آه يا ويل الشريدات الثواكل ..
آه يا وحدتنا من بعد ما اغتالوا الحسين بن على

يزيد : (ما زال يتأمل .. و لكن فى ضيق الآن)
أسكِتوهن فقد أفسدن ليلِى

زينب : (كالنذير) فسيُمسِى الليل فى أذنيك ويلاً و ثبوراً

و ستغدو نسمة الصُبح هجيراً
(مريرة) أنت ذا فى قلعة البطش أمير
(منذرة) فستغدو فى عراء
فتحت أفواهها فيه القبور
و مشى الأموات نحوك
(فجأة فى رعب هائل)
هى ذى رأس الحسين ابن على تصفعك
إنها تسطع فى هذا الدجى الباكى لكى تكشف
للناس مصيرك

(يزيد يزحف إلى العرش و يتسلقه ليجلس عليه حتى إذا جلس تشبث به و هو يلهث من الرعب .. و يحاول أن يتماسك)

يزيد : لا !! كفى !! فلتـُسكِتوها ! .. أسكِتوها !

زينب : (مستمرة) إنها تسحق صدرك
قطرات الدم يســَّاقطن منها فوق وجهك
و على كفيك يا قاتل أشلاء الضحية
و على شدقيك دم
و على عرشك دم
و على مخدعك الآثم دم
و على جدران هذا القصر دم
كل شئ ها هنا يطفح منه الدم .. دم
قسماً بالله لن يُغسَل هذا الدم حتى ننتقم

يزيد : (متماسكاً) كل هذا الدم لن يرعبنى
هذياناتك يسقطن بعيداً
و يعذبنكِ وحدك
و نداءاتك لا يبلغن أذنى
(استقر الآن على عرشه و تشبث به تماماً)
إيه .. فلتصرخن أيضاً ..

زينب : ليس بالدمع و لا بالزفرة الحرى .. يلين الصخر .. فالصخر أصم

يزيد : (ضاحكاً فى وحشية و هو يتأمل النساء)

(شفيتُ منك النفس يا حسين) (1)

(صوت غراب يصيح من الخارج)

رجل الحاشية : هذا غراب يصيح
نذير شؤم قبيح

أغرب غراب البين

يزيد : (صاح الغراب فقلتُ صِح أو لا تــَصِح)
(فلقد قضيتُ من النبىّ ديونـى)

زينب : (لسكينة) يا للشقىّ الفاجر الملعون !

يزيد : (ليت أشياخى ببدر شهدوا)
ليت جدى قد شهد !

زينب : إنهم فى النار أشياخك من كفار بدر
و على رأسهم الجدة هند
جيدها شُدَّ بحبلٍ من مسد
حيث يُسقى بشراب من حميم ..
فمها ذاك الذى لاك الكبد !

يزيد : (لعبتْ هاشمُ بالمُلكِ .. فلا)
(خبرٌ جاء و لا وحى نزل)
(قد عدلنا ميل بدرٍ فاعتدَل)
(قد أخذنا الثأر منكم يا حسين)

(تنقلت زينب فتمسك بمصراعىّ الشرفة و تنظر فى السماء)

زينب : (صارخة) يا جداه قد مات أخى الساعة
يا جداه إنى اليوم ناعية إليك أخى فلا تحزن

يزيد : مَن الغالب منذ اليوم يا زينب ؟

زينب : إذا قمتَ إلى المسجد فى يومٍ فأذ َّنتَ
و صليتَ على جدى و سلـَّمتَ
ستعرف أينا الغالب !
فإن لم تعرف الغالب يا هذا
فمَن ذا يُسمِع الصُم ؟

يزيد : إيه يا أخت الحسين بن على
إيه يا بنت على
رحم الله ابن ملجم

زينب : رحم الله أبى لا قاتليه
رحم الله أخى لا ذابحيه

سكينة : أى ثأرٍ لكم عند رسول الله حتى لتسوقنا ضحايا فوق أقتاب الجِمال ؟
أوَ ما يكفيكم قتل الرجال !؟

(رجل من الحاشية يتأمل النساء فيتوقف عند سكينة)

رجل الحاشية : آه ما أحلاكِ .. ما أطيب ريحك !!

زينب : غـُض عنا الطرف يا هذا فلسنا بالسبايا

رجل الحاشية : (ليزيد مشيراً إلى سكينة)
فلتهب لى هذه و لك الشكر عليها يا أميرى ..
إنها خير العطايا

سكينة : (تتشبث بعمتها مذعورة)
يا عمتاه .. أمَا مِن حِمَى ..
أمَا مِن ولى ؟
أتغدو سبايا بنات النبى
أأصبح جارية أستباح أباع و أشترى كأنى سلب ؟

زينب : (تحتضنها بحنان) بل لا تبالى ..
فهذا لعَمْر أبى لن يكون ..

سكينة : لا بل سيفعلها إن أراد
فلا شئ يردعه إن فعل !

رجل الحاشية : يا سيدى يا يزيد المكارم
إنى أعيد عليك الطلب
ألا تعطنيها جزاءً وفاقاً على طاعتى

سكينة : (مروعة) يا عمتى !

زينب : لا تبالى .. إن هذا لن يكون
لا تبالى يا سكينة !

يزيد : لو أردناه أردناه لكان ..
لو أردنا لفعلنا ما نريد !

زينب : (خائفة) بعض هذا يا يزيد

يزيد : ليس من شئ و قد أبطلت أحدوثتكم يعصى على ،
(متوعداً) إيه يا بنت علىّ ..

زينب : بل لا تجرؤ أن تفعلها يا ابن معاوية أبداً .

يزيد : أأخافكِ أنتِ (يضحك)

زينب : (تكمل) إلا أن تخرج من ملتنا

يزيد : بل خرج أبوكِ و خرج أخوكِ و مَن تبعه !

زينب : بدين أخى و بدين أبى و جدى هدى أبوك قديماً

يزيد : (يشهر سيفه) يا بنت عدو الله كذبتِ !

(تُسَل سيوف أخرى و تُشرَع رماح و تتجه لزينب)

زينب : أنت أمير متسلط
تقهر غيرك بالسلطان و تشتمهم مظلومين
و تضرب فى وديان الظلم و تتخبط

رجل : ما لنا نحن و هذا يا أمير المؤمنين
فلتهبها لى هبها لى . و دعنى أتصرف

يزيد : (ضيقاً) فليهبك الله حتفاً قاضياً

رجل الحاشية : (ببلادة) و لماذا ؟ فلتهبنى الجارية

يزيد : إيه يا شر رجال الحاشية
ابتعِد عنى وُهِبتَ الغاشية
(للحراس) اسحبوه و اسجنوه
إنه أسمعنا ما لا نحب ..
إنه يُحدِث فى الإسلام صدعاً ليس يُرأب ..

رجل الحاشية : (و بعض الرجال يسوقونه إلى الخارج) :
أنا مالى أنا و الإسلام كى أُحدِث فيه ؟
إنما يُحدِث فيه عارفوه
مثلكم أنتم و مولاى يزيد

يزيد : (صارخاً) أقتلوه

رجل : بالعسل ؟

يزيد : بل برمح أو بسيف
و أذيعوا أننى عاقبته شر عقاب
لتعديه على حرمة أبناء النبى !

زينب : (هامسة لسكينة)
إنها دولة بهتان و تلفيق و زيف .. !

شمر : (يتقدم إلى يزيد مختالاً)
(املأ ركابى فضة و ذهبا)
(إنى ذبحتُ السيد المهذبا)
(قتلتُ خير الناس أماً و أباً)
(و أكرم الناس جميعاً حسباً)
(طعنته بالرمح حتى انقلبا)
(ذبحته بالسيف ذبحاً عجبا)

يزيد : فيم إذن قتلته و قد علمتَ أنه كما تقول نسباً ؟
أترى تمدحه عندى و ترجو بعدها جائزتى ؟

شمر : أأنا أمدحه ؟ تا لله ما أمدح إلا فعلتى !!

يزيد : ليس عندى لك من جائزة
بعدما أسمعتنى مدحك له
قسماً بالله لولا رأسه تشفع فيما قلته الآن ..
لألحقناك به
امضِ عنى .. عد إلى الكوفة عُد لابن زياد
فلتبلغه أن يُحسِن تأديب رجاله

شمر : سيدى

يزيد : (مستمراً) ثم تقديرى و شكرى

(يخرج شمر من اليسار مسرعاً)

سكينة : (لنفسها) هكذا يا أبتِ ..

يزيد : (لسكينة) إنه نازعنا سلطاتنا
فجزاه الله عنا ما استحق

زينب : هو عبد صالح قد ردَّه الله إليه

سكينة : أيها السلطان لا تفرح بقتله

يزيد : (كأنه يخطب فى الحاضرين)
الحسين بن على آثم عاصٍ تولى عن إمامه
و لقد عاقبه الله بقتله
هكذا عوقب من قبل أبوه إذ قـُتِـل !
و لقد ساق لنا الله بناته
إن هذا لجزاء الله له ..

زينب : (متحدية تقتحم حصار الحرس و تنحى الرماح و السيوف) :
أظننتَ أنك قد أخذتَ عليه أقطار السماء ؟
أظننتَ أن بنا على الله الهوان ؟
أظننتَ أنك أنت محظوظ لديه ؟
أظننتَ أن الله آثركم علينا ؟
عجباً لغفلتك الزرية يا يزيد !!

يزيد : لا تكملى .. فأنا أمير المؤمنين
(يتشبث بعرشه فى صبيانية)

زينب : (مسترسلة) و نظرتَ فى عِطفيك مسروراً إذ اتسقت أمورك يا يزيد
أصفا لك المُلك العظيم فأنت تثخن فى البلاد
تشب نيران العداوة فى الصدور ؟
و النار تسأل دائماً هل مِن مزيد !؟
(يزيد يترك العرش و يمشى فى عصبية)
مهلاً فقد أعمتك غاشية الغرور
أمِن العدالة يا بنى الطلقاء أن تزجى الحرائر كالسبايا ؟
لكن متى تــُرجَى العدالة منك أنت و قد نبتَ من الخطايا
و نشأتَ فى حِجْر الضراوة حِجْر آكلة الكبد ؟
و سقيتَ لحمك من دماء الأبرياء
و نفختَ صدرك مِن زفير منافقيك فصرتَ تحسب كِبرك المرذول عِزة
أنت الذى غذوه فى مهد الصبا أشلاء حموة !
و اليوم تهتف داعياً أشياخكم كفار بدر ؟
اليوم تذكر ثأر بدر ؟!
أوَ ما كفاكم ما فعلتم فى أ ُحُد ؟!
أسلمتم لله وجهكم و فى القلب الضغينة و الحسد !
يا ليت أنك قد شُلِلتَ و قد بكمتَ
و ما نطقتَ بما نطقتَ !
فليذهب الكفار كلهم إلى نار الجحيم !!
يا رب لا تترك عليها ظالماً أو غادراً أو خائناً
حتى يحل به انتقامك
يا رب عامِلهم بعدلك لا بواسع رحمتك
أنا ذا دعوتُ الواحد القهار و الجبار .. لا أدعو العفو و لا الرحيم

(يزيد الذى كان يذرع المكان عصبياً ينحط على العرش)

يزيد : فلتسكتى .. قسماً بهذا العرش إن لم تسكتى ..

زينب : (متحدية) كِدْ ما تشاء و ناصِب الحق العَداء فإن للمظلوم صولة
اجمع فجمعك للبدد
و استكثروا الأيام ما أيامكم إلا عدد
بل لن تقوم لصانعى الظلمات دولة
و لسوف يبقى ذكرنا

و لسوف يخلد وحينا

يزيد : قسماً بهذا العرش إن لم تسكتى ..

زينب : (مقاطعة) مهما تكن فأنا و رب العرش مزرية بقدرك
أسفاه حزب الله مقتول و حزب الشر يحكم
أفواههم مُتـَحَلـِّبات من لحوم الأنبياء
أيديهم متخضبات من دماء الأتقياء
أسفاه .. ها أنذا أمامك
هان الزمان بنا فصرتُ أخاطبك !
جرَّت علينا النائبات السود أن نلقَى الرجال مهتكات
يحدو بنا الأعداء من بلد إلى بلد كأسراب الإماء !!
أسفاه و الجثث العوالى الطاهرات
تشردت فوق الصخور بلا قبور ..
(تنهار أخيراً) ماذا أقول ؟
و كل دمع الأرض لا يقوى على إطفاء ما تجد الصدور

يزيد : (متماسكاً ضاحكاً) (يا صيحة تحمد من نوائح ما أكثر النوح على النوائح)

زينب : (منتفضة) قسماً بمَن شرع القصاص
لتستقيم به الحياة
لأثأرن .. و أثأرن

يزيد : (يضحك بسخرية فينفلت إليه غلام من بين النساء و هو زين العابدين)
بديع .. بديع !!

زين العابدين : أتضحك سخرية بالدموع ؟

يزيد : و مَن أنتَ أيضاً ؟ ألم يقتلوا كل آل الحسين ؟

رجل : و لكن هذا غلام مريض

زين العابدين : فأنت إذن جاهلٌ مَن أنا ؟
أنا ابن الصفا
أنا ابن الذى جاءكم بالهدى ..
أنا ابن القتيل أنا ابن الشهيد
أنا ابن المعذب حتى قضى
أنا ابن الذى حرموه المياه
و قد كان من قبل يسقى الورى
أنا ابن الشفيع أنا ابن محمد المصطفى
أنا ابن الذى رفعوا رأسه
و طافوا به فوق سِنِ القنا
أنا مَن تسربل ثوب الأسى

(زوجة يزيد تدخل من اليمين مندفعة ناشرة شعرها حاسرة كنساء الحسين)

زوجة يزيد : يا يزيد لستَ زوجى يا يزيد
لستَ لى بعد بزوج

يزيد : (خائفاً) زوجتى ماذا دهاكِ ؟
لِمَ تأتين إلينا حاسرة ؟

الزوجة : فبنات المصطفى صرن حواسر
أوَ ما تشعر بالحزن لهن ؟
ما لنا نحن و أبناء النبى ؟
ما جلسنا فوق هذا العرش إلا بهُداه .. !
كيف بالله إذن تلقى رسول الله يوم الحشر يا قاتل أهله ؟
أنا لن أمكث عندك !
أنا لن أُبقِى أولادى عندك
أنت يا قاتل أبناء النبى ..
أى فخر لك فى قتل الحسين بن على ؟

يزيد : (مذعوراً) أى رعديد جبان خائن لى
قال هذا لكِ عنى ؟!
(يترك العرش و يسرع إلى زوجته)

الزوجة : حيثما أسلك فى القصر أرى هذا الدم الحر الزكى

زينب : هو ذا من فوق رأسك
التفت ! إن الدم المسفوك غطى مرفقك
هو ذا حولك كالطوفان قد أغرق قصرك ..
نحن لن ننجو من ثأر الحسين بن على
هو ثأر الله فينا يا شقى !
لعن الله الدعى ابن الدعى

(ينهار على أقدام عرشه)

الزوجة : هكذا نحمل عار ابن زياد آخِر الدهر إذن ؟

سكينة : (باكية) أى عار ؟ أى عار !؟
إنه يختال أن أصبح من أملاكه رأس الحسين

زينب : كبغىٍّ أُهديت رأس نبى !

يزيد : (منهاراً) كلكم يزعم هذا .. فلماذا ؟
أنا لم أقتل حسيناً

الزوجة : أيها الكذاب إن تكذب على الناس جميعاً
فأنا لن يدخل الكذب عليّ ..

يزيد : (و هو لا يواجه أحداً) أنا ما قلتُ لهم أن يقتلوه
لعن الله ابن سعد و الدعى ابن الدعى
إنما قلتُ لهم أن يأخذوا البيعة منه
فإذا لم يعطها فليرسلوه
هكذا قلتُ لعمال العراقين جميعاً
مثلما قلتُ لعمال الحجاز ..
(يزيد يحاول أن يزحف إلى عرشه و لكن زوجته تلاحقه باتهام)

الزوجة : أُشهِـد الله عليه .. هو يكذب !
ملك يملك ما شاء و يكذب !
مستبد خائر يفعل ما شاء و يهرب
(ثم تواجهه و هو يزحف إلى العرش)
أفتدرى أيها الكذاب ما يجرى هناك ؟!
(برعب خافت) خطفوا رأس الحسين ..
(صارخة) اختفى رأس الحسين ؟
أنا لن أبقى معك
فسأنجو بعيالى من مصيرك (تهرب بسرعة من باب اليمين)

يزيد : (فى ذعر) سرقوا رأس الحسين ؟
(يحاول أن ينحط على العرش)

زينب : بم سرَتْ تسبح فوق الليل مثل الكرة المشتعلة
إنها طارت على متن سحابة
ترسل الأنوار للباكين و النار لمن لم يبكِ له
هى ذى رأس الحسين .. أنظر .. تأمل
(كأنها تخاطب الفراغ) إيه يا رأس أخى
إيه يا رأس الشهيد ..
إيه يا رأس البطل
إيه يا رأس شهيد الحق كونى راية المستضعفين
(صارخة من الشرفة التى تطل على دمشق)
انهضوا كى تنقذوا الدنيا من الفوضى .. انهضوا
فكفانا ما احتملنا
و كفى ذلاً و إذعاناً و جبناً !
هى ذى راية حق دامية
هى ذى شعلة عدل خابية
هو ذا الرعب و قد أصبح سلطاناً رعاياه قلوب الخائفين
هى ذى الآمال صرعى .. هو ذا الفجر طعين
انهضوا فاستخلصوا العالم من بطش الجنون

يزيد : (فى فزع شديد يتخبط محاولاً أن يهرب)
أيها الحراس .. سيروا فتشوا كل مكان
فلتعودوا لى برأس ابن على
لا تسيروا كلكم (بفزع) لا تتركونى ..
بل أحيطوا بى .. أحرسونى ..

زينب : أين تمضى أيها السلطان من عارك ؟ لا مهرب لك !
إن طوفان دم الأبرار حولك
و عليه جثث القتلى تمور
إنها تطلب ثأر الله منك
قسماً بالله أن أثأر منك

يزيد : (مندفعاً إلى الخارج متخبطاً بين باب اليسار و باب اليمين و حوله رجاله)
أسكِتوها .. أرجِعوا رأس الحسين

زينب : (تتبعه) و سيأتى الموت فى يوم من الأيام مهما يطل العيش بمثلك
عبثاً تهرب من ساعة موتك !
هو ذا الموت وراءك !!

يزيد : أخرسوها .. أخرسوها ..
(يداه على رأسه) و احذرى أن تذكرى الموت أمامى

زينب : عبثاً تهرب من يوم القصاص
إننى أسمع خلف الليل صيحات الخلاص

يزيد : أرجعوهن إلى الكوفة كى يجمعن أشلاء الحسين
أبعدوهن إلى أى مكان حيث لا يبلغنى بعد صدى أصواتهن
(يخرج من باب اليمين) احملوهن بعيداً .. يا كلاب ..

زينب : (تتأمل الحرس و الرجال الباقين)
عجباً للناس فى حبهم الدنيا يهونون
و ما دنياهم دار خلود !
و هم فى آخِر الأمر رجام فى التراب
حيث ما للخوف سلطان على ما يصنعونه
حيث لا شئ سوى ظل السكينة !
حيث لا الأطماع تحنى بعد هامات رجال خائرين
إنما الموت هو الحرية الكبرى لو أن الناس كانوا يفقهون
حيث لا شئ سوى الأمن لدى الله لمن جاء بقلب مطمئن
حيث لا مضحكة الدولة تزرى بجلال الحكماء
حيث لا رأس ولى أو نبى بعد تهدى لبغى
أو حظايا العرش يهدرن جلال الشرفاء الصامدين
أو نديم القصر يقتات بلحم الأتقياء الصالحين
حيث يحيا القلب فوق الحقد و الحب و فوق الكبرياء

أمِن الخنجر و السم و غدر الأصدقاء !

(يتدافع الرجال و النساء منشورات الشعور و الكل يلطم على صدره)

الرجال و النساء : لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
بشرق أرض أو بغرب
فالرأس مثواه بقلبى ..
رأس الحسين هنا بقلبى
فلتأخذوا ثار الحسين ..
يالثأرات الحسين

الرجال : ثأر الله
ثأر الله
الله .. الله ..

---

(1) الأبيات التى بين الأقواس منسوبة إلى قائليها فى كثير من المصادر التاريخية .

المنظر السادس

(صحراء محرقة تتوهج فيها الشمس الغاربة كتلك الصحراء التى عطش فيها و مات الحسين بكربلاء .. بعد نحو خمسة أعوام من المنظر السابق . يزيد - و قد أصبح أكثر شحوباً - يبحث فى المكان و ينتقل بين منخفضاته و مرتفعاته فى حيرة و فزع يتزايدان)

يزيد : أين قردى ؟؟ أين فهدى !!؟
أين أصحابى ؟ و الفهـَّاد و القرَّاد ؟؟ أين ؟
إننى قلتُ لهم أن يتركونى
أنا و الفهد و قردى من وراء الظبيات
و استبقنا ساعتين
لم أصِد شيئاً و ضاع القرد و الفهد معاً
كان قردى ابن قبيس راكباً فوق حمار
سبق الخيل جميعاً !!
(يصيح من على ربوة) يا رجالى أين أنتم ؟ أدركونى ..
يا إلهى ! ليس من شئ سوى رجع الصدى فى الفلوات
إنهم لن يسمعونى
كلهم ضل الطريق !!
أنا من أى طريق قد أتيت ؟!
مِن هنا ؟ .. لا .. مِن هنالك ؟
ليس من شئ هنا غير صخور و رمال
هنا هنا فى صحراء الشام لا ماء و لا ظل .. و لا حتى خيال
آه .. لا ماء هنا .. بل محيط من رمال !!
(يحاول أن يشرب من آنية معلقة بثيابه و لكنه يقذف بها إلى ما وراء المرتفع)
نفذ الخمر كذلك ..
أنا عطشان .. و فى جوفى و فى حلقى حريق
أفما من قطرة أروى بها هذا الغليل ؟
أين منى الماء و الريحان و الخمرة و الظل الظليل !!
(يحاول أن يستلقى تحت صخرة)
فلأقم فى ظل هذا الصخر حتى يقبلوا ..
(يتلفت) إنهم لن يُقبلوا !
ويحهم .. أين الظلال ؟
(يقف فى ضيق) صحراء رحلت منها الظلال !!
(يفتش فى المكان) أين أفراسى ؟ لقد كانت هناك !
إننى خلفتها غير بعيد ترتعى تحت الأراك
(صارخاً) هو ذا ماء بعيد فى الأفق !
و الحقول الخضر و الأنسام من تحت السحاب ..
هو ذا ظل بعيد (يجرى ثم يسقط)

لا .. تمهل يا يزيد
ليس هذا كله غير السراب
لم يعد شئ هنا غير الصدى
ثم وَقـْد الشمس و الوحدة فى هذا العراء ..
لم يعد شئ هنا غير العذاب
رحل الكل و لا شئ سوى الغربة و التيه و أهوال العطش ..
(يكاد ينبش الأرض)
يا حسين ابن على كيف بالله تحملتَ العطش ؟
أترى كابدتَ مثلى من أهاويل السراب
إنه مس الجنون !
(صارخاً)
جف حلقى .. يا إلهى
(يقف صارخاً) أوَ ما من فرسٍ ينقذنى من وحدتى
أوَ لا قطرة ماء فأروِّى غلتى
(ينهار مرتمياً على الأرض)

صدى صوت زينب : أين تمضى أيها السلطان من عارك .. لا مهرب لك
إن طوفان دم الأبرار حولك ..
و ستغدو فى عراء فتحت أفواهها فيه القبور
و مشى قتلاك نحوك
هى ذى رأس حسين تصفعك

(يتراءى له أنه يرى خيال الحسين فى هالة من تلك الأضواء التى نراها فى الأحلام فى ثياب بيض و وجه وضاء جليل ، كما يُتخيل أهل الجنة .. الخيال يقف على أعلى مرتفع و يتحدث فى حوار مع يزيد بصوت محايد عميق و بلا انفعال)

يزيد : العطش ؟ يا إلهى كدتُ أقضى فى العطش

الحسين : نحن أيضاً قد هلكنا عطشاً ..

يزيد : (يفزع إليه) مَن هنا ؟ .. مَن أنت ؟ ..
هل عندك ماء .. ؟

الحسين : ما أنا إلا خيال للحسين بن على

يزيد : (مذهولاً) الحسين بن على ؟
آه كم عانيتُ من نار العطش
كيف بالله تغلبتَ على حر العطش ؟
(ثم صارخاً بفزع هائلاً)
كيف ؟ .. لا .. لا ..
أنت من خمسة أعوام ذُبِـحتَ
إننى علقتُ فى الأسواق رأسك
مستحيل .. ليس أنت ..

(باكياً) إننى فى ظمأى أهذى .. فوا ويلاه
إنى قد جُننتُ ..

الحسين : إن مثلى يا يزيد لا يموت
رُبَّ ماضٍ لا يفوت

يزيد : (يدور فى التيه مروعاً)
قامت الأشباح فى أكفانها يقذفن فوقى اللعنات
و ضحاياى جميعاً قد رمتهن القبور
أقضاتى أنتم ؟
مَن ذاك أيضاً ؟ مَن هناك ؟
(تختلط أمامه الرؤى)

الحسين : إنهم حقاً ضحاياك .. و لكن هم صحابك !
أفتدرى ما الذى حل بصحابك إذ أنت هنا
تلهو بقرد و فهد و حمار

يزيد : (صائحاً) فليموتوا كلهم
(ضارعاً) قطرة ماء
فرساً أنجو به مما أعانى

الحسين : أنت لن تنجو من رحلة صيدك
قف .. تأمل .. أفلا تعرف هذا ؟

(على مرتفع آخر يبدو عمر بن سعد شاحباً أمام المختار فى ضوء غريب خافت محدد .. كأنه نوع من ضوء الأحلام)

يزيد : إن هذا عُمَر مَن أعطشك ؟
إنه مَن قتلك
إنه مِن أقربائك
(ضارعاً) اسقنى ماء و دعنى

(يقوى الضوء على المختار و أمامه عمر ذليلاً)

عمر : (للمختار) فماذا أنت بى صانع ؟

المختار : أوُلـِّيتَ على الرى و جرجان ؟

عمر : لا .. بل ذقتُ ذل العيش ألواناً

المختار : (ضاحكاً) فأنتَ قتلتَ خير الناس مجاناً !!

عمر : يا مختار ليس الآن وقت الهزل

المختار : لا تعجل ، و لا تستعجل القتل
بأية ميتة بُشــِّرتَ مِن قبل !؟

عمر : بأن أُذبَح فى فرشى ؟
و تـُلقــَى الرأسُ للصبيان فى الكوفة

المختار : إذن فاذهب إلى فرشك !

عمر : (ذليلاً جداً) يا توَّاب قد تبتُ على ما كان
فلترحم .. ألا تغفر ؟

المختار : بل الغفران و الرحمة للرحمن يا كافر

عمر : أنا تبتُ إلى الله

المختار : تتوب الآن يا هذا و أنتَ عصيتَ مِن قبل ؟
و ثأر إمامنا المقتول عطشاناً ؟
و مسلم و هو ذو قرباك يا غادر ؟

يزيد : أيُقتــَـل هكذا عمر ؟
فأين إذن رجال المصر ؟
أين أميره ابن زياد ؟

رجل : (مقبلاً فرحاً للمختار)
قتلنا الباطش ابن زياد يا مختار

المختار : (كأنه ينادى)
طوفوا برأس ابن الدعي بكل أنحاء العراق و أرسلوه إلى دمشق
كى يعلم المغرور و الغدَّار و المتكبر العربيد إن الله حق

رجل : (للمختار) قتلنا شمراً الضارى
و قد طفنا برأس الفاجر الملعون من دار إلى دار
(يختفى المختار و من معه ..)

(رجل كان من جيش عمر يرفع إناء ليشرب ماء و لكن الماء يسيل على فمه و ما زال يشرب و الماء يسيل)

الرجل : يا ويلاه .. يا ويلى ..

يزيد : و ما هذا الفتى يشرب ما يشرب لا يروى
و فوه يلفظ الماء ؟

الحسين : هذا أعطش النسوة و الأطفال إذ كان على الماء ..
فلن يُروَى مدى الدهر ..
سيهلك هكذا عطشاً

(يختفى الرجل و تعود الشمس الغاربة تغمر المكان بوهجها مختلطة بعتمة المساء و الحسين فى هالة من ضوء الأحلام على مرتفع وحده)

يزيد : (صارخاً و هو يذرع التيه)
يا للرجال تقدموا كى تنقذونى
أنا ذا هنا الملك العظيم
أنا ذا يزيد
أنا ذا أميركم .. أمير المؤمنين

الحسين : لن ينقذوك .. هو الجحيم
لن يدركوك فلا فكاك و لا محيص عن الجحيم

يزيد : (صارخاً) أنا ذا هلكتُ من العطش
(ضارعاً) عطشان .. يا للمؤمنين
(يصرخ و يدور) أنا ذا أجن من العطش
أفلا سبيل هنا لماء

الحسين : لا يا يزيد فما شرابك بعد إلا من حميم

يزيد : عطشان أهلك فى الصحارى الموحشة
النار فى كبدى سعير
أنا ذا الأمير و لى من الأنهار آلاف فكيف إذن أموت من العطش
أأموت عطشاناً و عندى النيل كله ؟
و لى الفرات و ماء دجلة
و هنا .. هنا بَرَدَى فكيف إذن أموت من العطش ؟
كأساً به ماء بعرشى كله !!
يا من يبيع لظامئٍ كأساً بعرش !!
يا أيها الساقون : كأساً واحداً بالمملكة !!
(و يظل يدور و يدور فى التيه فى حالة جنون)
فرساً فينجينى و يحملنى إلى غرف النعيم
فرساً بمملكتى جميعاً
(يتهاوى) كأساً فينجينى
و لكن كيف لى أن أدركه
(يسقط خلف أحد الصخور .. بينما ترتفع نداءات من بعيد .. و يدخل رجال يملأون المكان و على رأسهم المختار و الحسين يقف على الربوة مُشرفاً عليهم فى جلال وسط هالة الضوء الغريب)

الرجال : يالثارات الحسين .. يالثارات الحسين بن على

المختار : قد أخذنا فيه ثأر الله من كل الطغاة
نحن لن ننسى الحسين بن على

الرجال : يالثارات الحسين
يالثأر الله .. يا ثأر الحسين ..

المختار : (للرجال) أذكروا الله كثيراً
و أذكروا ثأر الحسين
فهو ثأر الله فينا ..

الحسين : فلتذكرونى لا بسفككم دماء الآخرين
بل فأذكرونى بانتشال الحق من ظفر الضلال
بل فأذكرونى بالنضال على الطريق
لكى يسود العدل فيما بينكم
فلتذكرونى بالنضال
فلتذكرونى عندما تغدو الحقيقة وحدها
حيرى حزينة
فإذا بأسوار المدينة لا تصون حمى المدينة
لكنها تحمى الأمير و أهله و التابعينه
فلتذكرونى عندما تجد الفضائل نفسها
أضحت غريبة
و إذا الرذائل أصبحت هى وحدها الفضلى الحبيبة
و إذا حُكِمتم من قصور الغانيات
و من مقاصير الجوارى
و إذا غدا أمراؤكم كالمحظيات
و إن تحكمت السرارى
فأذكرونى
فلتذكرونى حين تختلط الشجاعة بالحماقة
و إذا المنافع و المكاسب صرن ميزان الصداقة
و إذا غدا النبل الأبىّ هو البلاهة
و بلاغة الفصحاء تقهرها الفهاهة
و الحق فى الأسمال مشلول الخطى حذر السيوف !
فلتذكرونى حين يختلط المزيف بالشريف
فلتذكرونى حين تشتبه الحقيقة بالخيال
و إذا غدا جُبن الخنوع علامة الرجل الحصيف
و إذا غدا البهتان و التزييف و الكذب المجلجل هن آيات النجاح
فلتذكرونى فى الدموع
فلتذكرونى حين يستقوى الرضيع
فلتذكرونى حين تغشى الدينَ صيحاتُ البطون
و إذا تحكم فاسقوكم فى مصير المؤمنين
و إذا اختفى صدح البلابل فى حياتكم ليرتفع النباح
و إذا طغى قرع الكئوس على النواح
و تلجلج الحق الصراح

فلتذكرونى
و إذا النفير الرائع العزّاف أطلق فى المراعى الخضر صيحات العداء
و إذا اختفى نغم الإخاء
و إذا شكا الفقراء و اكتظت جيوب الأغنياء
فلتذكرونى
فلتذكرونى عندما يُفتِى الجهول
و حين يستخزى العليم
و عندما يهن الحكيم
و حين يستعلى الذليل
و إذا تبقى فوق مائدة امرئ ما لا يريد من الطعام
و إذا اللسان أذاع ما يأبى الضمير من الكلام
فلتذكرونى
فلتذكرونى إن رأيتم حاكميكم يكذبون
و يغدرون و يفتكون
و الأقوياء ينافقون
و القائمين على مصالحكم يهابون القوىّ
و لا يراعون الضعيف
و الصامدين من الرجال غدوا كأشباه الرجال
و إذا انحنى الرجل الأبىّ
و إذا رأيتم فاضلاً منكم يؤاخذ عند حاكمكم بقوله
و إذا خشيتم أن يقول الحق منكم واحد فى صحبه أو بين أهله
فلتذكرونى
و إذا غـُزِيتم فى بلادكم و أنتم تنظرون
و إذا اطمأن الغاصبون بأرضكم و شبابكم يتماجنون
فلتذكرونى
فلتذكرونى عند هذا كله و لتنهضوا باسم الحياة
كى ترفعوا علم الحقيقة و العدالة
فلتذكروا ثأرى العظيم لتأخذوه من الطغاة
و بذاك تنتصر الحياة
فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعة و ارتضى الإنسان ذله
فأنا سأ ُذبَح من جديد
و أظل أ ُقتــَل من جديد
و أظل أقتل كل يوم ألف قِتلة
سأظل أقتل كلما سكت الغيور و كلما أغفا الصبور
سأظل أقتل كلما رغمت أنوف فى المذلة
و يظل يحكمكم يزيدٌ ما .. و يفعل ما يريد
و ولاته يستعبدونكم و هم شر العبيد
و يظل يلعنكم و إن طال المدى جرح الشهيد
لأنكم لم تدركوا ثار الشهيد
فأدركوا ثأر الشهيد ،،

القاهرة : ذو الحجة سنة 1388
فبراير سنــة 1969